سيد صديق عبد الفتاح

عجائب وغرائب الوصايا

فى التاريخ القديم والحديث



عجائب وغرائب الوصايا

في التاريخ القديم والحديث

بسم الله الرحمن الرحيم
فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ
صدق الله العظيم



DAR AL AMEEN
الجيزة : ١ ش سوهاج
خلف قاعة سيد درويش
الهرم
القاهرة : ١ ش محمد محمود
باب اللوق (برج الأطباء)
تليفون : ٣٥٥٨٤٦١

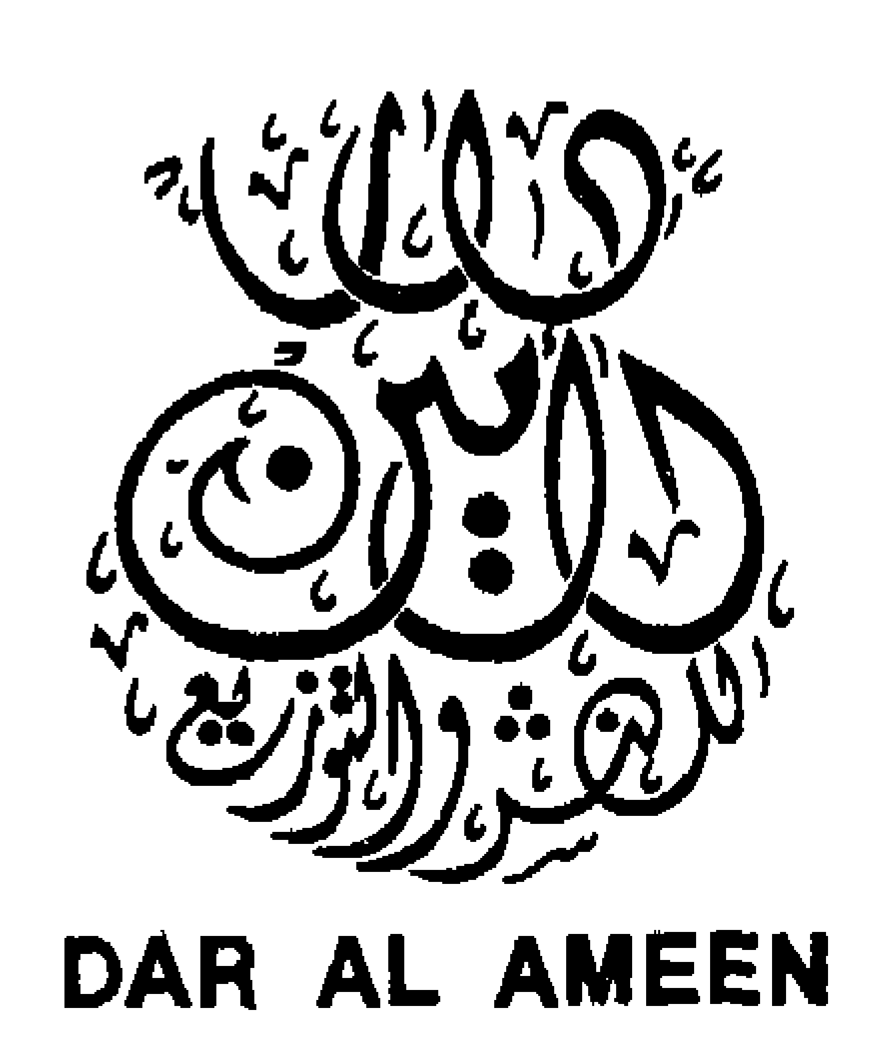
الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

رقم الإيداع ٣٢٠٨/١٩٩٣
I.S.B.N.
977—5424—12—7

سيد صديق عبد الفتاح

عجائب وغرائب الوصايا

في التاريخ القديم والحديث



DAR AL AMEEN

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

* **عزيزى القارئ ...**

«الوصية» : هى إبداء رغبة صاحبها فيما يجب ويحب أن يكون بعد رحيله .. أو الإصرار على ما لابد من تحقيقه مما يتمناه المرء بعد موته.

والوصايا ..هى نوع من الاعتراف، والإفصاح عن النوايا، لما نأمله من وجهة نظرنا.

وللوصايا أيضاً دور مهم فى الأدب العربى والغربى على السواء ..

وتمثل الوصايا تجارب الإنسان، والتوجيه الحَسَن فى عبارات موجزة ومركزة، يسهل فهمها، ولا يستعصى على العقل مغزاها ..

وقد يُوصى إنسان صاحبه عند الاحتضار وصايا يكشف فيها عن نواياه .. فيطول أجل الموصى، ويموت المنوط ـ أو المقصود ـ بتنفيذ الوصية قبله ..

ونحن ـ فى هذا الكتاب ـ بصدد عرض وصايا من نوع لم نألفه من قبْل، لطرافتها .. ولم نعرفه بيننا لغرابتها .. ولم نسمع بها من أحد لعجائب المشاهير المعروفين، والمغمورين المجهولين ..

* **عزيزى القارئ ..**

أقدم إليك أغرب وأعجب الوصايا للعظماء من الأنبياء، والملوك والرؤساء والزعماء من القادة .. وأيضاً الفلاسفة، والمفكرين من الأدباء، وكذلك أهل الفن، والأطباء .. وطرائف وصايا الجهلاء، والعلماء .. والحمقى ، والعقلاء .. والهزليين، والأجلاء .. المشاهير، والغرباء من الشرق فى التاريخ القديم والحديث ..

ولقد انتقيتُ لك ـ عزيزى القارئ ـ نوادر هذه الوصايا من نفائس الكتب .. وكنوز الأدب ..

سيد صديق عبد الفتاح

نـوادر ..

وطرائـف وغرائـب

وصـايـا الـعــرب

من وصايا النبى «مُـحَـمَّـد»

صلى الله عليه وسلم

من وصايا «النبى» (صلى الله عليه وسلم) الخالدة

* جاء رجل إلى «النبى» صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

ـ «يا رسول الله .. أوصنى، وأوجز» !.

فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

ـ «عليك بالإياس[1] مما فى أيدى الناس .. وإياك والطَّمَع فإنه الفقر الحاضر .. وصَلِّ صَلاتك وأنت مودع .. وإياك وما تعتذر منه» ..

«رواه الحاكم فى مستدركه وقال هذا حديث صحيح الإسناد»

* * *

* وعن إسماعيل بن عمر قال: سمعت «النبى» صلى الله عليه وسلم يوصى رجلاً، فقال :

ـ «أقلل من الدَّيْن : تَعِشْ حُرّاً .. وأقلل من الذنوب يَهُنْ عليك الموت .. وانظر فى أى نصاب[2] تَضَعُ وَلَدَك، فإن العِرْق دسَّاس»

«رواه البيهقى فى شُعَب الإيمان»

* * *

---

(١) الإياس : اليأس ..

(٢) نصاب : أصل ..

* عن جابر بن عبد الله الأنصارى، عن «النبى» صلى الله عليه وسلم أنه قال:

ـ «ما زال جبريل يُوصينى بالنساء، حتى ظننتُ أنه ليحرم طلاقهن»..

«وما زال يوصينى بالمملوك، حتى ظننت أنه يجعل لهم وقتاً يُعتقون فيه..

«وما زال يوُصينى بالجار، حتى ظننتُ أنه يجعله لى وارثاً ..

«وما زال يُوصينى بالسواك، حتى ظننتُ أنه فريضة ..

«وما زال يُوصينى بالصلاة مع الجماعة، حتى ظننتُ أنه لا تُقبل صلاة إلا فى جماعة..

«وما زال يُوصينى بقيام الليْل، حتى ظننتُ أنه لا نوم بالليل ..

«وما زال يُوصينى بذكر الله، حتى ظننتُ أنه لا ينفع عمل إلا به[1]»..

* * *

يوصى أولاده بحرقه وطحنه

* عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن «النبى» صلى الله عليه وسلم قال:

ـ «كان رجل يُسرف على نَفْسه، فلما حَضَرَهُ الموت قال لبنيه:

ـ «إذا أنا مت فأحرقونى، ثم اطحنونى، ثم ذرُونى فى الريح، فوالله لئن قَدَرَ اللهُ علىَّ ليُعَذِّبَنِّى عذاباً ما عذَّبَهُ أحداً» .. فلما مات فُعِلَ بِهِ ذلك، فَأَمَرَ

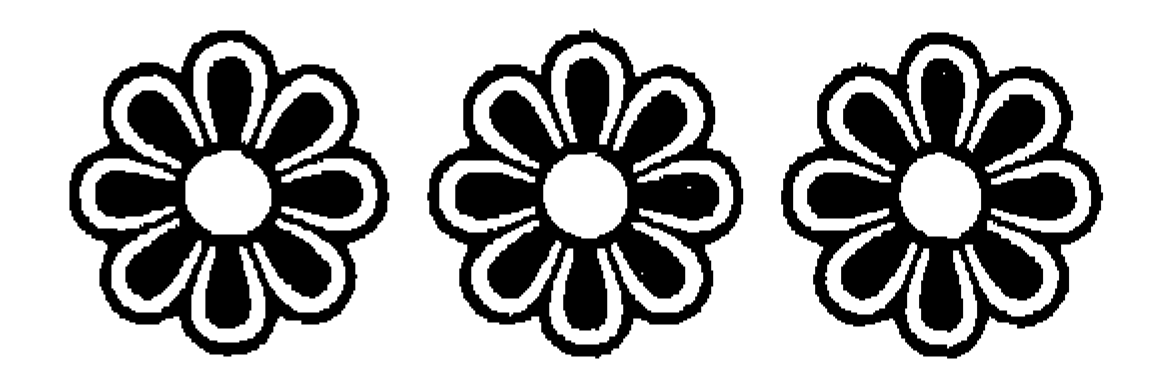
(١) رواه محمد الزكى الخطيب المتوفى عام ٦٥٩هـ فى كتابه «منبهات على الاستعداد ليوم الميعاد» (ص١٨ ، ١٩)..

اللهُ الأرضَ فقال: اجمعى ما فيكِ منه، فَفَعَلَتْ. فإذا هو قائم، فقال: ماحَمَلَكَ عَلَى ما صَنَعْتَ؟. قال: يارب خَشْيَتُكَ .. فَغَفَرَ لَهُ» ..

وقال غيره: «مخافتك يارب».

«رواه البُخارى ـ فى كتاب أحاديث الأنبياء» ..

«ورواه مُسلم ـ فى كتاب التوبة» ..



* من عجيب الوصايا :

وصية «ثابت بن قيس» .. بعد موته

* قال (أبو عمر):

ـ أخبرنا (**عبد الوراث بن سفيان**) ثنا قاسم بن أصبع ثنا أبو الزنباع روح بن الفرج، ثنا سعيد بن غفير وعبد العزيز بن يحيى المدنى، ثنا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن إسماعيل بن محمد بن ثابت الأنصارى عن «ثابت بن قيس بن شماس» ـ (٠٠٠٠ ـ ١٢هـ = ٠٠٠٠٠ ـ ٦٣٣م)، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له:

ـ « يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً ، وتُقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟»

قال مالك:

ـ فَقُتِل «ثابت بن قيس» يوم اليمامة شهيداً ..

قال أبو عمرو:

ـ روى «هشام بن عمار» عن «صدقة بن خالد» ثنا «عبد الرحمن بن يزيد عن جابر» قال:

ـ حدثنا «عطاء الخراسانى» حدثته ابنة «ثابت بن قيس بن شمس» قالت:

ـ لما نَزَلَت: ﴿ يا أيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبىِّ ﴾

(الحجرات – آية ٢)

دخل أبوها بيته، وأغلق عليه بابه، ففقده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأرسل إليه يسأله ما خبره؟..

قال:

ـ أنا رجل شديد الصوت، أخاف أن يكون قد حَبَطَ عملي..

قال:

ـ لست منهم، بل تعيش بخير وتموت بخير..

قال: ثم أنزل الله:

ـ ﴿ واللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

(الحديد ـ ٢٣)

فأغلق عليه بابه، وطَفَقَ يبكي، ففقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأرسل إليه فأخبره..

فقال:

ـ يا رسول الله: إني أحب الجمال، وأحب أن أسُودَ قومي ..

فقال:

ـ لست منهم، بل تعيش حميداً، وتُقْتَل شهيداً، وتدخل الجنة ...

قالت:

ـ فلما كان (يوم اليمامة) خرج مع (خالد بن الوليد) (٠٠٠ ـ ٢١هـ = ٠٠٠٠ ـ ٦٤٢م) إلى مُسَيْلَمَة (٠٠٠٠ ـ ١٢هـ = ٠٠٠٠ ـ ٦٣٣م) فلما التقوا، أو انكشفوا ..

قال (ثابت وسالم) مولى (أبي حذيفة):

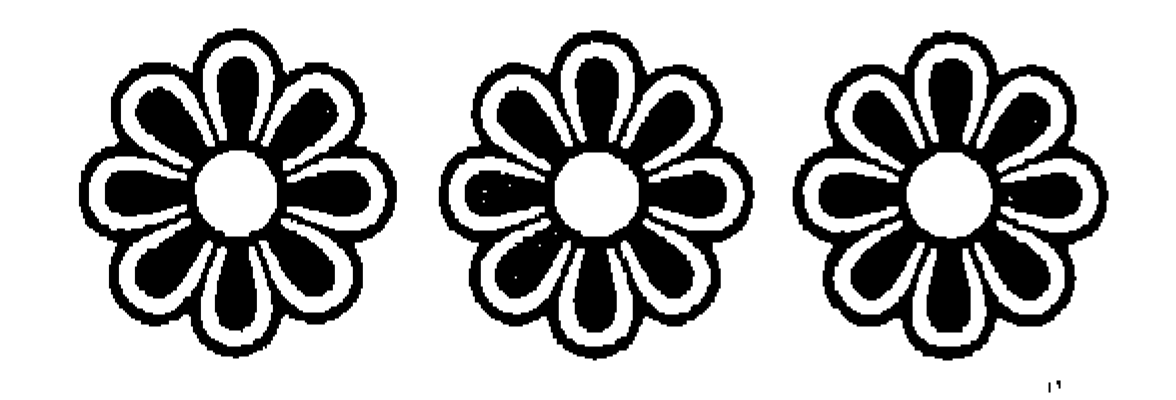
ـ ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ..

ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا، وقاتلا حتى قُتِلا، وعلى (ثابت) يومئذٍ درع نفيسة له، فمرّ به رجل من المسلمين فأخذها..

فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه (ثابت) في منامه فقال له:

ـ أوصيك بوصية، فإياك أن تقول هذا حلم فتُضيّعه .. **إني لما قُتِلْتُ أمس مرّ بي رجلٌ من المسلمين فأخذ درعي، ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن في طوله، وقد كفأ على الدرع برمة، وفوق البرمة رحل .. فأْت خالداً فَمُرْهُ أن يبعثَ إليّ درعي فيأخذها، وإذا قَدمْتَ إلى المدينة على خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ يعني (أبا بكر الصديق) (٠٠٠ ـ ١٣هـ = ٠٠٠ ـ ٦٣٤م) ـ فقل له: إن عليّ من الدّين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان ..**

فأتى الرجل (**خالداً**) فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها، وحَدَّثَ «**أبا بكر**» برؤياه، فأجاز «**وصيته**» !!.



يوصي بتسمية ابنه: «مات الدِّين» !!

* قال الإمام «عَليٌّ بن أبى طالب» ـ (٢٣ق.هـ ـ ٤٠هـ) ـ كرم الله وجهه ـ :

ـ إن (نبى الله داود عليه السلام) مرَّ بغلمان يلعبون، وينادى بعضهم بعضاً بكلمة يا «مات الدِّين»، فيُجيب المنادى:

فدعاهم (داود)، فقال:

ـ ما اسمك يا غلام؟..

قال:

ـ اسمى «مات الدين»..

قال له (داود):

ـ من سمّاك بهذا الاسم؟..

قال:

ـ سمّانى أبى..

فانطلق (داود) إلى أمه، فقال لها:

ـ أيتها المرأة.. ما اسم ابنك هذا؟..

قالت:

ـ مات الدين..

قال لها:

ـ ومن سماه بهذا الاسم؟..

قالت:

ـ أبوه هو الذى سمّاه..

فسأل (داود):

ـ وكيف كان ذلك؟..

قالت المرأة:

ـ إن أباه خرج في سفر له، ومعه قوم.. وقد كان هذا الصبى حملاً فى بطنى.. فانصرف القوم، ولم ينصرف زوجى.. فسألتهم عنه؟ فقالوا:

ـ مات ..

فقلت لهم:

ـ فأين ما ترك؟..

قالوا:

ـ لم يخلف شيئاً..

فقلت:

ـ هل أوصاكم بوصية؟..

قالوا:

ـ نعم .. أوصانا، فزعم أنك حُبْلَى.. فإذا ولَدْتِ جارية أو غلاماً فسميه: «مات الدين» !! فأمضيت وصيته كما قال..

قال (داود):

ـ هل تعرفين القوم الذين كانوا قد خرجوا مع زوجك؟..

قالت:

ـ نعم..

فسألها:

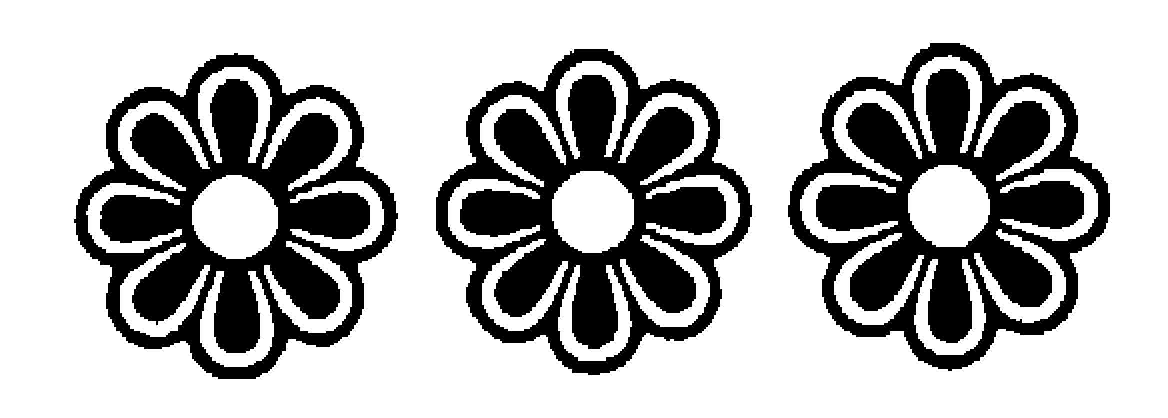
ـ هل هم أحياء؟..

قالت المرأة:

ـ نعم ..

فأمرها (داود) أن تنطلق معه إليهم .. ثم مضى معها .. فاستخرجهم من منازلهم، فَحَكَمَ بينهم .. وأثبت عليهم المال والدم، قائلاً للمرأة:

ـ اجعلي اسم ولدك: «عاش الدِّين» !!



غرائب وصايا

الخُلَفاء..والأُمراء..والقُواد

* غرائب وصايا الخُلفاء.. والأُمراء.. والقُواد:

الصِّدِّيق يوصى فى الحرب.. بعدم القتل والتخريب

* أوصى «**أبو بكر الصِّدِّيق**» رضى الله عنه ـ (**٥٠ق.هـ ـ ١٣هـ**) ـ «**أسامة بن زيد بن حارثة**» (**٧ق.هـ ـ ٥٤هـ**) عندما كان قائداً فى الحروب قائلاً له ولجُنْدِه:

ـ «**لا تخونوا، ولا تغلوا .. ولا تغدروا .. ولا تمثِّلوا .. ولا تقتلوا طفلاً صغيراً .. ولا شيخاً كبيرا.. ولا امرأة .. ولا تقطعوا نخلاً، ولا تحرقوه .. ولا تقطعوا شجرة مثمرة .. ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيرا، إلا لمأكلة**» !..

* * *

عمر يوصى بممارسة الرياضة .. والشعر

* وأوصى «**عمر بن الخطاب**» رضى الله عنه (**٤٠ق.هـ ـ ٢٣هـ**) الناس فقال:

ـ «**علِّموا أولادكم العَوْم، والرِّماية، ومُرُوهُم فليثبوا على الخيل وَثْباً، ورووهم ما يجمل من الشعر**»..

* * *

أمير المؤمنين يوصي .. بالقصد في كَفَنه وقبره

* وأوصى أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» رضى الله ـ (٤٠ ق.هـ ـ ٢٣هـ = ٥٨٤ ـ ٦٤٤م) ابنه، فقال:

ـ «إذا أنا مت .. فأغمض عيني.. واقصدوا في كفني.. فإن يكن لي عند الله خير، أبدلني منها ثياباً من سُنْدُسٍ وإستَبْرق.. وإن يكن لي عند الله غير ذلك، سلبنيه.

«واقصدوا في حفرتي.. فإن يكن لي عند الله خير، وسعها عليّ جنّة عرضها السموات والأرض .. وإن يكن لي عند الله غير ذلك، ضيّقها عليّ حتى أشعر كأن أضلاعي قد اختلفت بعضها في بعض ..

«وأسرعوا في السير بي.. فإن يكن لي عند الله خير، قدمتموني إليه.. وإن يكن لي عند الله غير ذلك، فإنما هو شر تُلْقُونَه عن أكتافكم.. وإلى الله تُرجع الأمور» !!..

* * *

يوصي .. بالحَذَر من النساء

* يقول الإمام «عليّ بن أبي طالب» كَرَّمَ اللّـهُ وَجْـهَـهُ ـ (٢٣ق.هـ ـ ٤٠هـ) ـ وقد جرى ذِكْر النساء عنده ـ فقال:

ـ «لاتتخذوا النساء على حال.. ولا تأمنوهن على مال.. ولاتدعوهن يُدَبِّرْنَ أمر العيال.. فإنهن إن تُركْنَ وما يُرِدن، أفسدنَ المسالك، وأَوْرَدْنَ المهالك..

«وقد وجدناهن لا ورع لهن عند شهواتهن.. ولا مروءة لهن عند خلواتهن.. يتهافتن على العصيان.. ويتمادين على الطغيان.. وينكرن الكثير إذا مُنعن القليل..

«ينسين الخير .. ويَذْكُرْنَ الشر..

«أما صوالحهن، فغادرات.. وأما طوالحهن، ففاجرات.. وأما المعصومات، فهن المعدودات..

«إذا ائتُمِنَّ على مالٍ: ضاع.. أو على سِرٍّ: شاع..

«فاستعيذوا بالله من شرارهن، وكونوا على حَذَرٍ من خِيارهن» !!..

* * *

يوصيه .. بأن يكون ميزاناً!!

* وأوصى الإمام «على بن أبى طالب» أحد أولاده، فقال:

ـ «يا بُنى.. أوصيك بتقوى اللهِ (عز وجل) في الغيب، والشهادة..وكلمة الحق فى الرضا، والغضب.. والقصدَ فى الغنى، والفقر.. والعدل فى الصديق، والعدو .. والعمل فى النشاط، والكسل.. والرضا عن الله تعالى فى الشدة، والرخاء»..

* * *

يوصى كاتبه .. بتحسين خَطِّه !!

* أوصى الإمام «علىٌّ بن أبى طالب» ـ (٢٣ق.هـ ـ ٤٠هـ) كرَّم الله وجهه، كاتبه «عبيد الله بن أبى رافع» ليحسن خطه، فقال:

ـ «ألقِ دواتك. وأطِلْ جلفة قلمك. وفَرِّج بين السطور .. وقرمط بين الحروف.. فإن ذلك أجدر بصباحة الخط»..

* * *

يوصيه بالأحرار .. والسفلة!!

* أوصى «عمرو بن العاص» ـ (٥٠ق.هـ ـ ٤٣هـ = ٥٧٤ـ٦٦٤م) ـ «معاوية بن أبي سفيان» ـ (٢٠ق.هـ ـ ٦٠هـ) ـ بقوله:

ـ يا أمير المؤمنين .. إني موصيك..

قال:

ـ أجل، فأوصني..

قال:

ـ «انظر فاقة الأحرار، فاعمل فى سدها.. وطغيان السفلة، فاعمل على قمعها.. واستوحش من الكريم: الجائع .. ومن اللئيم: الشبعان.. فإنما يصول الكريم، إذا جاع.. واللئيم، إذا شبع»!!

* * *

وصية «عمرو بن العاص» لابنه بعدم المدح والنوح على قبره

* لما حضرت الوفاة «عمرو بن العاص» ـ (٥٠ ق . هـ ـ ٤٣ هـ = ٥٧٤ ـ ٦٦٤م) ـ أوصى بنيه قائلا:

ـ «إني لست في الشّرك الذى لو مُتُّ عليه أُدخلْتُ النار، ولا فى الإسلام الذى لو مُتُّ عليه أُدخلت الجَنَّة.. فمهما قَصّرتُ فيَه، فإني مستمسك بلا إلهَ إلا الله.. فلا تبكوا عليّ.. ولا يتبعنى مادح، ولا نائح.. وشُنُّوا عليّ التراب شناً، فليس جنبى الأيمن أَوْلَى بالتراب من الأيسر.. ولا تجعلوا فى قبرى خشبة

ولا حجرا .. وإذا واريتمونى، فاقعدوا عند قبرى قَدْر نحر «جزور» وتفصيلها: أستأنس بِكُمْ» !!.

* * *

وصية .. للقضاة!!

* أوصى «عمر بن عبد العزيز» ـ (٦١هـ ـ١٠١هـ) خامس الخلفاء الراشدين، فقال:

ـ «إذا أتاكم الخَصْم، وقد فُقِئت عَيْنُهُ .. فلا تحكُمْ له حتى يأتى خصمه، فربما فُقئتْ عيناهُ جميعاً» !!.

* * *

يوصيه .. بأن يجمع له أمر الدنيا والآخرة

* وكتب أمير المؤمنين «عمر بن عبد العزيز» ـ (٦٨١ـ٧٢٠م) ـ إلى «الحسن بن يسار البصرى» ـ (٦٤٢ـ ٧٢٨م) ـ يطلب إليه أن يجمع له أمر الدنيا، ويصف له أمر الآخرة.. فكتب إليه:

«إنما الدنيا: حلم .. والآخرة: يقظة.. والموت: متوسط.. ونحن فى أضغاث أحلام.. فمن حاسب نفسه: ربح.. ومن غَفَل عنها: خسر.. ومن نظر فى العواقب: نجا.. ومن أطاع هواه: ضَل.. ومن حلم: غَنم.. ومن خاف: سَلم.. ومن اعتبر: أبصر.. ومن أبصر: فَهم.. ومن فَهم: عَلَم.. ومن علم: عَمَل.. فإذا زَلَلْتَ، فارجع.. وإذا نَدمْتَ، فأقلع.. وإذا جَهِلْتَ، فاسأل.. وإذا غضبت، فأمسك» ..

* * *

يوصى ابنه بالأصل.. والفرع.. والثمر!!

* أوصى الإمام «أبو عبد الله جعفر الصادق» - (٦٩٩-٧٦٥م) - ابنه قائلاً:

- «يا بُنى.. إذا طلبت الجود، فعليك بمعادنه.. فإن للجود معادن.. وللمعادن أصولاً.. وللأصول فروعاً.. وللفروع ثمراً..

«ولا يطيب ثمر، إلا بأصول..

ولا أصل ثابت، إلا بمعدن طيب..

- يا بُنى.. إن زُرْت، فَزُر الأخيار.. ولا تَزُر الفُجّار.. فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها.. وشجرة لا يخْضَرّ ورقها.. وأرض لا يظهر عُشبها» !!..

* * *

يوصيه باللسان!

* روى أن «هارون الرشيد» (خامس الخلفاء العباسيين) حَكَم (٧٨٦-٨٠٩م) - قال لـ «عبدَ الملك الباهلى الأصمعى» (٧٤٠-٨٣١):

- ما أحسن ما مَرَّ بِكَ فى تقويم اللسان؟..

قال الأصمعى:

- أوصى رجل بعض بنيه، فقال:

- «يا بُنى.. أصلحوا من ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة فيتجمل فيها .. فيستعير من أخيه، ومن أبيه، ومن صديقه ثوبه.. ولا يعيره لسانه».. فأنشد فى ذلك:

* * *

وما حسن الرجال لهم بزين إذا لم يسعد الحسن اللسان
كفى بالمرء عيباً أن تراه له وجه، وليس له لسان

* * *

يوصى ببيع غلامه[1]!!

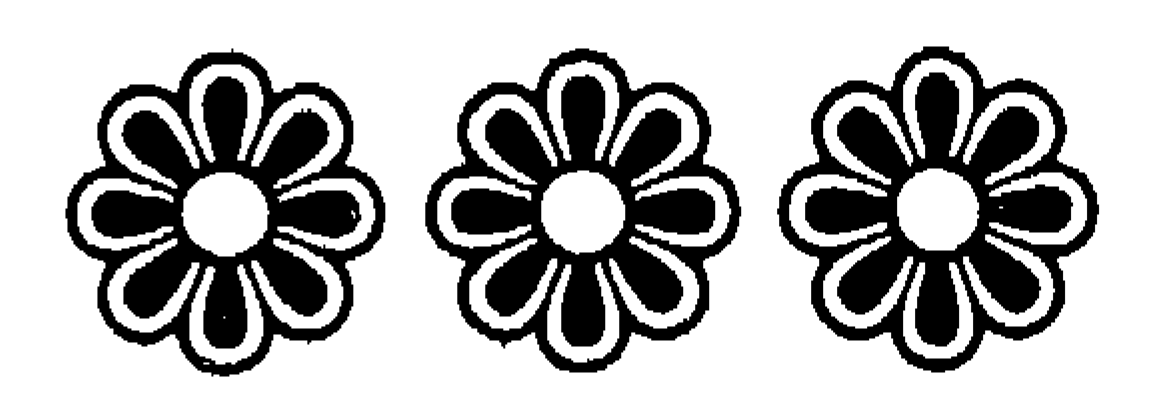
* «**هرم بن حيان العبدى الأزدى**» ـ (**توفى بعد عام ٢٦هـ ـ ٦٤٧م**) ـ من بنى عبد القيس، قائد فاتح من كبار النسّاك من التابعين .. ولى بعض الحروب فى أيام «**عمر**» و«**عثمان**» بأرض فارس..

أوصى ذات يوم ـ لما حضرته الوفاة، وقيل له أوصِ ـ فقال:

ـ لا أدرى ما أوصى به، ولكن بيعوا درعى، فاقضوا دينى.. فإن لم يَفِ، فبيعوا فَرَسِى.. فإن لم يتم، فبيعوا غُلامى..

ـ وأوصيكم بخواتيم سورة «النحل»: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ* وَإِنْ عَاقَبْتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ، وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ..

(الآيتان ١٢٥، ١٢٦)



(١) الغلام هنا ليس ولده، ولكن (الرقيق) الذى كان يباع ويشترى فى الأزمان الخالية.

نوادر .. وغرائب

وصايا الصالحين

* غرائب وصايا الصالحين :

يوصيه .. بشرب السموم!!

* عن «محمد بن رافع بن أبى زيد القشيرى النيسابورى» المتوفى عام (٢٤٥هـ ـ الموافق سنة ٨٥٩م) أنه قال:

ـ أقبلتُ من بلاد الشام، فبينما أنا فى بعض الطريق، رأيت فتى عليه جُبَّـة من صوف، وبيده ركوة[1]، فقلت له:

ـ أين تريد؟..

قال:

ـ لا أدرى..

فقلت:

ـ من أين جئت؟..

فقال:

ـ لا أدرى..

فظننته موسوساً، فقلت له:

(١) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء..

ـ مَنْ خلَقَكَ؟..

فاصفر لونه حتى كأنه صُبِغَ بالزعفران، ثم قال:

ـ خلَقَنى من لا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء..

فقلت:

ـ يرحمك الله أنا من إخوانك، وممن يأنس إلى أمثالك، فلا تنقبض منى..

فقال:

ـ إنى والله أود لو أجاز لى ترك الجماعات حتى أنفرد فى شاهق منيف، صعب المرتقى، أو فى غار، لعلى أجد قلبى ساعة، يسلو عن الدنيا وأهلها..

فقلت:

ـ وما جنت عليك الدنيا حتى استحقت منك هذا البغض؟

فقال:

ـ جناياتها: العمى عن جناياتها..

فقلت له:

ـ هل من دواء تعالج به من هذا العمى الذى حجب عنّى ما يُراد بى؟..

فقال:

ـ ما أراك تقدر على هذا العلاج.. فاستعمل من الدواء أيسره ..

فقلت:

ـ صف لى دواءً لطيفاً..

قال:

ـ فما داؤك؟..

قلت له:

ـ حُبّ الدنيا..

فتبسم وقال:

ـ أى داء أعظم من هذا؟.. ولكن أوصيك أن تشرب السموم الطرية .. والمكاره الصعبة..

قلت:

ـ ثم ماذا؟..

قال:

ـ ثم مُرّ الصَّبْر الذى لا جَزَعَ فيه.. والتعب الذى لا راحة فيه ..

قلت:

ـ ثم ماذا؟..

قال:

ـ ثم الوحشة التى لا أُنسَ فيها.. والفُرْقَة التى لا اجتماع معها..

قلت:

ـ ثم ماذا؟..

قال:

ـ ثم السّلُو عما تريد.. والصبر عما تحب .. فإن أردت.. فاستعمل هذا.. وإلا فتأخرْ، واحذر الفِتَن، فإنها كقطع الليل المظلم..

قلت له:

ـ فَدُلّنِى على عملٍ يُقربنى إلى الله عَزّ وَجَل..

فقال:

ـ يا أخى.. قد نظرت فى جميع العبادات، فَلَمْ أَرَ أرفع ـ أو قال: أنفع ـ من الفرار من الناس، وترك مخالطتهم.. يا أخى .. رأيت القلب عشرة أجزاء، فتسعة مع الناس، وجزء مع الدنيا.. فمن قَوِىَ على الانفراد، حاز تسعة أجزاء من القلب..

ثم غاب عنّى، فلم أَرَهُ.. رضى الله تعالى عنه..

أوصى فأوفى..

* * *

يوصى بعروق الفقر.. وورق الصبر!!

* وحكى «**عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني**» - (٦٧٨- ٧٦٨هـ) - هذه الحكاية فى (**روض الرياحين**) فقال:

عن بعض الصالحينِ رضى الله تعالى عنهم قال: مررتُ بطبيب، وبين يديه جَمْع من الناس، وهو يَصِف لهم ما يشربون... فتقدمتُ إليه، فَجَسَّ يدى جَسّاً لطيفاً، وقال لى:

قـال:

أرى بك داء ليس يبلغه وصفى ولكن بحمد الله يبريك ذو اللطف
فصحتُ من الآلامِ صيحة مغرم صدقت وقد أظهرت جملة ما أخفى
فَجُدْ لى بوصفٍ فيه بُرئى من الضنا فقد حل بِما بى من سقامى ومن ضعفى

قـال :

- فأطرقت ساعة، ثم أوصى قائلاً: خُذْ عروق الفقر.. مع ورق الصبر.. مع إهليلج[1] التواضع.. ثم ألق الجُملة فى ظرف اليقين.. واجعل عليه ماء الخشية والحياء.. وأوقد تحته نار الحزن والشجى.. ثم صَفِّه بمنخل المراقبة، فى جام[2] الرضا.. وامزجه بشراب التوكل.. وتناوله بكفَ الصدق.. واشربه بكأس الاستغفار.. وتمضمض بعده بماء الورِع.. واجعل حميتك[3] فى ترك الحرص والطمع.. فإنك، إن فعلت هذا رجوتُ لك الشفاء إن شاء الله تعالى..

وأنشدوا:

قل للطبيب إذا ما جئت تسأله هل فى علومك ما يشفى من الكمد
إنى مرضت بأوزارى وفجعتها وليس بى ألم أشكوه فى جسدى

---

(١) الإهليلج: عقار من الأدوية..
(٢) الجام: الإناء..
(٣) حميتك: أنفتك..

يوصيه .. بحب الندامة!!

* وروى صاحب (روض الرياحين) أيضاً: أن أمير المؤمنين «**عليّ بن أبى طالب**» ـ (٢٣ق.هـ ـ ٤٠هـ) كرّم الله وجهه ـ مرّ فى بعض شوارع (**البصرة**)، فإذا هو بحلقة كبيرة، والناس حولها يمدون إليها الأعناق، ويشخصون إليها بالأحداق.. فمضى إليهم لينظر ما سبب اجتماعهم؟..

فإذا فيهم شابّ حسن الشباب، نقى الثياب، عليه هيبة الوقار، وسكينة الأخيار، وهو جالس على كرسى، والناس يأتونه بقوارير من الماء، وهو ينظر فى دليل المرضى، ويَصِفُ لكل واحد منهم ما يوافقه من أنواع الدواء..

فتقدم إليه وقال:

ـ «السلام عليك أيها الطبيب ورحمة الله وبركاته، هل عندك شيء من أدوية الذنوب؟.. فقد أعيا الناس داؤها، يرحمك الله؟» ..

فأطرق الطبيب برأسه إلى الأرض، ولم يتكلم.. فناداه ثانية كذلك، فلم يتكلم.. فناداه الثالثة كذلك..

فرفع الطبيب رأسه بعدما رد السلام، فقال:

ـ أوَتَعْرِف أدوية الذنوب بارك الله فيك؟..

قال:

ـ نعم..

قال:

ـ صف وبالله التوفيق..

قال:

ـ تعمد إلى بستان الإيمان.. فتأخذ منه عروق النية.. وحَبَّ الندامة.. وورق التدبر.. وبذر الورع.. وثَمَر الفقه.. وأغصان اليقين.. ولُبّ الإخلاص.. وقشور الاجتهاد.. وعروق التوكل.. وأكمام الاعتبار.. وسيقان الإنابة.. وترياق التواضع...

وأوصيك بأن تأخذ هذه الأدوية بقلب حاضر، وفهم وافر، بأنامل التصديق.. وكف التوفيق.. ثم تضعها فى طبق التحقيق، ثم تغسلها بماء الدموع.. ثم تضعها فى قِدْر الرجاء.. ثم توقد عليها بنار الشوق حتى ترغى وتزبد الحكمة.. ثم تفرغها فى صحاف الرضا.. وتُروِّح عليها بمراوح الاستغفار.. وينعقد لك من ذلك شَرْبَة جيدة.. ثم تشربها فى مكان لايراك فيه أحد إلا الله.. فإن ذلك يُزيل عنك الذنوب، حتى لا يبقى عليك ذنب.. ثم أنشأ الطبيب يقول:

يا خاطب الحوراء فى خدرها ... شَمِّـر فتقوى الله من مَهْرها

وكن مُجداً لا تكن وانيا ... وجاهد النفس على صبرها

ثم شهق شهقة فارق بها الحياة الدنيا.. فقال رضى الله عنه:

ـ والله إنك لطبيب الدنيا والآخرة..

ثم أمر بتجهيزه ودفنه رحمة الله تعالى عليه..

* * *

يوصى له .. بدواء الذنوب!!

* وعن «ذى النون المصرى، أبو الفيض ثوبان» ـ (٧٧١ـ٨٥٩م) ـ الزاهد الصالح أنه قال:

ـ مررتُ ببعض الأطباء، وحوله جماعة من الرجال والنساء، وهو يَصفُ لكل واحد منهم ما يوافقه من الدواء.. فدنوت إليه، وسلمت عليه.. فَردَّ عَلىَّ السلام، فقلت له:

ـ يرحمك الله.. صِفْ لى دواء الذنوب..

وكان حكيماً حاذقاً.. فأطرق ساعة، ثم قال لى:

ـ إن وصفت لك تفهم؟..

فقلت:

ـ نعم، إن شاء الله تعالى..

فقال:

ـ خُذْ عروق الفقر.. مع ورق الصبر.. معِ إهليلج التواضع.. مع بليلج الخضوع.. مع دُهْن بنفسج الهيبة.. مع خطَمية المحبة.. مع تمر هندى السكينة.. معِ ورْد الصدق.. فإذا جمعت هذه الأوصاف، فاجعلها فى قِدْر الإحكام.. وصبَّ فوقها من ماء الأحكام.. وأوقد تحتها بنار الاشتياق والاحتراق.. وحركها بأحطام العظمة حتى يزبد زبد الحكمة.. فإذا صفا بصفاء الفكر.. فاجعله فى جام الذكر، وصفّه براووق الرضا.. واجعل فيه محمودة الإنابة.. وغُض مُقَل الجَد فى العمل.. واشربه فى حانوت الخلوة.. وتمضمض بماء الوفاء.. وغيِّر فَاكَ بسواك الخوف والجوع.. وشم تفاحِ القناعة.. وامسح شفتيك بمنديل الإعراض عما سوى الله تعالى.. فهذه شرْبَة تُحبِط الذنوب.. وتقرب من علام الغيوب!!

وصية بين الترك.. والتوفيق!!

* قال رجل لـ «عبد الله بن المبارك» (١١٨ـ١٨١هـ) :

ـ أوصني..

فقال:

ـ اترك فضول النظر، توفق للخشوع.. واترك فضول الكلام، توفق للحكمة.. واترك فضول الطعام، توفق للعبادة.. واترك عيوب الناس توفق لمعرفة عيوبك.. واترك الخوض في ذات الله.. تسلم من الشك والنفاق..

* * *

يوصى .. بالتصدق بقميصه!!

* قيل لـ «معروف الكرخي» ـ (٠٠٠ ـ ٢٠٠هـ = ٠٠٠ ـ ٨١٥م) ـ في عِلّتِه: أوصِ: فقال:

ـ «إذا مُت، فتصدّقوا بقميصي هذا.. فإني أحب أن أخرج من الدنيا عُرياناً، كما دخلت إليها عرياناً!!».

* * *

وصية .. يحيى بن معاذ

* أوصى «يحيى بن معاذ» ـ (٠٠٠ ـ ٢٥٨هـ = ٠٠٠ ـ ٨٧٢م) ـ بعض العلماء فقال:

ـ أيها العلماء .. إن قصوركم قيصرية ..

وبيوتكم كسروية..

وموائدكم قارونية..

وأوانيكم فرعونية..

وأخلاقكم نمرودية..

وموائدكم جاهلية..

ومذاهبكم سلطانية..

فأوصيكم بالأخلاق المحمدية!..

* * *

يوصيه بالتدرع .. والتحرز!!

* وأوصى أحدهم آخر، فقال له:

ـ اخلع سربال الاتكال.. وتنكب عثرات الاسترسال.. وتدرع جلباب الاجتهاد .. وتحرز من نكبات الانقياد ..

* * *

يوصيه باليأس .. وعدم الحاجة للناس!!

* إنه «عبد الله بن مسعود الهذلى» المتوفى عام (٣٢هـ) وهو من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً..

عندما حَضَرَهُ الموت، دعا ابنه فقال:

ـ «يا عبد الرحمن.. إنى أوصيك بخمس خصال، فاحفظهن عنى:

ـ «أظهر اليأس للناس.. فإن ذلك غنىً فاضل..

ـ «وَدَعْ مطلب الحاجات إلى الناس.. فإن ذلك فقر حاضر..

ـ «ودع ما تعتذر منه من الأمور.. ولا تعمل به..

ـ «وإن استطعت أن لا يأتى عليك يوم إلا وأنت خير منك بالأمس.. فافعل..

ـ «فإذا صليت صلاة، فصل صلاةَ مودع كأنك لا تُصلّى بعدها»!!.

* * *

يوصى .. بشدّه على سريره!!

* وروى الحافظ «أبو سليمان الربعى» المتوفى عام (٣٧٩هـ) فى «وصايا العلماء»: أن «عمران بن حصين» المتوفى عام (٥٢هـ) عندما احتضر قال:

ـ إذا أنا مُتُّ فَشُدُّونىَ على سريرى بعمامة.. فإذا رجعتم فانحروا وأطعموا!!..

* * *

يوصيه بألا يتكلم!!

* جاء رجل إلى «**سلمان الفارسى**» المتوفى عام (**٣٦هـ**) فقال له :

- أوصنى..

قال سلمان:

- لا تتكلم..

قال الرجل:

- لا يستطيع من عاش فى الناس أن لا يتكلم..

قال سلمان:

- إذا تكلمت، فتكلم بحق.. أو اسكت..

قال الرجل:

- زدنى..

قال سلمان:

- لا تغضب..

قال الرجل:

- إنه ليغشانى ما لا أملكه..

قال سلمان:

- فإن غضبت، فأمسك لسانك ويدك..

قال الرجل:

- زدنى..

قال سلمان:

ـ لا تلابس الناس..

قال الرجل:

ـ لايستطيع من عاش فى الناس أن لا يلابسهم..

قال سلمان:

ـ فإن لابستهم، فأصدق الحديث.. وأدِّ الأمانة!!..

* * *

يوصى .. بالإقلال من الناس!!

* وأوصى رجل آخر، فقال:

«أقلل من معرفة الناس.. وارض باليسير من الدنيا مع سلامة الدين، كما رضى أهل الدنيا مع فساد الدين.. واجعل الدنيا كيوم صُمْتَهُ، ثم أفطَرْتَ على الموت» !..

* * *

يوصيه .. بأن يلقى نَفْسَهُ مع القدر!!

* قال أحد العباد الزهاد **«بشر بن بشار المجاشعى»** قلت لأحد العباد الصالحين ببيت المقدس:

ـ أوصنى..

قال:

ـ «ألقِ نفسك مع القدر حيث ألقاك.. فهو أحرى أن يفرغ قلبك، ويَقل همَّك.. وإياك أن تسخط ذلك، فيحل بك السخط وأنت منه فى غفلة لا تشعر به» !!..

ميت .. يوصى حيّــاً بابنته

* صح عن حماد بن سلمة، عن ثابت عن شهر بن حوشب: أن «**الصعب بن جثامة**» (٠٠٠ ـ ٢٥هـ = ٠٠٠ ـ ٦٤٦م) ـ .. و «**عوف بن مالك**» (٠٠٠ ـ ٧٣هـ = ٠٠٠ ـ ٦٩٢م) ـ كانا متآخيين، فقال صعب لعوف:

ـ أى أخى.. أينا مات قبل صاحبه، فليتراءى له..

قال:

ـ أوَيكون ذلك؟..

قال:

ـ نعم ..

فمات «**صعب**» .. فرآه «**عوف**» فيما يرى النائم.. كأنه قد أتاه، قال: قلت:

ـ أى أخى..

قال:

ـ نعم..

قلت:

ـ ما فُعِلَ بكم؟

قال:

ـ غُفِرَ لنا بَعد المصائب..

قال:

ـ ورأيت لمعة سوداء فى عنقه، فقلت:

ـ أى أخى .. ما هذا؟..

قال:

ـ عشرة دنانير، اقترضتها من فلان اليهودى، فهن فى قرنى فأعطوه إياها.. واعلم أى أخى أنه لم يحدث في أهلى حدث بعد موتى إلا قد لحق بى خبره، حتى هِرّة لنا ماتت منذ أيام.. واعلم أن ابنتى تموت إلى ستة أيام، فاستوصوا بها معروفاً!!.

قال عوف:

ـ فلما أصبحت، قلت إن فى هذا لمعلماً، فأتيت أهله فقالوا: مرحباً بعوف.. أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم؟.. لم تقربنا منذ مات «صعب»..

قال:

ـ فاعتللت بما يعتل به الناس.. فنظرت إلى القرن، فأنزلته.. فانتشلت ما فيه، فوجدت الصُرّة التى فيها الدنانير.. فبعثْتُ بها إلى اليهودى، فقلت: هل كان لك على «صعب» شئ..

قال:

ـ رحم الله «صعباً» كان من خيار أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هى له..

قلت:

ـ لتخبرنى..

قال:

ـ نعمْ .. أسلفته عشرة دنانير..

فنبذتها إليه..

قال:

ـ **هي والله بأعيانها..**

قال:

ـ **قلت: هذه واحدة..**

قال:

ـ **فقلت: هل حَدَثَ فيكم حَدَث بعد موت «صعب» ؟..**

قالوا:

ـ **نعم.. حدث فينا كذا، حدث فينا كذا..**

قال:

ـ **قلت: اذكروا..**

قالوا:

ـ **نعم.. هِرَّة ماتت منذ أيام..**

فقلت:

ـ **هاتان اثنتان..**

قلت:

ـ **أين ابنة أخي؟**

قالوا:

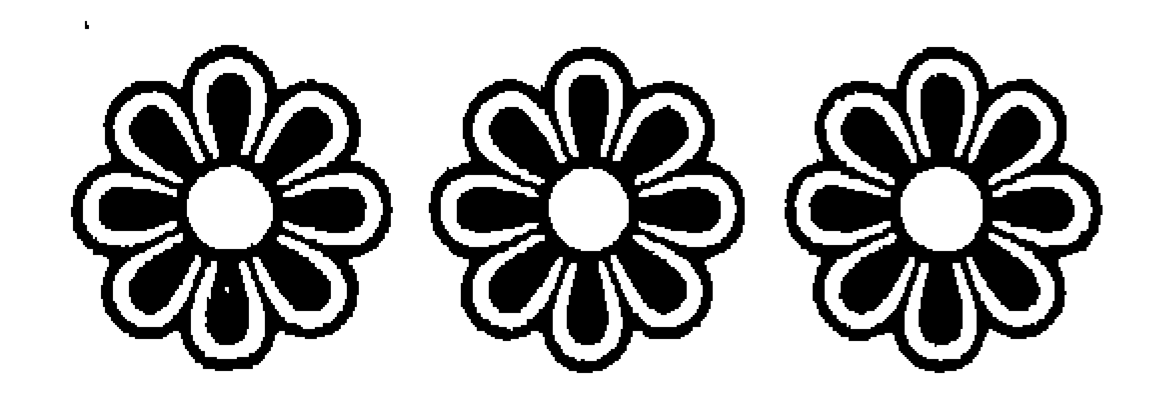
ـ تلعب..

فأتيت بها.. فمسستها، فإذا هى محمومة.. فقلت:

ـ استوصوا بها معروفاً.. مضت ستة أيام..

* * *

وهذا من فقه «عوف» رحمه الله.. وكان من الصحابة حيث نَفَّذَ وَصية «الصعب بن جثامة» بعد موته..



غرائب وصايا

الملوك..والحكام..والزعماء

* غرائب وصايا الملوك والحكام والزعماء:

يوصيه بقمع نفسه!!

* أوصى ملك من العرب ولى عهده، فقال:

«كن بالحق عمولاً.. وعما جهلْتَ سئولاً..

«وأول شئ تؤدب به نفسك: قمعها عن شهواتها، وردعها عن هواها.. فلا شيء أضرُّ بالمملكة من اتباع الهوى..

«وافحص عن الأمور: تظهر لك حقائقها..

«واستبطن أهل التقوى، وذوى الأحساب، تُزين نفسك، وتحكم أمرك..

«وإياك وقبول التزكية فيما لا تشك أنك مكذوب فيه، فإنها خدعة يتبعها صرعة!!

«ولا تُحصِّن سرّك إلا عند من يكتمه..

«ولا تثق برجُلٍ تتهمه..

«ولا تعود لسانك الخنا (الفُحش من القول)..

«ولا تكلف نفسك ما لا تقوى عليه..

«وإذا هممت بخير، فعجله.. وإذا هممت بخلافه، فتأن فيه..

«وإياك وكثرة التألى: (كثرة الحلف) فمن تألى على الله أكذبه..

وارحم: تُرحم.. والسلام»..

* * *

يوصى بالصحبة .. بعد رياضة

* وأوصى «**خالد بن صفوان**» ـ المتوفى حوالى سنة (٧٥٠م) ـ وهو من فصحاء العرب المشهورين، وأيضاً كان يجالس «**عمر بن عبد العزيز**»، و«**هشام بن عبد الملك**».. وقد وُلِدَ، ونشأ بالبصرة ـ قال:

ـ «لا تكن صحبتك للملوك إلا بعد رياضة منك لنفسك.. فإن كنت حافظاً لما ولّوك .. أميناً إذا ائتمنوك.. حذرا إذا قربوك.. ذليلاً إذا صرموك.. راضياً إذا أَسخطوك.. تعلمهم وكأنك تتعلم منهم.. وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم.. وإلا .. فالبعد منهم كل البعد.. والحذر منهم كل الحذر..

«ومن صحب السلطان بالنصيحة والأمانة.. كان أكثر عدوا ممن صحبه بالغش والخيانة.. لأنه يجتمع على الناصح عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد.. فعدو السلطان يبغضه لنصيحته، وصديقه ينافسه مرتبته»..

* * *

يوصيه بالمضاربة فى الحروب

* أوصى «**عبد الملك بن مروان**» ـ (٦٤٦ـ٧٠٥هـ) ـ أحد قادته قائلاً:

ـ «أنت تاجر الله لعباده.. فكن كالمضارب الكيس، الذى إن وجد ربحاً تجر .. وإلا تحتفظ برأس المال.. ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة.. وكن من احتيالك على عدوك، أشد حذراً من احتيال عدوك عليك»..

* * *

يوصى ابنه .. أن يلبس جلد نمر!!

* عندما احتضر «عبد الملك بن مروان» ـ (٦٤٦ـ٧٠٥م) أوصى ابنه «الوليد» ـ (٦٦٨ـ٧١٥م) ـ فقال له:

ـ يا بُنى.. إذا أنا مت.. فضعنى فى قبرى.. ولا تعصر علىّ عينيك عصر الأمة.. ولكن شَمِّر، وأتَـزِرْ.. والبس للناس جلد النمر.. فمن قال برأسه هكذا.. فقل بسيفك هكذا!!

* * *

يوصى بما أوصى به البكرى زيداً

كتب «الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى» ـ (٦٦٠ـ٧١٤م) ـ إلى «عبد الملك بن مروان» ـ (٦٤٦ـ٧٠٥م) ـ يغلظ له أمر الخوارج مع قطرى..

فكتب إليه «عبد الملك بن مروان»:

ـ أما بعد .. فإنى أحمد إليك السيف.. وأوصيك بما أوصى به «البكرى» زيـــداً..

فلم يفهم «الحجاج» ما قصده «عبد الملك» وقال:

ـ من جاء بتفسير ما أوصى به البكرى زيداً.. فله عشرة آلاف درهم..

فورد رجل على «الحجاج» يتظلم من بعض عماله، فقيل له:

ـ أتعلم ما أوصى به «البكرى زيداً» ؟

قال:

ـ نعم..

قالوا لـه:

ـ فأتِ «الحجاج» ولك عشرة آلاف درهم..

فأُحضر، فقال: أوصى البكرى قال:

أقول لزيد لا تفر فإنهم	**يرون المنايا دون قتلك أو قتلى**
فإن وضعوا حرباً فضعها وإن أبوا	**فشب وقود الحرب بالحطب الجزل**
وإن عضت الحرب الضروس بنانها	**فعرضة حد السيف مثلك أو مثلى**

فقال الحجاج:

ـ **صدق أمير المؤمنين، وصدق «البكرى»** .. وكتب إلى «**المهلب بن أبى صفرة**» (٦٢٨ـ٧٠٢م): إن أمير المؤمنين أوصى لى بما أوصى به البكرى زيداً.. وأنا أوصيك بما أوصى به، وبما أوصى به «**الحارث بن كعب**» بنيه..

فأتى «**المهلب**» بوصيته، فإذا فيها:

ـ **«يا بنى.. كونوا جيمعا، ولا تكونوا شتى، فتفرقوا.. وبزوا قبل أن تُبزُّوا.. فموت فى قوة وعز، خير من حياة فى ذل وعجز»**.

فقال الحجاج:

ـ «**المهلب**» صدق «**البكرى، والحارث**»..

* * *

يوصى .. بإخراج يده من كفنه

* أوصى «**الإسكندر الأكبر**» ـ «**الإسكندر الثالث**» (٣٥٦ـ٣٢٣ق.م) ملك مقدونيـا ـ أوصى أن تُخْرج يده من الكفن عند دفنه، بعد موته، ليرى الجميع أن الذى مَلَكَ الأرض بأسرها لم يأخذ معه شيئاً..

وهكذا نحن.. نذهب، لا بما كسبناه من المال، بل بما ربيناه فى أنفسنا من العزة وكرم الأخلاق، وطهارة القلب.. أو العكس..

* * *

يوصى أولاده .. بالمكائد!!

* «المهلب بن أبى صفرة» ـ (٧هـ ـ٨٣هـ) من كبار سادات العرب.. وقواد الجيوش ـ أوصى أولاده قائلاً:

ـ «يا بُنىّ.. تواصلوا: تتحابوا.. إن البر يمد فى الأجل، ويزيد فى العدد.. وإن القطيعةَ تورث القِلّة، وتعقب النار بعد الذلة..

«واتقوا زَلّة اللسان، فإن الرجل تَزِلّ رجله فينتعش، ويزل لسانه فيهلك..

«وعليكم بالمكيدة، فإنها أبلغ فى النجدة.. وإن القتال إذا وقع: وقع القضاء.. فإن ظَفَرَ الرجل ذو الكيد والحزم: سعد.. وإن ظُفِرَ به: لم يقولوا: فرط.. أو قصر»..

* * *

وصية .. صارت مثلاً

* إنه «وكيع بن سلمة بن زهير الإيادى» كان من قضاة العرب فى الجاهلية، عندما حضرته الوفاة جمع « إياداً » وقال لهم:

ـ «اسمعوا وصيتى.. الكلام: كلمتان.. والأمر، بعد البيان.. من رشد، فاتبعوه.. ومن غوى، فارفضوه.. وكل شاة برجلها معلقة».. (فأرسلها مثلاً)..

* * *

وصية على عظم جمل!

* من أعجب ما تحتوى دار الآثار العربية ـ التى أنشأها «**الخديوى اسماعيل**» فى أوائل سنة ١٨٦٩ ـ عظمة مستخرجة من ظهر جمل، كتب عليها أحد الأعراب ـ الذين كانوا يقطنون مدينة الفسطاط فى أيام حكم السلطان «**محمد سليم**» ـ وصيته عن البيت الذى يملكه.. وهذا نصها:

ـ «أوصى أنا عثمان بن على بن محمود.. أن دارى الموجودة بمدينة الفسطاط (غربى النيل) يلزم أن تأخذ منها زوجتى «عائشة بنت يونس بن الكامل» نصيبها من ورث دارى المذكور نصفه، والباقى ينقسم بين ابنى «على» وشقيقه «عمرو» .. وقد كتبت هذه الوصية لأن يأخذ كل واحد منهم نصيبه بعد وفاتى» ..

وقد وجدت هذه الوصية الأثرية فى عام ١٩٠٥م بالقرب من مصر القديمة..

غرائب وصايا

الحكماء والآباء..للأبناء

* غرائب وصايا الحكماء، والآباء للأبناء:

يوصيه .. بخصال لا يخالطها صفات!!

* أوصى «لُقمان الحكيم» ـ (١٠٥٠ـ٩٥٠ق.م) ـ ولده، فقال:

ـ «يا بُنى.. أخلص طاعة الله ـ عز وجل ـ حتى لا يخالطها شيء من معاصيه..

«ثم زين طاعة الله ـ عز وجل ـ باتباع أهل الحق، بعلم محكم، لايخالطه سقط..

«ثم اجمع علمك وخُصّهُ بحلم، لا يخالطه حمق..

«ثم احرز حلمك بلين، لا يخالطه جهل..

«ثم سدد لينك بحزم، لا يخالطه ضياع..

«ثم امزج حزمك برفق، لا يخالطه عنف..

«ثم قــوِّ رفقك بفقه، لا يخالطه غيّ..

«ثم أكمل فقهك بإيمان، لا يخالطه كفر..

«ثم زين إيمانك بيقين، لا يخالطه شك..

«ثم زين يقينك بنصح، لا يخالطه غش..

«ثم زين نصحك بعمل، لا يخالطه عجز..

«ثم طيِّب عملك بقصد، لا يخالطه فخر..

«ثم أعِنْ قصدك بكيْس، لا يخالطه ضعف..

«ثم زين كيسك بإخلاص، لا يخالطه ريب..

«ثم زين إخلاصك بصدق، لا يخالطه كذب..

«ثم زين صدقك بإحسان، لا يخالطه فحش..

«ثم زين إحسانك بمعروف، لا يخالطه منكر..

«ثم زين معروفك بنفقة، لا يخالطها إسراف..

«ثم زين نفقتك بإعطاء، لا يخالطه تبذير..

«ثم زين إعطائك بطيب نفس، لا يخالطه منّ..

«ثم استبق من الأخلاق الخالصة من أضدادها فى استقامة لا تردك عن ذلك رغبة، ولا رهبة..

«واتق أخلاق الأحمق في محاسن أمره.. فكيف فى مساوئه!!».

* * *

يوصى الوالى .. بألا يحب المدح

* أوصى «عبد الله بن المقفع» ـ (٧٢٤ـ٧٥٩هـ) ـ أحدهم قائلاً له:

ـ «إياك ـ إذا كنت والياً ـ أن يكون من شأنك حب المدح، والتزكية.. وأن

يعرف الناس ذلك منك.. فتكون ثلمة من الثلم، يقتحمون عليك منها.. وباباً يفتحونك منه.. وغيبة يغتابونك بها، ويضحكون منك لها..

«واعلم أن قابل المدح كمادح نفسه.. والمرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذى يحمله على رده.. فإن الراد له ممدوح، والقابل له معيب»!!..

* * *

يوصى .. بعدم المبادأة

* وأوصى «عبد الله بن المقفع» أحدهم فقال:

ـ« لا تعتذرن إلا إلى من يحب أن يجد لك عذراً..

«ولا تستعينن إلا بمن يحب أن يظفرك بحاجتك..

«ولا تحدثن إلا من يرى حديثك مغنماً، ما لم يغلبك الاضطرار» ..!!

* * *

يوصى .. بعدم مشورة النساء!!

* وأوصى ـ أيضاً «عبد الله بن المقفع» ـ فقال:

ـ« إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أَفَن، وعزمهن إلى وهن، واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن.. فإن شدة الحجاب خير لك من الارتياب.. وليس خروجهن بأشد من دخول من لا تثق به عليهن.. فإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل.. ولا تملكن امرأة من الأمر ما جاوز نفسها، فإن ذلك أنعم لحالها، وأرضى لبالها، وأدوم لجمالها»..

* * *

وصايا .. شيخ كبير

* هذه وصية صدرت عن شيخ كبير، عارف بالوقائع بصير.. أصدرها عن نية خالصة، وأوردها قاصدا بها النصيحة .. قال:

الشيخ: لا يخاشن .. والنذل: لا يحاسن..

والتركي: لا يغضب، والمحبوب لا يضرب.. والأحمق لا يعتب، ومنخل الود لايقرب..

والسلطان لا يرادد.. والقاضي لا يعاند..

والوالي لا يخاصم.. والأب لا يحاكم.. وصاحب الحق لا يشاتم..

والشرير لا يكلم .. والنحس لا يُقدم .. والكريم لا يغتم..

والأمرد لا يشاكل .. والفاجر لا يجامل .. والفلاح لا يعامل .. والمبتلى لايواكل..

والصاحب لا يعدم .. والغائب لا يشتم..

والشاب لا يفلت .. والمهاب لا يشمت..

والزوجة لا تجلد .. والحق لا يجحد..

والكذاب لا يعاشر، والنمام لا يسارر .. والعاجز لا يشاور، والكبير لا يكابر..

والهارب لا يستخبر .. وبالجبان لا يستنصر..

واللئيم لا ينصف .. والرائع لا يسلف..

والقبطي لا يؤمن .. والعجمي لا يسكن إليه ولا يركن..

والخائن لا يدخل .. والمجالس لا تنقل..

والشاهد لا يشاحن .. والأعزب لا يساكن..

والعدو لا يغفل عنه ولا ينام .. وطالب الرزق من وجهه لا يلام ..

والصديق لا يداجي .. والأبخر لا يناجي..

واللغوى لا يسمع .. والوضيع لا يرفع..

والبِكْر لا يُسلم عليها .. والأَمَة لا يتودد إليها..

والشاعر لا يعادى .. والبخيل لا يهادى..

والنساء لا يسمح لهن بشرب المدام .. ولا ينام بين القعود، ولا يقعد بين النيام..

والبغى المستتر لا يحاقق .. والحبيب لا يفارق..

والعبد لا يمازح، والجار لا يقابح .. والرفيق لا يشاحح، والظنين لا يسامح..

والفاسق لا يسامر .. والشريف لا يفاخر..

والخسيس لا يكارم .. والجاهل لا يكالم..

والحقود لا يصافى .. والحسود لا يلافى..

والفاجر لا يركن إليه ولا يستند .. ومن يحب التعظيم لا يعتقد ..

والمعرض لا يغضب منه .. والزنديق ليست له توبة..

والمرأة لا يُحسن بها الظن .. وكل فن لا يؤخذ إلا من أهل ذلك الفن..

والخير لا يؤخر .. والجليل لا يصغر..

والشر لا يعجل .. والضعيف لا يهمل..

والباغى لا ينصر .. والصغير لا يحقر..

والرسول لا يقتل .. والهدية من كل أحد لا تقبل..

والدعاء لا يترك .. وباللهِ العظيم لا يُشرك!!..

والأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ لا يُذكرون إلا بالتعظيم.. وقولهم لا يُتلقى إلا بالتسليم..

والصحابة ـ رضى الله عنهم ـ لا ينسب لهم فعل قبيح..

ولا يضعف قول أحد منهم إلا بدليل صحيح، ولفظ صريح..

والخلق لا يعاملون إلا بالإحسان .. وكما تُدين تُدان..

و... الســـلام(*)..

* * *

من ذهب الوصايا

* أوصى حكيم قائلاً:

«من أوعظك، فقد أيقظك..

«ومن بصرك، فقد نصرك..

«ومن أوضح وبيّن، فقد نصح وزيّن..

«ومن حذر وبصر، فما غدر وما قصر» !!.

(*) الكنز المدفون ـ للسيوطى ..

ميزان الوصايا

* قال بعض العلماء يوصى بعضهم بعضاً:

«لا تتكلف ما لا تطيق..

«ولا تتعرض لما لا تدرك..

«ولا تَعِد بما لا تقدر عليه..

«ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد..

«ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت..

«ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله تعالى..

«ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك أهلاً له» !!.

* * *

يوصى .. بالغرس .. والجنى!!

* وأُوصى بعض العلماء قائلاً:

«من غرس العلم : اجتنى النباهة..

«ومن غرس الزُهد : اجتنى العزة..

«ومن غرس الإحسان : اجتنى المحبة..

«ومن غرس الفكرة : اجتنى الحكمة..

«ومن غرس الوقار : اجتنى المهابة..

«ومن غرس المداراة : اجتنى السلامة..

«ومن غرس الكِبْر : اجتنى المقت..

«ومن غرس الحرص : اجتنى الذلة..

«ومن غرس الطمع : اجتنى الخِزْى..

«ومن غرس الحسد : اجتنى الكمد» !!..

* * *

يوصى .. بعدم مشورتهم

* قال «قيس» لابنه يوصيه:

«لا تشاور مشغولاً .. وإن كان حازماً..

«ولا جائعاً .. وإن كان فهيماً..

«ولا مذعوراً .. وإن كان ناصحاً..

«ولا مهموماً .. وإن كان فطناً .. فالهم يعقل العقل، ولا يتولد منه الرأى» !!..

* * *

يوصى أولاده .. بإخافة الناس !!

* أوصى «أود بن صفر بن سعد» العشيرة، فقال لهم:

- «يا بُنى .. سلوا الناس، ولا تخبروهم .. وأخيفوهم ولا تخافوهم» ..!!.

* * *

وصية .. وتجربة

* دعا «**أكثم بن صيفي**» المتوفى عام (٩هـ ـ ٦٣٠م) .. أولاده عند موته .. فاستدعى إضمامة من السهام .. فتقدم إلى كل واحد منهم أن يكسرها، فلم يقدر أحد على كسرها .. ثم بددها، فتقدم إليهم أن يكسروها .. فاستسهلوا كسرها، فقال:

ـ **«أوصيكم .. أن تكونوا مجتمعين، ليعجز من ناوأكم عن كسركم، كعجزكم عن كسرها مجتمعة .. فإنكم إن تفرقتم : سهل كسركم»** ..

وأنشد :

كونوا جميعاً يا بُنى إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت أفراداً

* * *

يوصى ابنه .. بكلبه خيراً

* عن «**الأصمعى، عبد الملك الباهلى**» (٧٤٠ ـ ٨٣١م) قال:

ـ حضرت بعض الأعراب الوفاة، وكلب فى جانب خيمته، فقال لأكبر ولده:

ـ **«أوصيك يا بُنى به خيرا، فإن له صنائع لا أزال أحمدها.. يدل ضيفى علىّ فى غسق الليل، إذا النار نام موقدها»** !!.

* * *

وصية أب لابنته .. بدلاً من أمها!!

* أوصى «أسماء بن خارجة» ـ (توفى عام ٦٦هـ ـ ٦٨٦م) ابنته «هند» ـ حين أراد «الحجاج بن يوسف» (٤٠هـ ـ ٩٥هـ) البناء عليها ـ فقال:

ـ يا بُنية .. إن الأمهات يؤدبن البنات .. وإن أمك هلكت وأنت صغيرة .. فعليك بأطيب الطيب: الماء .. وأحسن الحسن: الكحل.. وإياك وكثرة المعاتبة، فإنها قطيعة للود..

وإياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق..

وكونى لزوجك أمة، يكن لك عبداً..

واعلمى أنى القائل لأمك:

خُذى العفو عنى تستديمى مودتى ... ولا تنطقى فى ثورتى حين أغضب

ولا تنقرينى نقرة الدُف مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيب

فإنى وجدت الحب والصد والأذى ... إذا اجتمعت لم يلبث الحب يذهب

* * *

وصايا الكندى العجيبة

* أوصى «يعقوب بن اسحاق الكندى» ـ (٨٠١ ـ٨٦٥م) ـ فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها ـ فقال لابنه «أبى العباس»:

ـ «يا بُنى .. الأب : رب ..

والأخ : فخ..

والعـم : غـم..

والخـال : وبـال..

والولد : كمد..

والأقارب : عقارب..

وقول «لا» : يصرف البلا..

وقول «نعم» : يزيل النعم..

وسماع الغناء : برسام حاد.. لأن الإنسان يسمع فيطرب .. وينفق فيسرف .. فيفتقر.. فيغتم.. فيعتل .. فيموت..

والدينار : محموم .. فإن صرفته مات..

والدرهم : محبوس .. فإن أخرجته .. فَرّ..

والناس : سخرة .. فخذ شيئهم، واحفظ شيئك.. ولا تقبل من قال اليمين الفاجرة .. فإنها تدع الديار بلاقع» !!..

* * *

يوصى بالعقل .. والنفس!!

* وأوصى بعض الحكماء ابنه قائلاً :

ـ «اعلم يا بنى .. أن العقل كالزوج..

والنفس كالزوجة..

والجسم كالبيت لهما..

«فإذا كان سلطان العقل غالباً، قاهراً للنفس.. اشتغلت النفس بمصالح الجسم، إما لمنفعة تجلبها، أو لمضرة تجتنبها.. كما تشتغل الزوجة ـ التى قهرها زوجها ـ بمصالح بيتها العائدة عليها وعلى زوجها.

«وإن كان سلطان النفس على العقل غالباً .. كان سعى النفس فاسداً، ونزعاتها مذمومة.. كفعل الزوجة التى قهرت زوجها.. فافهم يا بُنى وتدبَّر.. والله الميسر» !!..

* * *

يوصيه بالعصيان

* أوصى حكيم ولده قائلاً:

ـ «يا بُنى.. اعص هواك، والنساء .. واصنع ما شئت»..

* * *

يوصيه .. بالحذر من النساء

* ومما ورد فى الوصايا البليغة: أن رجلاً قال لابنه محذراً :

ـ «**يا بنى .. إياك والمرأة الرقوب**: (التى تراقبه أن يموت، فترثه) ..

الغضوب : (التى تغضب لأتفه الأشياء) ..

القطوب : (الدائمة العبوس) ..

الغلباء الرقباء : (الغليظة الرقبة) ..

اللفوت : (التى عينها لا تثبت فى موضع واحد، إنما همها أن يغفل عنها فتغمز غيره) ..

الشوساء : (المتكبرة، المتعجرفة)..

المنانة : (التى تمن على زوجها بمالها)..

الأنانة : (الكثيرة الأنين)..

الحنانة : (التى تحن إلى زوجها السابق)..

واعلم أن من النساء جماعاً يجمع.. وربيعاً تربع.. وخروجاً تطلع.. توسع الخرق، ولا ترقع.. فاعلم يابنى واسمع» !!.

* * *

يوصى بالحذر من الكلام

★ أوصى بعض الحكماء ابنه، فقال له:

- «يا بنى .. إن من الكلام ما هو أشد من الحسام .. وأثقل من الصخر.. وأنفذ من وخز الإبر.. وأمرُّ مِنَ الصبر.. فَصُن لسانك عن لغو الكلام..

«واعلم أن القلوب مزارع، فيها طيب الأحاديث.. فإن لم ينبت فيها كله، نَبَتَ بعضه..

«وإن صمتاً تعقبه سلامة، خير من نطق يسلب كرامة..

«وأن من قَلَّ كلامه، قَلَّت آثامه.. ومن كثر لغطه، كثر غلطه..

«وأن الرجل لا يزال مهيباً، ما دام ساكتاً.. فإذا تكلم، زادت مهابته.. أو سقطت رتبته» !!.

* * *

عمدة الوصايا العشر

* قال حكيم لابنه : أوصيك يا بُنى بعشرة أشياء، فاحفظها تسلم:

«لا تلاح حديداً..

«ولا تشارك غيوراً..

«ولا تساكن حسوداً..

و«لا تجاور جاهلاً..

«ولا تناهض من هو أقوى منك..

«ولا تؤاخ مرائياً..

«ولا تكثر مجالسة النساء..

و«لا تصاحب بخيلاً..

«ولا تتملّق غنياً..

«والعاشرة هى عمدة الوصية وبها سلامة نفسك: لا تستودع سرك أحداً»..

* * *

يوصيه بحمار عجيب!!

* أتى رجل مكفوف نخاساً، فأوصاه قائلاً :

ـ «اطلب لى حماراً ... ليسْ بالصغير المحتقر، ولا بالكبير المشتهر .. إن خلا الطريق: تدفق، وإن كثّر الزحام: ترفق.. لا يصادم السوارى، ولا يدخلنى تحت السوارى.. إن أقللت علفه: صبر، وإن أكثرته: شكر .. إن ركبته: استقام، وإن ركبه غيرى: هام»..

فقال له: اصبر .. فإن مسخ الله أحداً حماراً .. قضيت حاجتك!!..

* * *

يوصى الإنسان .. بطبائع الحيوان

* أوصى «خالد بن عتاب ورقاء الرباحى» ـ المتوفى عام (٦٩٦م)، وكان من أشراف (الكوفة) ـ قائلاً فى خطبته بالمربد:

ـ «يا بنى رباح .. لا تحقروا صغيراً تأخذون عنه.. فإنى أخذت

من الليث : بسالته..

ومن الحمار : صبره..

ومن الخنزير : حرصه..

ومن الغراب : حرزه..

ومن الثعلب : روغانه..

ومن السنور : ضرعه..

ومن القرد : حكايته..

ومن الكلب : نصرته..

ومن ابن آوى : حذره..

ولقد تعلمت من القمر : سر الليل..

ومن الشمس : ظهور الحين بعد الحين» !!..

* * *

هكذا .. يكون الحزم

* وأوصى أحدهم قائلاً :

ـ « يا بُنى .. لا يصلح للحزم إلا من كان له من طبائع الحيوان :

« قلب الأسد..

« وتكبر النمر..

« وشجاعة الدب..

« وصبر النسر..

« وحراسة الكركى..

« وهداية الحمام..

« وحماية الزنبور..

« ووفاء الكلب..

« وفى حمل السلاح كالنملة » !!..

* * *

يوصى ابنه أن يكون سبعاً .. أو ذئباً .. أو كلباً!!

* أوصى بدوى ابنه فقال له :

ـ يا بنى.. كن سبعاً خالساً .. أو ذئباً خانساً .. أو كلباً حارساً .. وإياك أن تكون إنساناً ناقصاً !!..

* * *

يوصى ابنه .. بالجود والبخل!!

* أوصى بعضهم ابنه، فقال :

ـ « يا بنى.. كن جواداً بالمال فى موضع الحق.. ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق.. فإن أحمد جود المرء: الإنفاق فى وجه البر .. والبخل بمكتوم السر» !!..

* * *

يوصى ابنه بالمنح .. والمنع!!

*أوصى «كُثير بن هراسة» ابنه، فقال:

ـ « يا بنى.. إن من الناس ناساً ينقصونك إذا زدتهم، وتهون عليهم إذا أكرمتهم.. ليس لرضاهم موضع فتقصده، ولا لسخطهم موقع فتحذره..

« فإذا عرفت أولئك بأعيانهم، فأبدِ لهم وجه المودة، وامنعهم موضع الخاصة.. ليكون ما أبديت لهم من وجه المودة حاجزاً دون شرهم، وما منعتهم من موضع الخاصة قاطعا بحرمتهم» !!..

* * *

يوصى ابنه .. بالعتاب والتجلد!!

* أوصى «أوس بن حارثة» ابنه «مالك بن أوس» فقال له :

ـ « يا مالك :

« المنية، ولا الدنية..

« والعتاب، قبل العقاب..

« والتجلد، قبل التبلد..

« واعلم أن القبر، خير من الفقر..

« وشر شارب: المشتف.. (أى المستعصى)..

« وأقبح طاعم: المقتف.. (أى الآخذ بالعجلة)...

« وذهاب البصر، خير من كثير من النظر..

« ومن كرم الكريم : الدفاع عن الحريم..

« ومن قل : ذل..

« ومن أمر : فل..

« وخير الغنى : القناعة..

« وشر الفقر : الضراعة..

والدهر يومان: فيوم لك، ويوم عليك.. فإذا كان لك، فلا تبطر.. وإذا كان عليك، فاصبر، فكلاهما سيحسر.. فإنما تعز من ترى، ويعزك من لا ترى..

« ولو كان الموت يشترى، لسلم منه أهل الدنيا.. ولكن الناس فيه مستوون: الشريف الأبلج[1]، واللئيم المعلهج[2]..

« والموت المفيت، خير من أن يقال لك هبيت[3]..

« وكيف بالسلامة، لمن ليس له إقامة..

« وشر من المصيبة : سوء الخلف.. وكل مجموع إلى تلف ..

« و... حياك الله » !!..

(١) الأبلج : الواضح الجبين..

(٢) المعلهج : المتناهى فى اللؤم..

(٣) هبيت : الأحمق..

وصية كاهن مصرى .. لولده!!

* يقول الكاتب الصحفى « **إبراهيم المصرى** » (**١٩٠٠ ـ ١٩٧٩**) :

ـ «طالعت كتاباً فى الحضارة المصرية القديمة للعلامة الفرنسى «ألكسندر مونيه» وقد عثرت فيه على وصية وجّهها كاهن مصرى إلى ولده الشاب، يحثه فيها على أن يتزوج، ويرشده إلى خير الوسائل التى يستطيع أن يحقق بها الزواج الموفق السعيد..

* وإليك هذه الوصية الرائعة :

ـ « العاقل هو الذى لا يسلك طريق الحياة بمفرده.. بل يختار له شريكة تعاونه على حمل أيامه ولياليه..

« فاختر شريكتك جميلة إن أمكن..

« ولكن .. اطلب رجاحة العقل، قبل جمال الوجه..

« ودماثة الطبع، قبل سحر الجسد..

« وخفر الروح، قبل فتنة المظهر..

« وطيبة القلب، قبل كل شىء..

« تزوج يا بنى.. ولا تقرب الغوانى، فالغانية متقلبة، كسماء الخريف.. سريعة التحول، كصفحة البحر.. غشاشة الظاهر، كعين اللص.. ناعمة الملمس، كحرير طواه الغدر على جسم أفعى!..

« ابتعد عنها.. فليست المتعة المنشودة منها إلا متعة لحظة.. لحظة واحدة.. تلمع كالبرق..

وتذهل كالبرق..

وتخطف كالبرق..

وتذهل كالصاعقة..

« فإذا شئت يا بنى أن تكون سعيداً، فهيئ لنفسك بيتاً صغيراً.. وحديقة صغيرة.. وامرأة صغيرة أيضاً.. صغيرة فى أحلامها، ومطالبها.. كبيرة فى قلبها، وروحها..

« كن لين العريكة معها.. انظر اليها بعينى العدل والرحمة..

« لا تدع نشوة القوة تستبد بك فى معاملتك لها..

« ابتسم .. ابتسم لامرأتك ما استطعت.. فاللين أفعل ـ فى قلوب النساء ـ من السحر .. لأن النساء لا يفهمن الحقائق إلا فى رنين رخيم ينبعث من صميم القلب..

« فاغمر زوجتك بالحنان والعطف..

« اسكب ـ على حياتها ـ شمس حمايتك القوية..

« كن لها أباً، وأخاً، وابناً كبيرا..

« بل.. كن لها عاشقاً فى أوقات فراغك.. وآسياً لجراح قلبها، وجسمها فى كل وقت..

« دعها تتجمل ببعض الأزياء الشائعة.. وتتعطر ببعض الطيوب النادرة.. فالأزياء والطيوب ـ يا بنى ـ هى البلسم الشافى لمعظم أمراض النساء..

« فتزوج ـ يا بنى ـ وكن سعيداً..

« وما دمت تحب امرأتك، فلن تجد عبء الأبوة ثقيلاً عليك.. لأن الحب الذى يهزأ بكل شيء، يستطيع أن يحمل عبء نفسه، كما يستطيع أن يحمل في ابتسامة راضية عبء الآخرين »!!..

* * *

يوصى بناته .. بالحماة شرًّا !!

* ورد[1] (أبو النجم)[2] على «هشام بن عبد الملك» ـ (٧١ ـ ١٢٥هـ = ٦٩٠ ـ ٧٤٣م) ـ فى الشعراء، فقال لهم (هشام) :

ـ «صفوا لى إبلاً فقطروها، وأوردوها، وأصدروها حتى كأنى أنظر اليها»..

فأنشدوه، وأنشده «أبو النجم» :

«الحمد لله الوهوب المجزل»............

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال :

ـ «وهي على الأفق كعين ....»

وأراد أن يقول «الأحول»، ثم ذكر حولة «هشام»، فلم يتم البيت، وأُرْتِجَ عليه..

فقال هشام:

ـ أجز البيت..

فقال:

ـ «كعين الأحول»

وأتم القصيدة، فأمر «هشام» فوجئ[3] عنقه، وأخرج من الرصافة.. وقال لصاحب شرطته :

---

(١) الكامل ص٣٩ ج٢، الأغانى ص١٤٥، رغبة الأمل ص٢٢٩ ح٦

(٢) اسمه الفضل بن قدامة أحد رجال الإسلام الفحول المقدمين، وفى الطبقة الأولى منهم توفى سنة ١٢٠.

(٣) وجئ وجاء باليد وبالسكين إذا ضربه..

- يا ربيع إياك وأن أرى هذا .. فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره.. ففعل..

قال أبو النجم :

- ولم يكن أحد بالرصافة يضيف إلا «سليم بن كيسان الكلبى» و «عمرو بن بسطام التغلبى» فكنت آتي سليماً فأتغدى عنده، وآتى عمراً فأتعشى عنده، وآتى المسجد فأبيت فيه :

قال :

- فاهتم هشام ليلة، وأمسى لقس النفس، وأراد محدثاً يحدثه .. فقال لخادم له : أبغنى محدثاً أعرابياً يروى الشعر :

فخرج الخادم إلى المسجد، فإذا هو «بأبى النجم» ، فضربه برجله، وقال له :

- قُمْ أَجِبِ الأمير..

قال :

- إنى رجل غريب..

قال :

- إياك أبغى، فهل تروى الشعر؟

قال :

- نعم، وأقوله..

فأقبل به حتى أدخله القصر، وأغلق الباب..

قال :

ـ فأيقن بالشر، ثم مضى به، فأدخله على «هشام» فى بيت صغير، والشموع بين يديه تزهر[1] ..

فلما دخل قال له هشام:

ـ أبو النجم؟..

قال :

ـ نعم يا أمير المؤمنين، طريدك!..

قال :

ـ اجلس..

فسأله وقال له :

ـ أين كنت تأوى، ومن كان ينزلك؟

فأخبره الخبر، قال :

ـ وكيف اجتمعا لك؟..

قال :

ـ كنت أتغدى عند هذا، وأتعشى عند هذا..

قال :

ـ وأين كنت تبيت؟

قال :

ـ فى المسجد حيث وجدنى رسولك..

---

(١) تزهر : تتلألأ..

قال :

ـ وما لك من الولد والمال؟

قال :

ـ أما المال فلا مال لى، وأما الولد فلى ثلاث بنات وبُنَىّ يقال له (شيبان)..

فقال :

ـ هل زوجت من بناتك أحداً؟

قال :

ـ نعم، زوجت اثنتين، وبقيت واحدة تجمز[1] فى أبياتنا كأنها نعامة..

قال :

ـ وما وصيت به الأولى ـ واسمها «بَـرَّة» ؟

قال :

أوصيت من بَرة[2] قلباً حرا ... بالكلب خيراً والحماة شرا

لا تسأمى ضرباً لها وجَـراً ... حتى ترى حُلْو الحياة مُـرًّا

وإن كَستْك ذهباً ودُرًّا ... والحى عُميّهم بشرٍّ طُـرا

فضحك هشام، وقال :

ـ فما قلت للأخرى؟

---

(١) تجمز : تعدو وتسرع..

(٢) كان اسمها برة..

قال: قلت :

سُبّى الحماة وابهتى[1] عليها ... وإن دنت فازدلفى إليها
وأوجعى بالفهـر[2] ركبتيها ... ومرفقيها واضربى جنبيها
وظاهرى النُّذْرَ لها عليها ... لا تخبرى الدهر به ابنتيها

قال :

ـ فضحك هشام حتى بدت نواجذه، وسقط على قفاه.

فقال :

ـ ويحك!.. ما هذه وصية « يعقوب » لولده..

فقال :

ـ وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين..

قال :

ـ فما قلت للثالثة :

قال : قلت :

أوصيك يا بنتى فإنى ذاهب ... أوصيك أن تحمدك القرائب
والجار والضيف الكريم الساغب ... لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا تنى أظفارك السلاهب[3] ... منهن فى وجه الحماة كاتب
والزوج إن الزوج بئس الصاحب

(١) بهته : قذفه بالباطل، وقال عليه ما لم يفعل.

(٢) الفهر : الحجر يملأ الكف..

(٣) السلاهب : الطويلة..

قال :

ـ **فكيف قلت هذا ولم تتزوج؟ وأى شئ قلت فى تأخير تزويجها؟**

قال : **قلت فيها :**

كأن ظلامة أخت شيبان   يتيمة ووالداها حيان

الرأس قمل كله وصئبان[1]   وليس فى الرجلين إلا خيطان

فهى التى يذعر منها الشيطان

فقال هشام لحاجبه :

ـ **ما فعلت الدنانير المختومة التى أمرتك بقبضها؟**

قال :

ـ **هى عندى، ووزنها خمسمائة..**

قال :

ـ **فادفعها إلى «أبى النجم» ليجعلها فى رجلى ظلامة مكان الخيطين!!..**

* * *

يوصى ابنه بشنقه بعد موته!!

* يحكى أنه كان لرجل غنى ولد وحيد لم يرزق غيره من البنين والبنات .. فعاش هذا الولد فى رعاية ورفاهية جعلتاه مسرفاً فى إنفاق المال..

وحين شب الولد.. التف حوله كثير من الأصحاب بسبب غناه وسعة رزق أبيه،

(١) الصئبان : الصؤابة : بيضة القمل جمعه صئبان..

وأخذ صاحبنا يرتاد أماكن اللهو والرذيلة، وينفق على أصحابه من مال أبيه دون حساب، وكأنه أمام بحر من المال لن ينتهى مهما أخذ منه..

واتفق أن توفيت زوجة ذاك الغنى ـ أُم الولد ـ فجأة، فأحدثت وفاتها صدمة عظيمة فى نفس زوجها...

إلا أن ابنها لم يكترث كثيراً لتلك الوفاة بسبب طيشه وغروره... وأخذ يتابع ما كان عليه من أمر السهر مع أصحابه فى بيته تارة وفى بيت أحدهم تارة أخرى..

وأمام هذه الحالة التى وجد الأب ابنه فيها، أخذ ينصحه بالابتعاد عن هؤلاء الأصحاب الذين لا هدف لهم سوى التنعم بماله وإضاعة أوقاته..

ولكن الفتى لم يكن ليعير نصائح أبيه أى اهتمام، بل كان يعتبر كلامه ضرباً من ضروب الخرف..

ولما رأى الأب هذا التمرد على نصائحه من قبَل وحيده الذى سيرث جميع ما له من مال وعقار، بعد رحيله عن الدنيا، إذ أنه كان يحس بدنو الأجل..

وفى أحد الأيام صباحاً قال الأب لابنه :

ـ لى وصية أحب أن أوصيك إياها يا بُنى، فاعمل بمقتضاها إذا كنت حقاً تُحب أباك ..

فقال الفتى :

ـ قُلْ ما بَـدَاَ لك يا أبى، وسوف أنفذ وصيتك بحذافيرها..

عندها قال الأب لابنه :

ـ « إذا جار الزمان عليك يا بُنى بعد موتى، وفقدت المال والأصحاب، فما عليك إلا أن تُحضر حبْلاً، وتربطه فى حلقة مصباح غرفة المضافة، ثم تشنق نفسك به » ..!

قال هذه الكلمات والدموع تتراقص فى عينيه ..

فدهش الفتى لتلك الوصية وَرَدَّ على أبيه :

ـ الدنيا بخير، وأنا قوى بما يكفى، فلن أضطر لذلك..

قال الفتى هذه الكلمات، ومضى إلى شأنه، ولما عاد مساء، وجد أباه قد فارق الحياة، فصعق لموته، وخرج ينادى على الأقارب والأصحاب، والدموع تتساقط من عينيه .. فحضروا إلى بيته، وأخذوا يطيبون خاطره ويعزُّونه .. فقد كانت لأبيه مكانة محترمة بين الجميع ..

وما أن انتهت مراسم الدفن والعزاء، ونسى الفتى فاجعته بفقدان أبيه، حتى عاد صاحبنا إلى ما كان عليه من مصاحبة أقران السوء ينفق المال من غير وعى لما ستكون عليه حاله فى الأيام القادمة، وما سيتركه هو لأولاده إذا قدر الله أن يكون له زوجة وأولاد..

ولم تمض سنوات معدودة وهو على حالته تلك حتى فَقَدَ جميع ماله، فتحول إلى عقارات أبيه يبيعها الواحد تلو الآخر إلى أن بقى من أملاكه بيته الذى يسكنه..

وهنا أخذ يطلب العون من أصحابه، فأعانوه أياماً .. ثم تفرقوا من حوله، ولم يعد أحد منهم يخرج لاستقباله، وعند هذه المرحلة تَذَكَّرَ كلام أبيه، وعرف أن كلامه ما كان إلا كلام الخبير المجرب الذى عرف الحياة، وخبَّر الناس..

ولكن من أين له أن يقابل أباه ليعترف بخطئه بين يديه، ويثنى على نصائحه التى ما عرف لها قدرا فى حياته يوماً..

وأمام الكارثة التى حلت به، راودته فكرة الرحيل عن البلدة وبيع بيته، والبدء فى تأسيس حياة جديدة فى بلدة أخرى..

وفى تلك اللحظات سمع صوتاً يناديه فى أعماق نفسه قائلاً :

ـ «ماذا سيقول عنك الناس إذا بعت البيت الذى سكنه والدك التاجر المرموق صاحب السمعة العطرة، بل ماذا سيقولون بحق أبيك.. ستكون فضيحة للعائلة بلا شك؟»..

هنا قرر صاحبنا أن ينفذ وصية أبيه .. فأحضر حبلاً.. وذهب لتوّه إلى الغرفة التى أشار عليه أبوه أن يشنق نفسه فيها .. فربط الحبل فى حلقة المصباح.. وعقده من الطرف الآخر ليصبح جاهزاً لعملية الشنق .. ثم وضع كُرسياً عند أسفل المصباح.. وقبل أن ينفذ انتحاره، أخذ ورقة وكتب عليها :

ـ «هذا مصير من يتبع أصحاب السوء»...

ووضع تلك الورقة على الطاولة .. ثم صعد إلى الكرسى، وأحكم ربط الحبل حوق عنقه .. ثم دفع الكرسى بقدميه، فإذا به يسقط على الأرض ..

وفى ذات الوقت، انهمر فوقه سيل من الليرات الذهبية، فخال نفسه فى حلم من أحلام اليقظة.. غير أنها الحقيقة التى لا جدال فيها .. فهو يتلمس الليرات بيديه..

فى تلك الأثناء لاحظ بين تلك الليرات على الأرض ورقة مطوية .. فهرع إليها، وحين فتحها قرأ الكلمات التالية :

ـ « كنت على يقين بأنك ستنفذ وصيتى يوماً من الأيام، وعندها سوف يكون رشدك قد عاد إليك.. لهذا أخفيت فى هذا المكان ألفاً من الليرات الذهبية كى تكون عوناً لك فى بناء حياة جديدة .. فانهض لتوك واستعد ما أضعت من المال والعقار.. وحذار أن تعود إلى ما كنت عليه لأنك لن تجد من يقدم لك العون من جديد».

(أبـــــوك) ..

ولم يُكمل الفتى قراءة الورقة حتى تساقطت الدموع من عينيه، وأخذ يدعو لأبيه من جوامع قلبه، معاهداً الله ألا يعود يوما لأمثال أولئك الأصحاب..

* * *

نوادر وصايا

الأدب .. والأدبـــاء



وصايا للكُتّــاب

* ومن رسائل «**عبد الحميد الكاتب**» (**٠٠٠ ـ ١٣٢هـ = ٠٠٠ ـ ٧٥٠م**)ـ هذه الرسالة التى أوصى فيها الكُتّاب[1] :

بِسْمِ اللّـهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

*** أما بعد .. حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم، فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومنْ بَعْد الملوك المكرّمين أصنافاً، وإن كانوا فى الحقيقة سواء، وصرّفَهُم فى صنوف الصناعات، وضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم، وأبواب أرزاقهم..**

« فجعلكم معشر الكُتّاب فى أشرف الجهات، أهل الأدب والمُروءات والعلْم والرزانة، بكم تنتظم للخلافة محاسنُها، وتستقيم أمورها، وبنصائحكم يُصلِحُ اللهُ للخلق سلطانهم، وتَعْمُر بلدانُهم، لا يَسْتَغْنى المَلك عنكم ولا يوجد كاف إلاّ منكم..

« فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون، وأبصارهم التى بها يُبصرون.. وألسنتهم التى بها ينطقون.. وأيديهم التى بها يبطشون..

(١) هذه الرسالة من مقدمة ابن خلدون (ص٢٠٦ ـ طبعة بولاق).

فأمتعكم اللهُ بما خَصّكم من فضل صناعتكم، ولا نَزَعَ عنكم ما أضفاه[1] من النعمة عليكم..

« وليس أحدٌ من أهل الصناعات كلها أحوجَ إلى اجتماع خِلالِ الخير المحمودة، وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم..

« أيها الكُتّاب .. إذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتَكم، فإن الكاتب يحتاج فى نفسه، ويحتاج منه صاحبُه الذى يثق به فى مُهمّات أموره، أن يكون حليماً فى موضع الحلم، فهيماً فى موضع الحُكْم، مقداما فى موضع الإقدام، محجاما فى موضع الإحجام، مؤثراً للعفاف والعَدل والإنصاف، كتوماً للأسرار.. وفيّا عند الشدائد، عالماً بما يأتى من النوازل..

« يضع الأمور مواضعها، والطوارق فى أماكنها، قد نَظَرَ فى كل فن من فنون العلم فأحكَمَه.. وإن لم يُحكمه أخَذ منه بمقدار ما يكتفى به..

« يعرف بغريزة عقله .. وحُسْن أَدَبه، وفَضْل تجربته.. ما يَرِدُ عليه قبل وُروده، وعاقِبَةَ ما يَصْدُر عنه قبل صدوره .. فيُعِدُّ لكل أمر عُدَّتَه وعَتاده، ويُهيئ لكل وجه هيئته وعادته..

« فتنافسوا يا معشر الكُتّاب فى صنوف الآداب، وتَفَهَّموا فى الدين، وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض.. ثم العربية، فإنها ثقافُ ألسنتكم، ثم أجيدوا الخطَّ فإنه حلية كُتُبكم، وارووا الأشعار، واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعَجَم وأحاديثها وسِيَرَها..

« فإن ذلك مُعين لَكُم على ما تَسْمُو إليه همتُكم، ولا تُضيّعوا النَّظر فى الحساب، فإنه قوام كُتّاب الخَراج.. وارغبوا بأنفُسكم عن المطامع سَنِيّها ودَنِيّها، وسَفْساف الأمور ومَحاقرها..

---

(١) أضفاه : أتمه..

« فإنها مذلّة للرِّقاب، مَفْسَدة للكُتّاب، ونزِّهوا صناعتكم عن الدناءة، واربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة، وما فيه أهل الجهالات ..

« وإياكم والكِبْرَ والسُّخْف والعَظَمة.. فإنها عداوة مُجْتَلبة من غير إحْنَة، وتحابوا فى الله عز وجل فى صناعتكم، وتَوَاصَوْا عليها بالذى هو أَلْيق لأهل الفضل والعدل والنُّبْل من سَلَفكم..

« وإن نَبَـا [1] الزمانُ برجُل منكم، فاعطفوا عليه وواسُوه حتى يرجع إليه حاله، ويثوب إليه أَمْرُه، وإن أَقْعَدَ أحداً منكم الكبَر عن مَكْسبه ولقاء إخوانه، فزوروه، وعَظِّموه، وشاوروه، واستظهروا بفَضْل تجربته، وقديم معرفته..

« وليكُن الرجل منكم على من اصطَنَعَه واستظهر به ليوم حاجته إليه أَحْوطَ منه على ولَده وأخيه، فإن عَرَضَتْ فى الشُّغل مَحْمَدَة، فلا يَصْرِفْها إلا إلى صاحبه.. وإن أعرضت مَذَمَّـة، فَلْيحْملْها هو من دونه..

« وليَحْذَر السَّقْطة والزلّة والمَلَل عند تغيُّر الحال، فإن العيب إليكم مَعشر الكُتّاب أسرعُ منه إلى الفرّاء، وهو لكم أفسَد منه لها، فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صَحبَه من يبْذُل له من نَفْسه، ما يَجب عليه من حقّه، فواجبٌ عليه أن يعتقد له من وفائه وشُكره واحتماله ونصيحته، وكتمان سِرّه وتدبير أمره.. ما هو جزاءٌ لِحقّه..

« ويصدِّق ذلك فعْلُه عند الحاجة إليه، والاضطرار إلى ما لديه، فاستشعروا ذلك ـ وفقكم الله ـ من أنفسكم فى حالة الرخاء .. والشدَّة والحرمان والمواساة والإحسان والسرّاء والضرّاء .. فنعْمَت الشيمة هذه لمن وُسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة..

---

(١) نبا : تجافى وتباعد..

« وإذا ولّي الرجل منكم أو صيّر إليه من أمرِ خَلْقِ الله وعياله أمرٌ.. فليُراقب الله عزّ وجل، وليُؤثر طاعته، وليكُن على الضعيف رفيقاً، وللمظلوم مُنصفاً، فإن الخَلْقَ عيالُ الله، وأحبهم إليه أرفقهُم بعياله، ثم ليكُن بالعَدْل حاكماً، وللأشراف مُكرماً، وللْفَيء مُوفِّراً..

« وليكن فى مجلسه متواضعاً حليماً، وفى سجلات خراجه، واستقصاء حقوقه دقيقاً..

« وإذا صَحبَ أحدُكم رجلاً فليختبر خلائقَه، فإذا عَرَفَ حَسَنَها وقبيحها، أعانه على ما يوافقه من الحَسَن، واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بالعطف حيلة، وأجمل وسيلة..

« وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها، فإن كانت رَمُوحاً لم يَهجْها إذا ركبها، وإن كانت شَبوباً اتقاها من بين يديها، وإن خاف منها شروداً تَوقاها من ناحية رأسها.. وإن كانت حَرُوناً قَمَع بِرفْق هواها فى طُرُقها.. فإن استمرت عَطَفَها يسيراً، فيَسْلس له قيادُها، وفى هذا الوصف من السياسة دلائلُ لمن ساس الناس وعاملَهم وجربهم وداخلَهم..

« والكاتب ـ لفَضْل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته، ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره، ويفهم عنه أو يخاف سَطوته ـ أولَى بالرِّفق لصاحبه، ومداراته وتقويم أوده، من سائس البهيمة التى لا تُحير جواباً، ولاتَعرف صواباً، ولا تفهم خطابا، إلا بقدر ما يُصَيِّرها إليه صاحبها الراكب عليها..

« ألا فارفقوا ـ رحمكم الله ـ فى النظر، واعملوا ما أمكنكم فيه من الرَّويّة والفكر، تأمنوا بإذن الله ممن صحبتُموه النَّبْوة والاستثقال والجَفْوة، ويصير

منكم إلى الموافقة، وتصيروا منه إلى المؤاخاة والشفقة إن شاء اللّه، ولا يُجاوزَنَّ الرجُل منكم فى هيئة مجلسه، وملْبَسه ومَركبه ومطعمه ومشربه وخدمه.. وغير ذلك من فنون أمره قدْر حقِّه..

« فإنكم ما فضّلكم اللهُ به من شَرَف صنْعتكم، خَدَمة لا تُحمْلَون فى خدمتكم على التقصير، وحَفَظة لا تُحتَملُ منكم أفعالُ التضييع والتبذير..

« واستعينوا على أفعالكم بالقصد فى كل ما ذكَرته لكم.. وقَصَصْتُه عليكم، واحذَروا مَتالف السَّرف.. وسوء عاقبة التَّرف، فإنهما يُعْقبان الفقر، ويُذلاَّن الرقاب، ويفضحان أهلهما، ولا سيما الكُتّاب، وأرباب الآداب..

« وللأمور أشباه، وبعضها دليل على بعض، فاستدلوا على مُؤْتَنَف أعمالكم، بما سبقت إليه تجربتكم، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها مَحجّة، وأصدقها حُجّة، وأحمدها عاقبة..

« واعلموا أن للتدبير آفة مُتلفة، وهو الوصف الشاغل لصاحبه، عن إنفاذ علْمه ورَوِّيته، فليقصد الرجل منكم فى مجلسه، قصد الكافى فى مَنطقه، وليُوجز فى ابتدائه وجوابه، وليأخُذ بمجامع حُججه فإن ذلك مصلحة لفعله، ومَدْفَعَة للشاغل من إكثاره، وليضْرع إلى الله فى صلة توفيقه، وإمداده بتسديده، مخافة وقوعه فى الغلط المُضرّ ببدنه، وعقْله وأدبه، فإنه إن ظَنَّ منكم ظانٌ أو قال قائل:

« إن الذى بَرَزَ من جميل صنْعته وقوة حركته، إنما هو بفضل حيلته وحُسْن تدبيره، فقد تعرَّض بحُسْن ظنه أو مَقالته إلى أن يَكلَه اللهُ عزَّ وجَلْ إلى نفسه.. فيصير منها إلى غير كاف، وذلك على من تأمّله غيرُ خاف، ولا يَقُلْ أحدٌ منكم إنه أبصر بالأمور، وأحمل لأعباء التدبير، من مُرافقه فى صناعته، ومُصاحبه فى خدمته..

« فإن أعقل الرجلين عند ذوى الألباب من رَمَى بالعُجْب وراء ظهره، ورأى أن أصحابه أعقلُ منه وأجملُ فى طريقته، وعلى كل واحد من الفريقين أن يَعْرف فضلَ نعَم الله جَلّ ثناؤه من غير اغترار برأيه، ولا تزكية لنفسه، ولا يُكاثر على أخيه أو نظيره، وصاحبه وعشيره، وحمدُ الله واجبٌ على الجميع..

« وذلك بالتواضع لعظمته.. والتذلُّل لعزّته .. والتحدث بنعمته..

وأنا أقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل:

- «من تلزمه النصيحة يلزمه العمل»..

وهو جوهر هذا الكتاب وغُرّة كلامه، بعد الذى فيه من ذِكْر الله عز وجل، فلذلك جعلْته آخره، وتممتُه به.. تولانا الله وإياكم يا معشر الطَّلبة والكَتَبَة بما يتولّى به من سَبَق علمُه بإسعاده وإرشاده، فإن ذلك إليه وبيده..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

* * *

الجاحظ .. يوصى بالكِتَاب

* وقال « أبو عمرو بن بحر الجاحظ » (٧٦٧ - ٨٦٨م) بعد مقدمة :

- « ... وأنا أحفظ وأقول : الكِتَاب نِعْم الذُّخْر والعقدة، والجليس والعمدة .. ونعم النشوة .. ونعم النزهة .. ونعم المشتغل والحرفة .. ونعم الأنيس ساعة الوحدة .. ونعم المعرفة ببلاد الغُربة .. ونعم القرين، والدخيل، والزميل.. ونعم الوزير، والنزيل.

« والكِتَاب : وعاءٌ مُلِئَ علْماً .. وظَرف حُشى ظُرفاً .. وإناء شُحِنَ مِزاحاً..

« إن شئت كان أعيا من «باقل» .. وإن شئت كان أبلغ من «سحبان وائل» .. وإن شئت سرّتك نوادره .. وشَجتّك مواعظه.. ومَنْ لك بواعظ مثله، وبناسك فاتك .. وناطق أخرس..

« ومَنْ لك بطبيب أعرابى وروميى وهندى وفارسي ويونانى.. ونديم مولّد .. وحبيب ممتع .. من لك بشيء يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر.. والشاهد والغائب.. والرفيع والوضيع.. والغث والسمين .. والشكل وخلافه.. والجنس وضده؟..

* وبعـــد :

ـ « فمتى رأيت بستاناً يحمل فى رُدن، وروضة تنقل فى حِجر، ينطق عن الموتى، ويترجم عن الأحياء.. ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومكَ.. ولا ينطق إلا بما تهوى.. آمن من الأرض، وأكتم للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة..

« ولا أعلم جاراً آمن .. ولا خليطاً أنصف.. ولا رفيقاً أطوع.. ولا مُعلماً أخضع، ولا صاحباً أظهر كفاية وعناية .. ولا أقل إملالاً ولا إبراماً .. ولا أبعد عن مراءٍ، ولا أترك لشَغَب .. ولا أزهد فى جدال .. ولا أكفَّ عن قتال ـ من كِتَاب ..

« ولا أعمَّ بياناً .. ولا أحسن مؤاتاة .. ولا أعجل مكافأة .. ولا شجرة أطول عمرا.. ولا أطيب ثمرا .. ولا أقرب مجتنى .. ولا أسرع إدراكاً.. ولاأوجد فى كل إبان ـ من كِتَاب ..

« ولا أعلم نتاجاً فى حداثة سنه، وقُرب ميلاده، ورخص ثمنه، وإمكان وجوده، يجمع من السير العجيبة، والعلوم الغريبة، وآثار العقول الصحيحة، ومحمود الأذهان اللطيفة، ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة، والتجارب

الحكيمة، والأخبار عن القرون الماضية .. والبلاد النازحة، والأمثال السائرة، والأمم البائدة ما يجمعه كِتَاب..

« ومن لك بزائرٍ إن شئت كانت زيارته غِبًّا، ووِرده خمسا [(١)]، وإن شئت لزمك لزوم ظلك، وكان منك كبعضك..

« والكتَاب هو الجليس الذى لا يُطريك، والصديق الذى لا يَقليك .. والرفيق الذى لا يَملّك .. والمستمع الذى لا يستزيدك.. والجار الذى لا يُساطيك .. والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالمَلَق ولا يعاملك بالمكر .. ولا يخدعك بالنفاق..

« والكتَاب هو الذى إن نظرت فيه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك وبسط لسانك، وجوّد بيانك، وفخّم ألفاظك، وبَجّح[(٢)] نفسك، وعمّر صدرك، ومنحك تعظيم العوام، وصداقة الملوك.. يعطيك بالليل طاعته بالنهار، وفى السفر طاعته فى الحضر.. وهو المُعلم الذى إن افتقرت إليه لم يحقرك، وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة، وإن عُزلت لم يدع طاعتك، وإن هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك.. ومتى كنت متعلقاً منه بأدنى حبل، لم تضطرك معه وحشة الوحدة إلى جليس السوء..

« وإن أمثل ما يقطع به الفُرّاغ نهارهم، وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم، نظر فى كِتَاب لا يزال لهم فيه ازدياد فى تجربة، وعقل ومروءة، وصون عرض، وإصلاح دين، وتثمير مال ورب[(٣)] صنيعة، وابتداء إنعام..

« ولو لم يكن من فضله عليك، وإحسانه إليك، إلا منعه لك من الجلوس

(١) الغب بالكسر فى الزيارة أن تكون كل أسبوع، والخمس بالكسر من إظماء الإبل وهى أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع وهى إبل خوامس..

(٢) بجحته تبجيحاً فتبجح أى أفرحته ففرح..

(٣) رب : جمع وزاد ولزم..

على بابك، والنظر إلى المارة بك، مع ما فى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم، ومن فضول النظر، وملابسة صغار الناس.. ومن حضور ألفاظهم الساقطة، ومعانيهم الفاسدة، وأخلاقهم الردية، وجهالتهم المذمومة.. لكان فى ذلك السلامة والغنيمة.. وإحراز الأصل مع استفادة الفرع..

« ولو لم يكن فى ذلك إلا أنه يشغلك عن سخف المنى، واعتياد الراحة.. وعن اللعب.. وكل ما تشتهيه.. لكان له فى ذلك على صاحبه أسبغ النعم.. وأعظم المِنّة.

« وجُملة الكتَاب، وإن كثّر ورقه فليس مما يملّ، لأنه وإن كان كتاباً واحداً، فإنه كُتب كثيرَة فى خطابه، والعلم بالشريعة والأحكام، والمعرفَة بالسياسة والتدبير..

« والكتَاب.. هو الذى يؤدى إلى الناس كتب الدين.. وحساب الدواوين.. مع خِفّة نَقله .. وصغر حجمه.. صامت ما أسكته.. وبليغ ما استنطقته.. ومن لك بمسامر لا يبتديك فى حالك شغلك .. ويدعوك فى أوقات نشاطك.. ولايحوجك إلى التجمل له والتذمم منه.

« والكتَاب قد يفضل صاحبه، ويتقدم مؤلفه.. ويرجح قلمه على لسانه بأمور: منهَا أن الكتاب يقرأ بكل مكان، ويظهر ما فيه على كل لسان.. ويوجد مع كل زمان.. على تفاوت ما بين الأعصار .. وتباعد ما بين الأمصار.

« وذلك أمر مستحيل فى واضع الكتاب، والمتنازع فى المسألة والجواب.. ومناقلة اللسان وهدايته، لا تجوزان مجلس صاحبه، ومبلغ صوته، وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه، ويذهب العقل ويبقى أثره.. ولولا ما أودعت لنا الأوائل فى كتبها، وخلّدت من عجيب حكمتها، ودونت من أنواع سيَرها.. حتى شاهدنا بها ما غاب عنا، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا.. فجمعنا إلى قليلنا

كثيرهم، وأدركنا ما لم نكن ندركه، إلا بهم، لما حسن حظنا من الحكمة.. ولضعف سببنا إلي المعرفة..

« ولو لجأنا إلى قدر قوتنا.. ومبلغ خواطرنا.. ومنتهى تجاربنا لِمَا تدركه حواسنا، وتشاهده نفوسنا، لقلّت المعرفة، وسقطت الهمة، وارتفعت العزيمة.. وعاد الرأى عقيماً، والخاطر فاسداً، ولكل الحد وتبلّد..

« ولولا جياد الكُتُب وحَسَنها، وبيّنها ومختصرها، لَمَا تحركت همم هؤلاء لطلب العلم، ونزعت إلى حُب الأدب.. وأنفت من حال الجهل.. وأن تكون فى غمار الحشو، ولدخل على هؤلاء من الخلل .. والمضرة من الجهل وسوء الحال.. ما عسى أن لا يمكن الإخبار عن مقداره إلا بالكلام الكثير..

« ولذلك قال «عمر» رضى الله عنه :

ـ «تفقهوا قبل أن تُسَوَّدوا»..

« وقد نجد الرجل يطلب الآثار.. وتأويل القُرآن، يجالس الفقهاء خمسين عاماً، وهو لا يُعدُّ فقيها، ولا يُجعل قاضياً.. فما هو إلا أن ينظر فى كُتُب «أبى حنيفة» وأشباه «أبى حنيفة» ويحفظ كُتب الشروط فى مقدار سنة أو سنتين حتى تمرّ ببابه.. فتظن أنه من بعض العمال .. وبالحَرِىّ أن لا يُمر عليه من الأيام إلا اليسير، حتى يصير حاكماً على مصر من الأمصار، أو بلد من البلدان..

« ومما يدل على نَفْع الكتَاب أنه لولا الكتَاب لم يَجُز أن يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة، وما يحدث بالكوفة فى بياض يوم، حتى تكون الحادثة بالكوفة غُدوة، فتعلم بها أهل البصرة قبل المساء !!.

* * *

أملى الجاحظ هذه الفقرات في عصر كان الناس يؤثرون فيه السماع من المشايخ، والأخذ عن الرواة، على مطالعة الأسفار، والمنافسة في دواوين العلم، لا يحفلون بالتقييد والتسجيل كثيرا، ويرون على الدوام الأخذ من الأفواه.

فوجه أفكار أمته وجهة أخرى مستديمة مستقرة، أتاها يرغّبها في الكتَاب ليكون للناظر فيه كل ساعة ما يستقي من معينه، نصح لقومه أن يتنافسوا في اقتناء الأسفار، ويتباروا في الاعتماد على ما تدخره من الدور الغوالي، وبذلك ينشط المؤلفون إلى وضع كتبهم ومصنفاتهم، وتبقى لمن يتلوها أصح مرجع على الأيام » ..

* * *

يوصى .. بما لا يقدر عليه سلطان

* قال « **محمد بن مسلم بن عبد الله شهاب الزهرى**» (**٦٧٨ـ٧٤٢م**) ـ وهو أول من دوّن الحديث، وأيضاً هو أحد أكابر الحفّاظ والفقهاء ـ قال :

ـ ما سمعت كلاما أوجز من كلام «عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى القرشي» ـ (**٦٤٦ـ٧٠٥م**) ـ حيث قال لولده يوصيه :

ـ اطلبوا معيشة لا يقدر عليها سلطان جائر..

قيل له :

ـ وما هي؟

قال :

ـ الأدب!!.

* * *

وآخر .. يوصى بالأدب أيضاً

* وأوصى بعض الحكماء بنيه .. فقال:

ـ أوصيك يا بُنى بالأدب.. فالأدب أكرم الجواهر طبيعة .. وأنْفَسُها قيمة.. يرفع الأحساب الوضيعة .. ويفيد الرغائب الجليلة.. ويعز بلا عشيرة.. ويُكثر الأنصار بغير رزية .. فالبسوه حلة.. وتزينوه حلية.. يؤنسكم فى الوحشة.. ويجمع لكم القلوب المختلفة..

* * *

يوصى بثلث ماله .. لأهل الأدب

* إنه « **مسلمة بن عبد الملك بن مروان**» ـ (٠٠٠ ـ **٧٣٨م**) .. أمير وقائد من أبطال عصره من بنى أُمية فى (**دمشق**) .. ويلقب بالجرادة الصفراء.. له فتوحات مشهورة.. وبنى مسجد مسلمة بالقسطنطينية (**سنة ٩٦هـ**) ـ وولاه أخوه «**يزيد بن عبد الملك**» إمرة العراقين.. ثم أرمينية.. وغزا الترك والسند سنة (**١٠٩هـ**)..

ولما حضرته الوفاة بالشام أوصى **بثُلْث ماله لأهل الأدب**.. وقال:

ـ « صناعة مجفو أهلها» ..

* * *

بديع الزمان .. يوصى بأبى نصر

* كتب « **بديع الزمان أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذانى** » ـ (٩٦٩ ـ ١٠٠٨م) ـ إلى « **أبى نصر الميكالى** » يوصيه بأبى نصر:

ـ « أنا في مفاتحة الأمير بين ثقة تَعد، ويدٍ ترتعد.. ولِمَ لا يكون ذلك البحر، وإن لم أَرَه، فقد سمعت خبره .. وماَ وراء ذلك من تالد أصلٍ ونشبٍ، وطارف فضل وأدب.. وبُعد همّة وصيت .. فمعلوم تشهد بذلك الدفاتر، والخبر المتواتر.. وتنطق به الأشعار، كما تختلف عليه الآثار..

« والعين أقل الحواس إدراكاً، والآذان أكثرها استمساكاً .. إن شيخنا «أبا نصر بن دوسنام» سألني طول هذه المدة، مكاتبة تلك السدّة.. مستشفعاً بكتابي إلى الخلق العظيم، والعلق الكريم، والفضل الجسيم، وكل شيء على الميم في باب التفخيم..

« وبي أن أعرف شغلٌ شاغل، وحتى أُقبل وأداخل.. دخولاً معلوماً، لا يقتضي لوماً.. فلا تظنن إلا الجميل، وعرفته أن المرء وجوده، ثم جوده.. وشفيع غريب ولكنه من غريب الخبيث، لا من غريب الحديث.. فأبى إلا أن أفعل، وقد فعلت على السخط من القرط.. فإن قبلت الشفاعة، فالمجد يأبى إلا أن يعمل عمله، وإن رددت، فليست كلمة السوء مثله.. والسلام» !!..

* * *

وصايا بديعة .. من الهمذاني

* أيضاً لنستمع إلى « أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني» (٩٦٩ـ ١١٠٨م) وهو يوصي ابن أخته بالعلم، والمواظبة على الدراسة بقوله:

ـ أنت ابني ما دمت والعلم شأنك .. والمدرسة مكانك.. والدفتر أليفك.. والمحبرة حليفك.. فإن قصرت ـ ولا إخالك ـ فغيري خالك!!..

* * *

يوصيه .. بحب الكُتب مثل أمه

* تروى النقوش الأثرية : أن حكيماً مصريا صحب ابنه إلى المدرسة، فألحقه بها، ثم قال له قبل أن يتركه :

ـ « أوصيك أن تضع الكُتُب فى قلبك.. وأن تحبها كما تحب أمك.. فما من شيء فى الوجود يعلو الكُتب فى نفاستها وفائدتها » !!..

* * *

يوصيه .. بحب الكتب أكثر من أمه!!

* من وصية أب لابنه ـ فى العهد الفرعونى الثانى ـ يحثه فيها على تعلم فن الكتابة جاء فيها :

ـ « أنا أحب أن أعلمك حب الكتاب، أكثر من حبك لأمك!

« فقاطع الأحجار يبحث عن العمل فى كل أنواع الصخر الصلد..

« والحلاق يمارس صنعته حتى ساعات الليل المتأخرة..

« والحطاب يحمل أحماله التى ترهق يديه، ورقبته..

« وعامل الحقل لا ينقطع عن كده..

« والنساج على نوله يكون نصيبه أردأ من نصيب امرأة..

« ونصيب الإسكافى أردأ من الجميع، وغالباً يسأل الناس الصدقة..

« وذلك الذى يغسل ملابسه على شاطئ النيل يصبح دائماً فى متناول التمساح..

« انظر يا هذا.. ليّست هناك صناعة ليس لها سيد، سوى صناعة الكاتب.. فهو سيد نفسه» !!

* * *

الوصايا الطائرة

* قالوا :

ـ لا تغتر بمناصحة الأمير .. إذا غَشّك الوزير..

وقالوا :

ـ من صادق الكُتّاب : أغنوه .. ومن عاداهم : أفقروه.

وقالوا :

ـ اجعل قول الكذب ريحاً .. تكن مستريحاً !!..

* * *

يوصى .. بعدم التهافت !!

أوصى «أحمد شوقى» ـ (١٨٦٨ـ١٩٣٢م) أمير الشعراء ـ بعدم التهافت على هؤلاء قائلاً:

لا تتهافت على اللئيم ... فتتهم فى مروءتك ..
ولا على الغنى ... فتتهم فى عفّتك ..
ولا على الجاهل ... فتتهم فى فِطْنتك ..

* * *

كلمتان : وصية شكيب أرسلان

* أوصى « **شكيب أرسلان**» (**١٨٦٩ـ ١٩٤٦م**) الملقب بأمير البيان ـ وصيته التى كانت قبل موته قائلاً :

ـ لا تنسوا فلسطين!!..

* * *

وصية العقاد

* وقد أوصى « **عباس محمود العقاد** » ـ (**١٨٨٩ـ١٩٦٤م**)ـ أن تنقش على قبره هذه الأبيات، وهى من نظمه:

إذا شيعونى يوم أقضى منيتى ... وقالوا: أراح الله ذاك المعذبا

فلا تحملونى صامتين إلى الثرى ... فإنى أخاف اللحد أن يتهيبا

وغنوا لى فالموت كأس شهية ... وما زال يحلو أن يغنى ويشربا

وما المهد إلا اللحد لحد بنى الورى

فلا تحزنوا فيه الوليد المغيبا

* * *

وصيتان من «طه حسين» .. ووالده !!

* عندما ظهر كتاب (الشعر الجاهلى) للدكتور «**طه حسين**» ـ (**١٨٨٩ـ١٩٧٣م**) ـ هاجمته الصحف والأحزاب، واتهمته بالإلحاد..

وكان والد «**طه حسين**» رجلاً ورعاً تقيًا.. فهاله ما قرأه فى الصحف، وكتب إلى

ابنه «طه» رسائل تفيض بالحزن والأسف.. وكان ـ فى كل رسالة ـ يدعو لابنه بالهداية،والتوفيق...

وكتب «طه حسين» إلى والده الكتاب الآتى :

ـ «أبى .. أنت أوصيتنى بألا أصدق كل ما أسمع.. وأنا أوصيك بألا تُصدِّق كل ما تقرأ »..

* * *

وصية من لا يدرى كيف يوصى

* كَتَب دكتور «**أحمد زكى**» ـ (**١٨٩٤ـ١٩٧٥م**) ـ وصية إلى ابنته، قال فيها:

ـ « أى بُنيتى.. وكل فتاة تشرب من ماء النيل، أو من ماء دجلة والفرات .. أو تنطق ـ حيثما كانت ـ بالضاد .. إنما هى ابنتى ..

« أريد أن أوصيك، ولست أدرى كيف أوصيك، ولا كم أوصيك.. فقد تكاثرت الوصايا، وتنوعت.. فلست أدرى ما آخذ منها، وما أدع..

أنت يا فتاتى إنسان، والإنسان له وصايا، بحكم أنه إنسان فى كل زمان..

« وأنت يا فتاتى تعيشين فى هذا الزمان.. ومن الوصايا ما توزع على الأزمنة، فكأن لكل زمان لوناً.. فكانت الوصايا ألواناً..

« ووصية تلقى لك يا فتاتى، قد لا تلقى إلى الفتى.. فأنتما كثيرا ما تتوحد بينكما الشئون.. وهذه الشئون المختلفة ستظل هكذا مختلفة ما جرى الزمان..

أوصيك بحسبان أنك إنسان :

«فيا فتاتى .. أنت الإنسان، أوصيك بكل ما يزين هذا المخلوق الإنسان بما تواضع عليه الناس من قديم الزمان..

« أوصيك بالعدل.. وأن تأخذى لنفسك، وتدعى لغيرك بمقدار..

« وأوصيك بالكرم.. فالكرم فوق العدل، وفوق الكرم درجات..

« وأوصيك بالترفع عن أشياء جرى الناس، وجرى الطبع على اعتبارها بالدنية..

« وأوصيك بالترفع إلى أشياء جرى الناس، وجرى الطبع على اعتبارها بالرفيعة..

« واعلمى أن الفطرة لها فى العيش، وبحكم العيش مطالب تغلو وتتطاول، فتكون ذميمة، وتعتدل، أو هى تتقاصر.. فتكون حميدة.. وأنت أنت القائمة فيها على عاتق الميزان..

« إن الرذائل جميعاً، إنما هى مغالاة فى مطالب فطرة.. ولا تستجيب الدنيا والناس لهذه المغالاة فى المطالب، فيستعين عليها طالبها بالذى نسميه ظلماً..

« وأن هذه الفضائل جميعا، إنما هى متابعة الفطرة حرة، إلى أن تأخذ فى اعتداء، فتأمرها بالكف، فتكف..

« إن الفطرة تدعوك إلى طعام، والسعى فى سبيل الطعام فضيلة.. وتأخذين من الطعام قدر حاجتك، وتطمعين فى المزيد... فتنقلب الفضيلة إلى رذيلة لأنك تجورين..

« وكالطعام واللباس، والمسكن، وسائر نعيم الدنيا..

« والدماء التى تُراق على هذه الأرض، إنما تُراق بسبب اختلال الميزان..

« واعلمى يا فتاتى أنك أنت الإنسان، كما تعدلين لدى الناس، أو تجورين، تعدلين كذلك بين نفسك وتجورين..

« إن لنفسك مطالب أنت القوامة عليها، فلا تبخسيها أشياءها.. أشبعيها بالذى فطرها الله عليها.. فالفطرة ـ فى ذاتها ـ حجة .. هى حجة لى ولك وللناس جميعا.. وهى حجة لنا، ما اعتدلنا.. وهى حجة علينا، ما غلونا..

« إن المسألة دائماً، بين الخير والشر، إنما هى مسألة ميزان..

وأوصيك بحسبان أنك وليدة هذا الزمان:

« وأوصيك يا فتاتى.. بحكم أنك ولدت فى حقبة من الزمن لم تولد فيها أمك وأبوك، ولن يولد فيها بنوك..

« أوصيك بمراعاة حاجة الزمان.. إن الزمن يجرى، وتبقى الأرض هى الأرض، والجبال هى الجبال، ورمال الصحارى هى الرمال، والبحار هى البحار..

« وفى الطبع الإنسانى أصول .. كالجبال وكالرمال، لا تتغير.. ولكن فى الإنسان وعى، والوعى ينام ويستيقظ.. وفى الإنسان فكر، والفكر شىء متذبذب، مترجرج، متحرك.. والذى انكشف لنا من الزمان يدلنا على أن الإنسان متحول من حال إلى حال.. ونتقصى ويدلنا التقصى على أن آمالاً جميلة جاءت بها الأديان، قام دون تحقيقها فى القرون الغابرة قصور الإنسان.. وأن العلم الحديث جاء، فمحى الشىء الكثير من هذا القصور، ومكّن الإنسان، فكان أقرب إلى تحقيق هذه الآمال..

« ومع العلم الحديث جاء الفكر الحديث، ففتح كل منغلق، وأخذ يفتش فى كل قديم مخزون، ليخلص المخازن من ركامها، وليرفع عنها ترابها والعناكب..

ارفعى التراب عن مخازن عتيقة :

« ففى عصر كهذا.. أوصيك بأن تركبى فى موكب العلم الحديث وأن تدخلى المخازن العتيقة مع الداخلين، وأن تعينى فى رفع التراب..

« ولكن .. احذرى العلم أن يسوقك ويسوق الناس إلى ضلالة..

« إن العلم قوة ـ لا شك فى هذا ـ ولكنها قوة غير عاقلة يركبها الإنسان العاقل إلى حيث ما هو يريد..

« إن العلم لا يريد، ولكن يريد الإنسان..

« والعلم لا يهدى ولا يضل، وإنما يضل ويهدى الإنسان..

« والعلم له حدود يعمل فيها، ولكن من الناس من يريده أن يخرج عن هذه الحدود، فيعمل فى كل الحقول.. وعندئذ لا يكون إلا فشل، وإلا إخفاق..

« كذلك احذرى ـ وأنت ترفعين التراب من المخازن، وتخرجين عنها العناكب ـ احذرى أن ترمى بكل ما هو مترب، أو تحت التراب..

« إن تراب الزمن يهبط، فيتراكم على الخسيس والثمين.. فاحذرى أن تلقى خارج المخازن بثمين مترب.. أزيلى عنه التراب، وأصقليه، يكن لعينك منه فتنة، ويكن للناس..

وأوصيك بما لا أوصى به الفتى:

« ثم وصايا تلقى إليك يا فتاتى خاصة، ولا تلقى إلى الفتى..

« إن الفتى والفتاة لفظان، تساوت بينهما حروف، واختلفت حروف، ونطقنا بهما، فكان لهما وزنان مختلفان..

« وكذلك أنت ـ يا فتاتى ـ جمعت بينك وبين الفتى صفات، واختلفت فيما بينكما صفات، وهى صفات ـ بحكم الصنع ـ أزلية أبدية..

« فالتقدميون ـ الذين يريدون أن يروا فيكما شيئاً واحداً متطابقاً ـ واهمون حالمون مخطئون..

« والمحافظون ـ الذين يريدون أن يروا فيكما وجوهاً للاختلاف، ليس بينها وجه مشابه واحد ـ جامدون جائرون ظالمون..

« وأنت يا فتاتي.. إنسان، وهذا فتاك كذلك إنسان.. فلكما جميعا من حقوق الإنسان ما لا يستطيع أن ينكره عليكما مكان، أو زمان..

« وعليكما كذلك واجبات الإنسان تجاه أنفسكما، وتجاه الناس.. وأنتما إنما خلقتما في سائر الخلق، وهو كثير شتيت، لتكتمل بكما الوحدة.. وهي وحدة كما تلتئم تنفصم، ولتلتئم ويدوم التئام، لا بد من توفيق وتعشيق..

« وفي سبيل التوفيق: تخسر الحرية.. ولكن ضياع الحرية مع بلوغ الوحدة: كسب لك، وكسب لفتاك..

« وإن تكن الحرية أول حقوق الإنسان.. فالرضا بانتقاصها في سبيل الوحدة أول واجبات الإنسان..

« واعلمي ـ يا فتاتي ـ أن هدفك في الحياة ـ بحسبان أنك فتاة ـ إنما هو طلب الفتى .. كما أن هدف الفتى، إنما هو طلب الفتاة.. فبدون اجتماعكما لا تتصل حياة.. وهذا واجب فرض.. رضيه الإنسان بمجرد أن وضع رجليه على الأرض، وإلا ففيم كان اختلاف جنس.. فما خُلق الجنسان إلا ليعمرا أرض الله..

حق الأنثى :

« وأنت ـ يا فتاتي ـ تطلبين الفتى، فتستحين، ويطلبك الفتى، فلا يستحي.. وتلك مناقضة من مناقضات الزمان، ونشاز أصبحت لا تكاد تحتمله في هذا العصر الحديث آذان.. وهي معان تجمل عند الشعراء أيام كان الناس قِلّة، وكان بالعيش سعة، وكان طلب الفتى للفتاة طبعاً..

« أما وقد تغير الزمان.. فقد صار لك عند الذكور حق الأنثى .. ذلك الحق الذى فرضه الله بحكم خلقكما.. حق السقف الواحد، والبناء الواحد، والطعام، والأنسال.. ولا حياء فى مطالبة بحقٍّ فرضه الله.

« إن الذى ضيع عليك فرصة هذا الحق: أن الفتى كاسب، وأنك لا تكسبين..

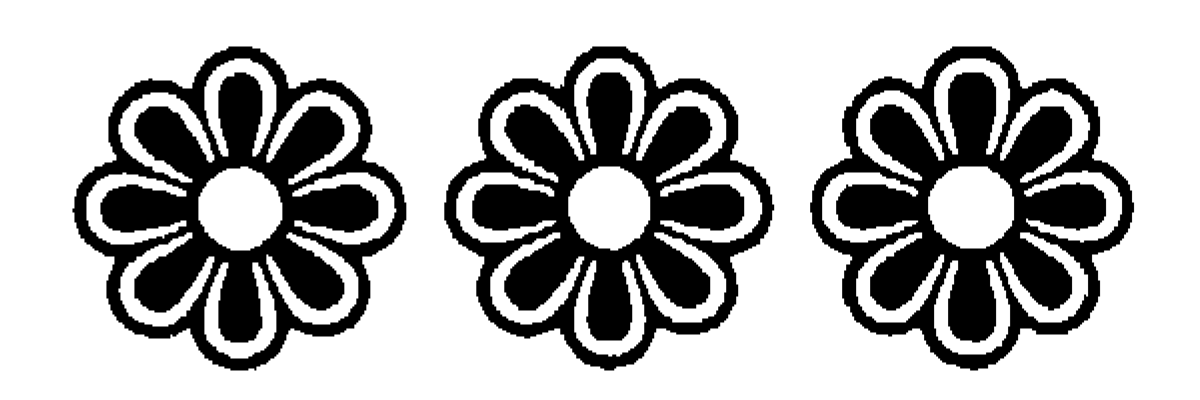
« السبيل واضحة.. إذن .. اكسبى كما يكسب الفتى، وتعلمى لتثقفى.. ولكن كذلك تعلمى للمهنة، ففى المهنة كسب..

« والمهنة ليس فيها امتهان لفتى، وكذلك ليس فيها امتهان لفتاة..

« وإن يكن الزمان مضى حكم غير هذا، فهذا حكم هذا الزمان..

« عندئذ.. يأتيك الفتى طالباً، وقد ألقى سلاحه.. وتظلين أنت شاهرة سلاحك، فى وفاق بينكما، وفى غير وفاق..

« إن المهنة سلاح، يحمى كبرياء الفتاة.. ويظل يحميها، ما تعاقبت السنون(*)»..



(*) الهلال ـ ديسمبر سنة ١٩٥٧م..

طرائف وصايا

الشعراء

* طرائف وصايا الشعراء :

وصية المغربى

* ومن وصية ابن سعيد المغربى المتوفى سنة ٦٩٧هـ لابنه، وقد أراد السفر:

أُودِعُكَ الرَّحمنَ فى غُربتك	مُرتقباً رُحماهُ فى أَوْبتك
فلا تُطِلْ حبل النَّوَى إننى	والله أشتاق إلى طلعتك
واختصر التوديع أخذاً فما	لى ناظرٌ يَقْوَى على فُرقتك
واجعل وَصاتى نُصْبَ عين ولا	تبرح مدى الأيام من فكرتك
خلاصة العُمر التى حُنّكَتْ	فى ساعة زُفّتْ إلى فطنتك
فللتجاريب أمــور إذا	طالعتها تَشْحَذُ مِنْ غَفلتك
فلا تَنَمْ عن وعيها ساعةً	فإنها عونٌ إلى يقظتك
وكل ما كابدتَهُ فى النَّوى	إياك أن يكسرَ مِنْ همَّتك
فليس يُدرى أصلُ ذى غُربة	وإنما تُعْرفُ من شيمَتك
وامشِ الهُوَيْنا مُظهراً عفَّةً	وابغِ رِضا الأعيُن عن هيئتك
وانطق بحيث العىُّ مُستقبحُ	واصمُتْ بحيث الخير فى سكتتك
ولِج على رزقك من بابه	واقصد له ما عشتَ فى بكْرَتك
ووَفِّ كُلا حقَّه ولتكن	تكسرُ عند الفخر من حدَّتك
وحيثما خيَّمت فاقصد إلى	صُحبة من ترجوه فى نُصرتك

وللرزايا وَثْبة ما لها إلا الذى تذخر من عُدّتك
ولا تَقُل أسلمُ لى وحدتى فقد تُقاسى الذُّل فى وحدتك
ولتجعل العقل مِحكاً وخُذ كُلا بما يظهر فى نقْدتك
واعتبر الناس بألفاظهم واصحب أخاً يرغب فى صحبتك
كم من صديقٍ مُظهرٍ نُصحه وفكرهُ وَقف على عَثرتك
إيــاك أن تــقــربَــه إنــهُ عَوْنٌ مع الدهر على كُربتك
وانم نموَّ النَّبت قد زاره غبُّ الندى واسمُ إلى قُدرتك
ولا تُضيِّع زمناً ممكناً تذَكاره يُذكى لظى حسرتك
والشر مهما استطعت لا تأتـهِ فإنه جَوْرٌ على مُهجتك

يا بُنى.. الذى لا ناصح له مثلى ولا منصوح لى مثله.. قد قدّمتُ لك فى هذا النظم ما أن أخطرته بخاطرك فى كل أوانٍ رجوت لك حُسن العاقبة إن شاء الله تعالى وإن أخفّ منه للحفظ وأعلق بالفكر وأحق بالتقدم قول الأول:

يزين الغريب إذا ما اغترب ثلاثٌ فمنهن حُسْن الأدب
وثانية حُسن أخلاقه وثالثةٌ اجتنابُ الريب

واصغ يا بُنىّ إلى البيت الذى هو يتيمة الدهر، وسُلّم الكرَم والصبر:

لو أن أوطان الديار نَبَتْ بكم لكفتكم الأخلاق والآداب

* * *

يوصيه بالضحك عند البكاء!!

* أوصى أحد الشعراء قائلاً:

وَلَدَتْكَ أُمُّكَ يا بِن آدم باكياً والناس حَوْلكَ يَضْحكُونَ سُرُوراً

فاجْهَدْ لِنَفْسِكَ أنْ تكونَ إذا بَكَوْا   في يوم موتك ـ ضاحِكاً مسروراً

* * *

يوصى .. بالبعد عن ذوى العاهات!!

* وجاء فى وصية لبعض العلماء هذه الأبيات التالية:

تَوَقَ رعاك الله تسعاً من البَشَر   فصحبتهم تُفضى إلى البؤس والضرر
وهم : أحول مع أعرج ثم أحدب   وذى كوسج يتلو الشياطين فى الكدر
وإياك ذا الأنف الطويل وأشقر   فإنهم بيت الخيانة .. والخطر
ولا غائر الصدغين خارج جبهة   ولا أزرق العينين فالحذر .. الحذر

* * *

يوصى .. بألا يشربوا الخمر

* ولما حضرت الوفاة (**الحسن بن هانئ**) أبو نواس ـ (٧٥٨ـ٨١٤م) ـ قال أربعة أبيات شعرية هى :

يا رب إن عظمت ذنوبى كثرة   فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا مُحسن   فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك رب كما أردت تضرعاً   فإذا رددت فمن ذا يرحم
ما لى إليك وسيلة إلا الرجا   وجميل عفوك ثم إنى مُسلم

ثم أوصى «**أبو نواس**» أهله ومعارفه بألا يشربوا الخمر أبداً .. وقال : **بأن شرب الخمر على الريق، هو الذى قتلنى..**

يوصى بالتغنى فى أذنه .. عند موته

* قال «أبو العتاهية»، واسمه «إسماعيل بن القاسم بن سويد العينى بن كيسان العنزى» وكنيته : «أبو إسحاق» ـ (١٣٠م ـ ٨٢٦م) ـ يوصى عند موته:

ـ أشتهى أن يجيء (مخارق) فيضع فمه على أُذنى ثم يغنينى :

سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتى ... ويحدث بعدى للخليل خليل
إذا ما انقضت عنى من الدهر مدتى ... فإن غناء الباقيات قليل

* * *

وقال «أبو العتاهية» لابنته فى علته التى مات فيها:

ـ «قومى يا بنية فاندبى أباك بهذه الأبيات» :

فقامت، فندبته بقوله :

لَعِبَ البلَى بمعالمى ورسومى ... وقبرتُ حياً تحت ردم همومى
لزم البِلَى جسمى فأوْهنَ قُوتى ... إن البلى لموكل بلزومى

* * *

يوصى بحمله على حمار

* وقال «إسحاق بن عبد الله بن شعيب» : أمر «أبو العتاهية» أن يُكتب على قبره:

أُذْنَ حــى تَسمَّعــى ... اسمعى ثم عي وعى
أنــا رهــن بمضجعــى ... فاحذرى مثل مصرعى
عشت تسعين حجــة ... فى ديار التزعزع

ليس زاد سوى التقى فخذى منه أو دعى

* * *

* عندما حضرت الوفاة «أبو مُليكة جَرْول بن أوس بن مالك العبسى الحطيئة» ـ (ح٤٥هـ = ٦٦٥م) ـ قيل له : أوصنا ..

قال : احملونى على حمار .. فإنه لم يَمُتْ عليه كريم، فلعلى لا أموت..

ثم أنشد :

لكل جديد لذة غير أننى وجدت جديد الموت غير لذيذ

* * *

يوصى .. بأكل أموال اليتامى

* وقيل أيضاً عن «الحطيئة» إنه حين حضرته الوفاة أوصى قائلاً :

ـ أوصيكم أن تأكلوا أموال اليتامى .. وتتزوجوا أمهاتهم .. وأبلغوا أهل (امرئ القيس) أنه أشعر العرب..

* * *

من أوصى بِشَرٍّ .. وكان قاسياً

* ولما حضرت «الحطيئة» الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا : يا أبا مليكة : أَوْصِ..

فقال : ويل للشعر من راوية السوء..

قالوا : أَوْصِ رحمك الله يا حُطَيْءُ..

قال : من الذى يقول :

إذا أنْبَضَ[1] الرامون عنها تَرَّنمت ترنُّمَ ثَكْلَى أوجعتْها الجنائز؟

قالوا : الشَّمّاخ..

قال : أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب..

قالوا : ويحك .. أهذه وصية .. أوصِ بما ينفعُك!

قال : أبلغوا أهل ضابئ[2] أنه شاعر حيث يقول :

لكل جديد لذة غير أننى رأيت جديد الموت غير لذيذ

قالوا : أوصِ ويحك بما ينفعك..

قال : أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول :

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مُغارِ الفَتل شُدَّت بِيَذْبُل[3]

قالوا : اتقِ الله ودَعْ عنك هذا..

قال : أبلغوا الأنصار أن صاحبهم[4] أشعر العرب حيث يقول :

يُغْشَوْن حتى ما تَهِرُّ كلابُهم لا يَسْألون عن السواد المُقبل

---

(١) أنبض القوس وأنضبها : جذب وترها لتصوت..

(٢) هو ضابئ بن الحارثى البرجمى الشاعر من بنى تميم.

(٣) من معلقته، ومغار الفتل : محكمه، وهو اسم مفعول من أغار الحبل إشارة : شد فتله، ويذبل: جبل..

(٤) هو حسان بن ثابت الأنصارى شاعر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم شرح هذا البيت.

قالوا : هذا لا يُغْني عنك شيئاً، فَقُل غير ما أنت فيه. فقال :

الشِّعْرُ صَعْبٌ وطويل سُلَّمُه إذا ارتقَى فيه الذى لا يَعْلَمُه
زَلَّتْ به إلى الحَضيض قَدَمُه يريدُ أن يُعرِبَه فيُعْجِمُه[1]

قالوا : هذا مثل الذى كنت فيه، فقال :

قد كنتُ أحياناً شديد المعتمد وكنت ذا غرب[2]على الخَصْم ألَدّ
فَوَرَدتْ نفسى وما كادت تَرِدْ[3]

قالوا : يا أبا مُلَيْكَة، ألك حاجة؟

قال : لا والله، ولكن أجزع على المديح الجيد يُمدح به من ليس له أهلاً..

قالوا : فمن أشعر الناس؟

فأومأ بيده إلى فيه وقال : هذا الحُجَيْر إذا طمِعَ فى خير (يعنى فَمه) واستعبَرَ باكياً..

فقالوا له : قُل لا إله إلا الله، فقال :

قالت وفيها حَيْدَةٌ وَذُعْرُ عَوْذٌ بربى منكم وحُجْرُ[4]

فقالوا له : ما تقول فى عبيدك وإمائك؟

---

(١) الفاء هنا للاستئناف، والمعنى : فإذا هو يعجمه ولا يصح نصبه عطفاً على قوله «يعرب»..

(٢) الغرب : الحد ومنه غرب السيف : حده

(٣) وردت : أشرفت، يقال : ورد فلان بلد كذا إذا أشرف عليه وإن لم يدخله ولعله يريد من الورود الإشراف على الموت.

(٤) حيدة : من حاد عن الشئ اذا صد عنه أو تغير خوفاً منه، وحجر: أى دفع ومنع، والعرب تقول عند الأمر تنكره : حجراً له (بالضم) أى دفعاً.

فقال : هم عبيد قِنّ ما عاقب الليل النهار..

قالوا : فأوصِ للفقراء بشيء..

قال : أوصيهم بالإلحاح في المسألة، فإنها تجارة لا تبور واست المسئول أضيق[1]..

قالوا : فما تقول في مالك؟

قال : للأنثى من ولدى مثل حظ الذكر.

قالوا : ليس هكذا قضى الله جل وعزّ لَهُنْ..

قال : لكنى هكذا قَضَيتُ..

قالوا : فما توصى لليتامى؟

قال : كُلوا أموالهم، وانكِحوا أُمهاتهم..

قالوا : فهل شئ تَعْهدُ فيه غير هذا؟

قال : نعم، تحملوننى على أتانٍ، وتتركونى راكبها حتى أموتَ فإن الكريْم لا يموتُ على فراشه، والأتانُ مَركَبٌ لم يَمُتْ عليه كريم قط..

فحملوه على أتانٍ، وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول:

لا أحد الأَمُ من حُطَّية هجا بنيه وهجا المُرَيَّة
من لؤمه مات على فرية

المرية : تصغير مَرَة ـ امرأة ـ يريد : زوجته، والفرية يريد الفرا أى : الحمار..

---

(١) هذا كناية عن العجز، يقال للرجل يستضعف : استك أضيق من أن تفعل كذا، ويقال للجماعة أنتم أضيق أستاها من أن تفعلوا كذا..

يوصى .. بنقش الشعر على قبره

* «**حافظ الشيرازى**» : شاعر عظيم لمع فى سماء الأدب الفارسى .. عاش سبعين عاماً من القرن الرابع عشر الميلادى فى وقت كان للشعراء حظوة كبيرة لدى ملوك الفرس..

فى أواخر حياته .. اتهم بالتخريف والهرطقة، وتحرك البعض لمحاكمته وإدانته .. ولكن آخرين دافعوا عنه، وتفضلوا بأن فسروا خمره بأنها نشوة روحية .. وحاناته بأنها أديار .. ولهبه بأنها نار مقدسة..

وعندما مات اعترض رجال الدين على تشييع جنازته، أو الصلاة عليه .. فدفنه أصدقاؤه فى حديقة تزدان بورود شيراز.. وأصبح قبره ـ لقرون طويلة ـ مزاراً يذهب إليه عشاق الجمال والحرية من شتى أنحاء العالم..

لكنه قبل موته أوصى بأن تنقش هذه الأبيات على لوح مقبرته المصنوع من المرمر.. وهى :

« إن روحى مثل الطائر الزاجل تحن إلى جنتك يا الله..

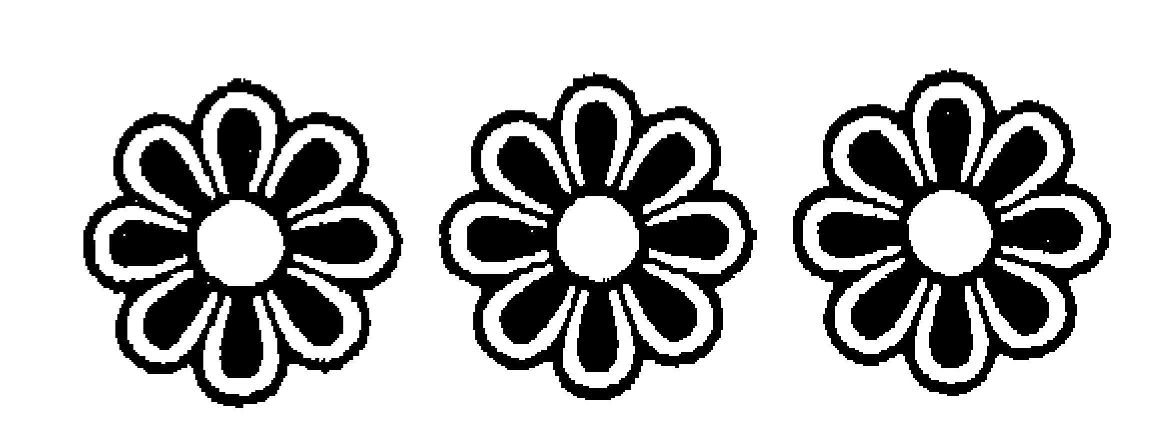
« وعندما يرن صوتك فى طيات أكفانى..

« سوف أنهض وأرقص على أنغام قيثارتك..

« ورغم شيخوختى سوف أشعر بنضارة الشباب..

« دعنى أنهض وأمرح فى نعمتك، فأنت الهدف الذى يصبو إليه الجميع..

« أنت المحبوب الذى يعبده حافظ » !!..



غرائب وصايا

النســـاء

فــى الشــــرق

وصايا امرأة (عوف) .. لابنتها!!

* أوصت امرأة «**عوف بن محلم الشيبانى**» ـ (٠٠٠٠ ـ ٤٥هـ = ٠٠٠٠ ـ ٥٨٠م) ـ ابنتها عند زفافها إلى ملك كندة :

أى بنية : إنك قد فارقت بيتك الذى منه خرجت .. وعشّك الذى فيه درجت .. إلى وكرٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه .. فكونى له أَمَة يكن لك عبداً .. واحفظى له عشر خصال يكن لك ذخراً :

أما الأولى والثانية :

فالصحبة بالقناعة .. والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ..

وأما الثالثة والرابعة :

فالتعهد لموقع عينه .. والتفقد لموضع أنفه .. فلا تقع عينه منك على قبيح .. ولا يشم منك إلا أطيب ريح .. والكحل أحسن الحسن .. والماء والصابون أطيب الطيب المفقود..

وأما الخامسة والسادسة :

فالتفقد لوقت طعامه .. والهدوء عند منامه .. فإن حرارة الجوع ملهبة .. وتنغيص النوم مغضبة..

وأما السابعة والثامنة :

فالعناية ببيته وماله .. والرعاية لنفسه وحشمه وعياله .. وملاك الأمر فى المال حسن التدبير..

وأما التاسعة والعاشرة :

فلا تفشى له سراً .. ولا تعصى له أمراً .. فإنك إن أفشيت سره، لم تأمنى غدره .. وإن عصيت أمره، أوغرت صدره..

ثم اتقى مع ذلك الفرح، إن كان ترحاً .. والاكتئاب عنده، إن كان فرحاً .. فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير .. وكونى أشد ما تكونين له إعظاماً، يكن أشد ما يكون لك إكراماً .. وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما يكون لك مرافقة..

واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك .. وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت .. والله يخير لك..

* * *

وصيـــة أم !

* وأوصت أم ابنتها فقالت :

ـ أى بنية :

لا تغفلى عن نظافة بدنك، فإن نظافته تضىء وجهك .. وتحبب فيك زوجك .. وتبعد عنك الأمراض والعلل .. وتُقَوِّى جسمك على العمل .. فالمرأة التفلة ـ أى النتنة ـ تمجها الطباع .. وتنبو عنها العيون والأسماع .. وإذا قابلت زوجك، فقابليه فَرِحَة مسرورة مستبشرة .. فإن المودة : جسم، روحه : بشاشة الوجه..

* * *

وصاياها لابنتها .. فى ليلة زفافها

* وأوصت أم ابنتها ليلة زفافها قائلة :

ـ لا أريد أن أخدعك يا ابنتى .. إن حلاوة الزوجية تنتهى بنهاية الشهر الأول الذى لا تزال فيه الحقائق والأوهام غالبة فى تخيلات تلك الصبوة.. فإذا تمنيت مزيداً من الحلاوة فى حياتك الزوجية فعليك بالنصائح الآتية :

(١) اجتهدى أن تنمى فيك السجايا التى حببتك إلى زوجك، وجعلتك عزيزة فى عينيه يوم كنت آنسة .. ولا تظنى أنك ـ وقد صرت زوجة ـ يجوز لك أن

تغيرى مظاهرك السابقة .. وأذكرى دائماً أن وظيفة الزوجة لا تبتدى ولا تنتهى فى مخدعها..

(٢) لا تسلمى لأحد فى دعواه أنه يفهم زوجك أكثر منك .. حتى ولا أمك التى هى أنا .. لا تصغى للذين ينتقدون زوجك بحجة النصح له، فإنهم أعدى أعدائك..

(٣) إذا عرفت خطأ لزوجك .. أو شعرت بقصور منه، فإياك أن تؤنبيه أو تعظيه، لئلا تعتدى على حق هو لأبويه، أو لأخيه الأكبر..

(٤) تيقنى أنك لا تقدرين على محاربة الرجل بسلاحه ـ قوته فى لفظـه، وكفـه ـ وعناده ـ لأنه ثقيل فى يدك النضيرة .. وأنك لتتعبين من حمله .. وسيريك الزمان أن أسلحة المرأة الماضية ـ الحادة ـ هى الجمال والاستسلام والحلم واللطف والسكينة والاتكال .. والخجل والبكاء .. ولعلك تظنينها أسلحة ضعيفة .. ولكن أؤكد لك أنها إذا شحذتها الحمية والأمانة كانت ماضية جداً .. كافية لأن تدمث الطباع الخشنة .. وتخفض من غلواء الرجل .. وتحط من كبريائه حتى يجثو أمامك خاضعاً..

(٥) لا تعظمى المصائب فى بيتك .. ولا تستسلمى للحزن والأسى بعد وقوع النازلة .. يكفى زوجك جهاده خارج المنزل .. فعليك أن تخلقى التعزية والسرور له داخل البيت .. فبشى له على أى حال .. واستقبليه بكل ابتسامة تنبئ عن متسع الأمل .. وتحيى الرجاء فى النفس .. وتوقظ الحمية فى أعماق القلب..

(٦) تحاشى أن تستطلعى أسرار ماضى زوجك[١] .. فقد انقضى وفى وقوفك عليه ما ينغص عيشك .. ويجعل هناءك شقاء .. ولا تنسى أن زوجك إنسان لاملاك..

---

(١) أى الذى تكرهينها منه ..

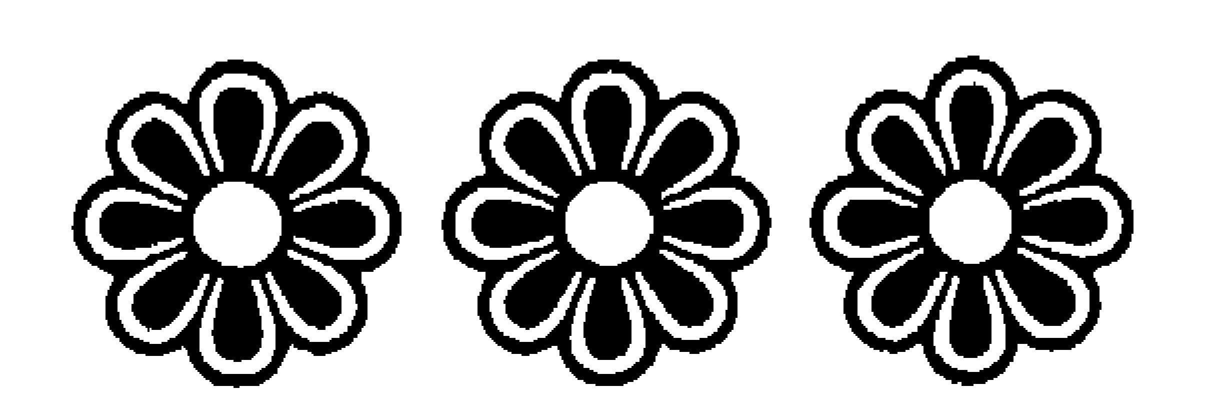
(٧) ارفقى بجيب زوجك .. فلا تستنفدى نقوده لاقتناء الحلى والحلل .. وعليك أن تكتفى بما تمس الحاجة إليه من ذلك .. أما ما زاد عنه فيُعد إسرافاً لا مسوغ له .. والكساء البسيط بهندام حَسَن يدل على سلامة ذوق السيدة ونبلها.

(٨) احترمى عواطف بعلك .. وتسلمى مواضع حاجاته .. وبادرى إلى قضائها قبل أن يطالبك بها .. حببى إلى نفسك حرفته .. فإذا كان من أهل الأدب مثلاً، فرتبى أوراقه ومكتبه، ونظفى أقلامه وأدواته .. وإن كان طبيباً فافعلى ما يرضيه مع ذلك، وتولى هذا العمل بنفسك لأن الخدم لم يُكلَّفوا حُب سيدهم..

(٩) اعتنى باختيار صديقاتك .. فبالنظر إليهن يحكم العالم على مكانتك، ولا تطلعى صديقة لك على كل شىء من دخائل منزلك .. مهما بلغت منزلتها عندك .. ولا سيما ما يتعلق منها بعيب أو نكبة..

(١٠) حينما تجلسين إلى المائدة، اجتهدى أن تكونى فى أوضح مظاهر البهجة والسرور، لأن الوجه العابس يعوق الهضم ويفسده .. وفساده داعٍ إلى اعتلال الصحة..

(١١) كونى للزوجات نموذجاً .. فأحبى .. وشجعى .. وعزى .. واحتملى .. وسامحى .. واحترمى .. ترى نفسك فى السبيل الذى يفضى بالزوجة إلى السعادة، والهناء..



وصية أم سفيان .. أشبه بامتحان

* أوصت أُم المُحدِّث المشهور «سفيان الثورى» (٧١٦ـ ٧٧٨م) ـ قائلة له :

ـ **يا بُنى .. خُذْ هذه عشرة دراهم، وتعلم عشرة أحاديث .. فإذا وجدتها تغير فى جلستك ومشيتك وكلامك مع الناس .. فأقبل عليه، وأنا أُعينك بمغزلى هذا .. وإلا فاتركه .. فإنى أخشى أن يكون وبالاً عليك يوم القيامة!!..**

* * *

توصى ابنها .. بتلقينها الشهادة فى قبرها

* قال «شبيب بن شيبة» (٠٠٠ـ١٧٠هـ=٠٠٠ـ٧٨٦م) : أوصتنى أمى ـ عند موتها ـ فقالت :

ـ **يا بُنى .. إذا دفنتنى، فَقُمْ عند قبرى، وقُلْ : يا أُم شبيب .. قولى «لا إله إلا الله» ..**

ثم انصرفت .. فلما كان من الليل رأيتها فى النوم، فقالت :

ـ **يا بنى .. كدتُ أهلك، لولا أن تداركنى قول لا إله إلا الله .. فقد حفظتَ وصيتى يا بُنى !!..**

* * *

امرأة توصى ابنها .. بالإسراف !!

* أوصت امرأة اعرابية ابنها، فقالت له :

ـ يا بني .. إذا رأيت المال مُقبلاً، فأنفق .. فإنه يحتمل النفقة .. وإذا رأيته مدبراً، فأنفق .. فإن ذهابه فيما تريد، خير من ذهابه فيما لا تريد!!..

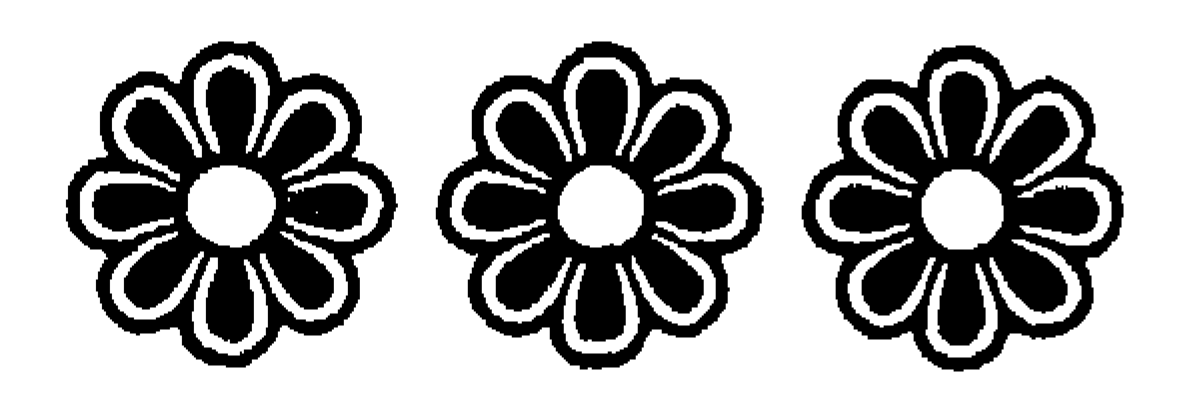
* * *

يوصين بناتهن .. بركوب أزواجهن

* كان نساء العرب يعلمن بناتهن اختيار الأزواج .. فكانت المرأة توصى ابنتها فتقول :

ـ «اختبرى زوجك قبل الإقدام والجرأة عليه .. فانزعى زج رمحه .. فإن سكَتَ، فقطِّعى اللحم على تُرْسه .. فإن سكَتَ فكسرى العظام بسيفه .. فإن صبر، فاجعلى الأكاف على ظهره .. وامتطيه .. فإنما هو حمارك..

«وعلى الجملة .. فبالعدل قامت السماوات والأرض .. وكل ما جاوز حَدَّه، انقلب إلى ضِدّه» !!..



غرائب وصايا

الجاهلية

وصاياه ..

بين النثر .. والشعر

* غرائب وصايا الجاهلية :

وصاياه .. بين النّثْر .. والشّعْر

* لما حَضَرت «عبد الله بن شداد» الوفاة .. دعا ابناً له يقال له (**محمد**) .. فقال له :

ـ «يا بُنى .. إنى أرى داعى الموت لا يقلع .. وأرى من مضى لا يرجع .. ومن بقى فإنه لا ينزع .. وإنى موصيك بوصية، فاحفظها ..

«عليك بتقوى الله العظيم .. وليكن أولى الأمور بك : شُكر الله، وحُسْن النية فى السر والعلانية .. فإن الشكور يزداد، والتقوى خير زاد .. وكُن كما قال «أبو مُلَيْكَة الحطيئة» ـ (ح٤٥هـ=٦٦٥م) :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذُخْراً وعند الله للأتقى مزيد
وما لابد أن يأتى قريب ولكن الذى يمضى بعيد

ـ «أى بُنى .. لا تزهدن فى معروف، فإن الدهر ذو صروف .. والأيام ذات نوائب، على الشاهد والغائب .. فكم من راغب قد كان مرغوباً إليه، وطالب أصبح مطلوباً ما لديه .. واعلم أن الزمان ذو ألوان .. ومن يصاحب الزمان يرى امتحان .. وكن ـ أى بُنى ـ كما قال «أبو الأسود الدؤلى» ـ (٦٠٥ـ٦٨٨م) :

وعد من الرّحْمن فضلاً ونعمة ... عليك إذا ما جاء للعُرف طالب
وإن امرءاً لا يرتجى الخير عنده ... يكن هينا ثقلاً على من يصاحب
فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالباً ... فإنك لا تدرى متى أنت راغب
رأيت التوا هذا الزمان بأهله ... وبينهم فيه تكون النوائب

ـ «أى بُنى .. كن جواداً بالمال فى موضوع الحق، بخيلاً بالأسرار عن جميع الخلق.. فإن أحمد جود المرء : الإنفاق في وجه البر، وإن أحمد بخل الحُر : الضن بمكتوم السر .. وكن كما قال «قيس بن الخطيم الأنصارى» (ت عام ٢ .ق.هـ ـ ٦٢٠م) :

أجود بمكنون التلاد وإننى ... بسرك عمن سالنى لضنين
إذا جاوز الاثنين سر فإنه ... ببث وتكثير الحديث قمين
وعندى له يوماً إذا ما ائتمننى ... فكان بسوداء الفؤاد مكين

ـ «أى بُنى .. وإن غلبت يوماً على المال، فلا تدع الحيلة على حال، فإن الكريم يحتال، والدنى عيال .. وكن أحسن ما تكون فى الظاهر حالاً، أقل ما تكون فى الباطن مالاً .. فإن الكريم من كرمت طبيعته، وظهرت عند الانفاد نعمته .. وكن كما قال «ابن خذق العبدى» :

وجدت أبى قد أورثه أبوه ... خِلالاً قد تُعَد من المعالى
فأكرم ما تكون على نفس ... إذا ما قل فى الأزمات مالى
فتحسن سيرتى وأصون عرضى ... ويجمل عند أهل الرأى حالى
وإن نُلْت الغنى لم أغلُ فيه ... ولم أخصص بجفوتى الموالى

ـ «أى بُنى .. وإن سمعت كلمة من حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد .. فإنك إن أمضيتها حيالها، رجع العيب على من قالها ..

ـ «وكان يقال : الأريب العاقل، هو الفطن المتغافل .. وكن كما قال «حاتم بن عبد الله الطائى» (ت.ح٤٦٠.ق.هـ=٥٧٨م) :

وكلمة حاسد فى غير جرم ... سمعت فقلت : مرى فانفذينى

فعابوها علىَّ ولم تسؤنى ... ولم يعرق لها يوماً جبينى

سمعت بعيبه فصفحت عنه ... محافظة على حسبى ودينى

ـ أى بُنى .. لا تُؤاخ امرءاً حتى تعاشره، وتتفقد موارده ومصادره .. فإذا استطعت العشْرة، ورضيت الخبرة .. فواخه على إقالة العثرة، والمواساة فى العسرة.. وكنَ كما قال «المقنع الكندى» (٨٠١ ـ ٨٦٥م) :

أبل الرجال إذا أردت إخاءهم ... وتوسمن فعالهم وتفقد

فإذا ظفرت بذى اللبابة والتُّقَى ... فبه قرير العين ثمت فاشدد

وإذا رأيت ـ ولا محالة ـ زلة ... فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد

ـ« أى بُنى .. إذا أحببت فلا تفرط، وإذا أبغضت فلا تشطط .. فإنه قد كان يقال : أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما .. وأبغض عدوك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما .. وكن كما قال «هدبة بن خشرم العذرى» (ت٥٠هـ=٦٧٠م) :

وكن معقلاً للحلم واصفحِ عن الخنا ... فإنك راءٍ ما حميت وسامع

وأحبب إذا أحببت حباً مقارباً ... فإنك لا تدرى متى أنت نازع

وابغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً ... فإنك لا تدرى متى أنت راجع

* * *

يوصى أولاده .. بإخافة الناس

* جمع «أود بن صعب بن سعد» بنيه ليوصيهم فقال :

ـ يا بُنى .. أخيفوا الناس ولا تخافوهم .. واستخبروهم ولا تخبروهم .. وبئس موضع السر : المرأة .. وكونوا من الموتورين على حَذَر .. وإذا دُفِعْتم عن حقكم، فاطلبوا أكثر منه .. وإذا بُخِع[1] لكم فاقتصروا عليه !!.

* * *

يوصى بسلوى ما فات

* إنه «مضرس بن ربعى بن لقيط الأسدى» شاعر جاهلى حَسَنُ التشبيه، اختار (أبو تمام) ـ فى الحماسة ـ قطعتين من شعره .. ذات يوم أوصى ابنه قائلاً :

ـ يا بُنى .. إن الأسف : مرض ..

والطمع : لـؤم ..

واليأس : عجـز ..

فاسْلُ عما فات .. واحرص فيما تستقبل .. وفكر، ثم قدر .. ثم احضر!!..

* * *

وصيته لابنته .. ليلة البناء عليها

* أوصى «ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلى» ـ (٦٠٥ـ ٦٨٨م) ـ ابنته ليلة البناء عليها، فقال :

(١) يقال : بخع لى به، إذا أقر له به..

ـ «يا بُنية .. كان النساء أحق بأدبك منك، ولكن لابد لى منه ..

«يا بنية .. إن أطيب الطيب : الماء[1] .. وأحسن الحسن : الدهن .. وأحلى الحلاوة : الكحل ..

«يا بنية .. لا تكثرى مباشرة زوجك، فيملك، ولا تباعدى عنه، فيجفوك، ويعتل عليك، وكونى كما قلت لأمك :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ... ولا تنطقى فى ثورتى حين أغضب

فإنى رأيت الحب فى الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لـم يلبث الحب يذهب

* * *

يوصى خمسمائة .. من نسله

* «طيئ بن أدد بن بنى يشجب» من كهلان، جدّ جاهلى كانت منازل بنيه فى اليمن .. أوصى ولده، وولد ولده ـ الذين بلغوا وهو حى خمسمائة رجل، فجمعهم حين حضرته الوفاة ـ فقال لهم :

ـ «يا بنى .. إنكم قد نزلتم منزلاً لا تدخلون منه، ولا يُدخل غليكم .. فارعوا مرعى الضب الأعور، يعرف قدره، ويبصر جحره، ولا تكونوا كالجراد، لقف وادياً، وترك وادياً.. وإياكم والبغى، فإن الله إذا أراد هلاك النملة : جعل لها جناحين»..

* * *

(١) المعنى هو النظافة بالماء، خير من الطيب مع الوسخ..

يوصى أولاده .. والناس شرآ

* «عندما حضرت الوفاة «سعد بن زيد»[1] جمع أولاده، وقال لهم: يا بُنى .. أوصيكم بالناس شراً .. كلموهم نزراً .. وانظروا إليهم شزراً .. ولا تقبلوا لهم عُذراً .. قصروا الأعنة .. واشحذوا الأسنة .. تأكلوا القريب .. ويرهبكم البعيد ..

ثم قال : إنى لأعلم أن قوماً سيأتونكم، قد أحرقوا جباههم، وعرضوا لحاهم .. يدعون أن لهم على أبيكم دَيْناً، فلا تقضوهم، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفر الله له لم تضره .. وإلا فهى مع ما تقدم من ذنبه» !!..

* * *

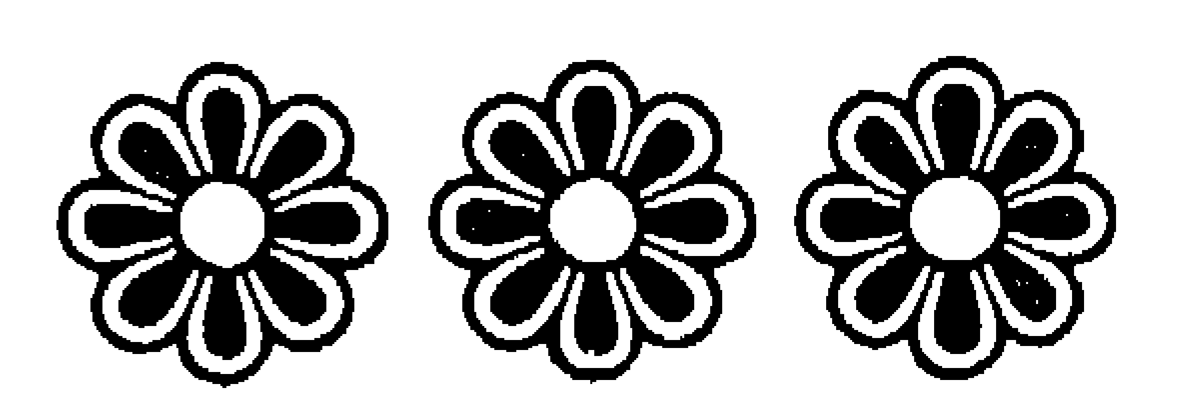
يوصى بعدم الثقة فى ثلاثة

* «وأوصى «حسان بن أسعد أبى كرب بن تبع الحميرى» وهو من أعاظم تبابعة اليمن فى الجاهلية (القرن الرابع قبل الميلاد) ذات يوم قال:

«لا تثقن بالملك، فإنه ملُول ..

«ولا بالمرأة، فإنها خَؤُون ..

«ولا بالدابة، فإنها شَرُود ..



(١) ابن ليث بن سود ـ من قضاعة : جد جاهلى. حضنه حبشى، اسمه هذيم، بنوه عدة بطون ذكرها ابن حزم الأندلسى ـ هكذا فى جمهرة الأنساب ٤١٨، واللباب ٣: ٢٨٧، والأعلام للزركلى حـ٣ ص٨٥.

وصايـــا
البخـــــلاء

من وصايا البخلاء

* روى «عمرو بن بحر الجاحظ» (٧٦٧ـ ٨٦٨م) : أن أبا عبد الرحمن ـ وهو أحد البخلاء ـ أوصى ابنه قائلاً :

ـ «أى بُنى .. إن إنفاق القراريط، يفتح عليك أبواب الدوانيق..

«وإنفاق الدوانيق، يفتح عليك أبواب الدراهم..

«وإنفاق الدراهم، يفتح عليك أبواب الدنانير..

«والعشرات، تفتح عليك أبواب المئين..

«والمئون، تفتح عليك أبواب الألوف، حتى يأتى ذلك على الفرع والأصل.. ويطمس على العين والأثر.. ويحتمل القليل والكثير..

ـ «أى بُنى: إنما صار تأويل الدرهم: «دار الهم» ..

وتأويل الدينار : «يدنى إلى النار» ..

«إن الدرهم إذا خرج إلى غير خلف، وإلى غير بدل.. دار الهم على دانق مخرجه..

«وقيل : إن الدينار، يدنى إلى النار.. لأنه إذا أنفقه فى غير خلف، وأخرج إلى غير بدل .. بقى مخفقاً معدماً، وفقيراً مبلطاً، متحرج المخارج .. وتدعوه الضرورة إلى المكاسب الرديئة .. والطعم الخبيثة ..

«والخبيث ـ من الكسب ـ يسقط العدالة، ويذهب بالمروءة، ويوجب الحد، ويدخل النار..

* * *

يوصى بدوام قرع الباب

* وقال (الجاحظ) : أوصى ـ بعضهم ـ وأظنه «بكر بن عبد اللـه المزنى ـ قائلاً :

ـ «لا تكدروا هذه القلوب ولا تهملوها .. فخير الفكر ما كان عقب الجمام (الراحة)..

«ومن أكره بصره : عشى ..

«وعاودوا الفكرة عند نَبَوات القلوب .. واشحذوها بالمذاكرة..

«ولا تيأسوا من إصابة الحكمة، إذا امتحنتم ببعض الاستغلاق .. فإن من أدام قَرْعَ الباب : وَلِجَ ..

* * *

غلام .. يوصى بخيلاً

* قال بعض البخلاء لغلامه : هات الطعام، وأغلق الباب ..

فقال الغلام : يا مولاى، هذا خطأ، إنما أوصيك بأن تقول : أغلق الباب، وهات الطعام !!

فقال له : أنت حُـرٌ لوجه الله لمعرفتك بالحزم !!..

وصية بخيل لابنه

* وهاك وصية بخيل لابنه، أراد بها أن ينّصح ابنه بالتقليل من الطعام، شُحاً وكزازة..

ولكنه أودعها على الرغم منه نصائح قيمة، يجمل أن تُتخذ دستوراً فى الطعام لمن أراد أن يَصِحّ ويُعافى، فهى حق أُريدَ بها باطل .. ومن ثَمّ اخترناها..

وهِى وصية (**جاحظية**) .. أوردها (**الجاحظ**) فى كتابه «البخلاء» .. ونسبها إلى رجُلٍ يسمى «**أبا عبد الرحمن الثورى**» كان يحب الرءوس ـ رءوس الضأن وغير الضأن ـ قال «**الثورى**» لابنه :

ـ «إياكَ ونَهَمَ الصّبيان[١]، وشَرَه الزُّرّاع[٢]، وأخلاقَ النوائح[٣]، ودَعْ عنك خَبْطَ الملاّحِينَ، والفعَلَةِ[٤] ونَهْش الأعرابِ والمَهَنة[٥] ..

«وكُلْ ما بين يديك، فإنما هوَ حقُّك الذى وقع لك، وصار أقرب إليك ..

«واعلم أنه إذا كان فى الطعام شئ طريف ولقمة كريمة، ومضغة شهية، فإنما ذلك للشيخ المعظم، والصبى المُدلل. ولستَ واحداً منهما. فأنت قد تأتى

---

(١) النهم : إفراط الشهوة فى الطعام..

(٢) الشره : غلبة الحرص على الطعام وإنما خص شره الزراع لأنهم أهل كد ونصب وحركة فيشرهون إلى الطعام لفرط ما يبذلون من قواهم البدنية..

(٣) النوائح، جمع نائحة : اسم يقع على نساء يجتمعن فى مناحة، ولعله يريد أن النوائح ينحن ما ينحن فإذا حضر الطعام أقبلن عليه شرهات، ونسين ما كن فيه من بكاء وعويل..

(٤) الملاح : نوتى السفينة، والخبط : السير على غير هدى، والفعلة : عملة الطين ونحوه. يقول : لا تذهب فى الطعام على غير هدى كالملاحين ولا تكن عنيفاً فى أكلك كما تفعل الفعلة..

(٥) يقول : لا تنهش اللحم كما ينهشه الأعراب الجفاة وكما ينهش المهنة : جمع ماهن، وهو العبد الخادم...

الدعوات والولائم، وتدخل منازل الإخوان.. وعهدك باللحم قريب.. وإخوانك أشد قُرباً إليه منك..

«وإنما هو رأس واحد، فلا عليك أن تتجافى عن بعضٍ و تُصيبَ بعضاً..

«وأنا ـ بَعْدُ ـ أكره لك الموالاةَ بين اللحم، فإن الله يُبغِضُ أهْلَ البيت اللَّحمين[1] وكان يقول : إياكم وهذه المجازر، فإن لها ضراوة كضراوة الخمر[2]..

[«وكان يقول : مُدْمِنُ اللّحم، كمُدمن الخمر..

«وقال الشيخ ـ ورأى رجلاً يأكل اللحم، فقال : لحمٌ يأكُلُ لحماً .. أفٌّ لهذا عملاً !

وقال الأول :

ـ «أهلك الرجال الأحمران : اللحمُ والخمر، وأهلك النساء الأحمران : الذهب والزعفران[3] ..

«أى بُنى، عَوِّدْ نَفْسَك الأَثْرَةَ[4]، ومجاهدة الهوى والشهوة[5] ..

---

(١) هذا حديث أورده ابن الأثير فى النهاية هكذا: إن الله ليبغض أهل البيت اللحمين، قيل هم الذين يكثرون أكل لحوم الناس بالغيبة : وقيل : هم الذين يكثرون أكل اللحم ويدمنونه، وهو أشبه .....

(٢) فى اللسان: وفى حديث عمر: اتقوا هذه المجازر فإن لها ضراوة كضراوة الخمر، أراد مواضع الجزارين التى تنحر فيها الإبل وتذبح البقر والشاة ويباع لحمانها وإنما نهاهم عنها لأنه كره لهم إدمان أكل اللحوم وجعل لها ضراوة كضراوة الخمر، أى عادة كعادتها، لأن من اعتاد أكل اللحوم أسرف فى النفقة فجعل العادة فى أكل اللحوم كالعادة فى شرب الخمر، لما فى الدوام عليها من السرف فى النفقة والفساد..

(٣) فالذهب للحلية والزعفران للتطيب..

(٤) الأثرة : اسم مصدر من آثر يؤثر إيثاراً، أى عود نفسك أن تؤثر غيرك على نفسك.

(٥) ومجاهدة الهوى: إما أنه يريد المعنى العام وإما يريد : لا تطلق لنفسك العنان فيما تشتهيه وتهواه من ألوان الطعام..

«ولا تنهش الأفاعى، ولا تَخْضَم خَضْم البراذين[١]، ولا تُدِمِ الأكل إدامة النعاج، ولا تَلْقَم لَقْم الجمال..

«إن الله قد فضلك، فجعلك إنساناً، فلا تجعل نفسك بهيمة، ولا سبعاً..

«واحذر سُرعة الكظَّة[٢]، وسَرَفَ البِطْنة، وقد قال بعض الحكماء : إذا كنت بَطيناً، فَعُدَّ نَفْسَك فى الزَّمْنَى[٣]. وقال الأعشى : «والبِطنةُ مما تُسَفِّهُ الأحلاما[٤]» ..

«واعلم أن الشبع داعيةَ البشَم[٥]، وأن البشم داعية السقم، وأن السقم داعية الموت. ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة. وهو قاتل نفسه، وقاتل نفسه ألْوَمُ من قاتل غيره[٦]..

«أى بُنى، إن القاتل والمقتول فى النار[٧]، ولو سألت حُذَّاقَ الأطباء، لأخبروك أن عامة أهل القبور إنما ماتوا بالتُّخَمِ..

---

(١) الخضم : الأكل بجميع الفم والبراذين : جمع برذون كفرعون وهو من الخيل العظيم الخلقة الجافيها الغليظ الأعضاء..

(٢) الكظة : الامتلاء من الطعام، وسرعة الكظة أن يسرع إليه الامتلاء وهو لايزال يتناول الطعام فيتفاقم عليه الأمر.

(٣) البطين : عظيم البطن من كثرة ما يأكل. والزمنى : ذوو العاهات الذين يدوم مرضهم زمناً طويلاً..

(٤) الأحلام : العقول وتسفه الأحلام : تطيشها والبيت :

يا بنى المنذر بن عبدان والبطـ ـنة مما تسفـه الأحلامـا

(٥) البشم : التخمة من كثرة الأكل..

(٦) ألوم من قاتل غيره : أحق منه بأن يلام..

(٧) يقول : إن من مات بالتخمة فقد قتل نفسه فهو قاتل ومقتول فى وقت معاً فهو فى النار على رأيه ..

«واعرف خطأ من قال : أكلَة وموتة ! وخُذْ بقول من قال : ربَّ أكلة تمنع أكلات[١]..

«وقد قال (الحسن البصرى) ـ (٢١ـ ١١٠هـ=٦٤٢ـ ٧٢٨م) : «يا بن آدم كُل ثُلث بطنك. واشرب فى ثُلث بطنك، ودع الثلث للتفكر والتنفس.

«وقال «بكر بن عبد الله المزنى»[٢]: «ما وجدت طعم العيش حتى استبدلت الخُمْصَ بالكظَّة[٣]، وحتى لم ألبس من ثيابى ما يستخدمنى[٤]، وحتى لم آكل إلا ما أغسل يدى منه..

«يا بنى، والله ما أدّى حق الركوع، ولا وظيفة السجود ذو كظَّة، ولا خشع لله ذو بطنة[٥]، والصوم مصحَّة[٦]، والوجباتُ : عيش الصالحينَ[٧].

«ثم قال : «لأمرٍ مّا[٨] طالت أعمار الهند[٩]، وصَحَّتْ أبدان الأعراب ..

لله در «الحارث بن كَلَدَة»[١٠]، حين زعم «أن الدواء هو الأزْمُ[١١]،وأن الداء هو إدخال الطعام فى أثر الطعام!

---

(١) أى لما ينشأ عنها من الأمراض..

(٢) كان من أفاضل التابعين صالحاً تقياً قال الجاحظ : وكانوا إذا ذكروا البصرة قالوا : شيخها الحسن وفتاها بكر .. مات سنة ١٠٨هـ..

(٣) الخمص : الجوع أى حتى اتخذت الجوع بدل الكظة..

(٤) يستخدمنى : أى يجعلنى خادماً له أى بالمحافظة عليه، لأنه ثمين.

(٥) يقول : إن الممتلئ طعاماً لا يمكن أن يركع فى الصلاة تمام الركوع ولا أن يسجد تمام السجود، والخشوع وتفريغ القلب لله تعالى لا يكون مع التخمة والعناء منها ..

(٦) مصحة : يصح عليه. (٧) الوجبات جمع وجبة، وهى الأكلة الواحدة فى اليوم والليلة.

(٨) لأمر ما : أى لأمر عظيم..

(٩) أى أعمال أهلها..

(١٠) طبيب العرب سافر إلى فارس وتعلم هناك الطب واشتهر فيه ونال به مالاً وأدرك الإسلام..

(١١) أزم.، من باب ضرب : أمسك عن المطعم والمشرب روى أن عمر بن الخطاب سأل الحارث بن كلدة عن الطب، فقال : هو الأزم، يعنى : الحمية.

«أى بُنى ..

«لِمَ صَفَتْ أذهان العرب؟ ولِمَ صَدَقَتْ أَحْسَاسُ الأعراب[1]؟ ولِمَ صَحَّتْ أبدانَ الرهبان، مع طول الإقامة فى الصوامع؟ وحتى لم تَعرف النِّقْرِسَ، ولا وجع المفاصل، ولا الأورام، إلا لقلّة الرُّزْءِ[2] من الطعام، وخِفّة الزاد، والتبلّغ باليسير[3]..

«أى بُنى ..

«إن نسيم الدنيا، وروح الحياة[4] أفضل من أن تبيت كظيظاً، وأن تكون لقِصرِ العُمْر حليفاً ...

«وكيف لا ترغب فى تدبيرٍ يجمع لك صحة البدن، وذكاء الذهن، وصلاح المِعَى، وكثرة المال، والقُرب من عيش الملائكة[5]..

«أى بنى :

«لِمَ صار الضّبُّ أطول شىءٍ عُمراً، إلا لأنه إنما يعيش بالنّسيم[6] ..

«ولِمَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن الصوم (وِجَاءٌ)[7]، إلا ليجعل الجوع حِجازاً دون الشهوات..

---

(١) الأحساسَ جمع حس وهو الشعور بالشىء..

(٢) الرزء هنا : ما يصيبه الإنسان من طعامْ..

(٣) التبليغ باليسير : الاكتفاء به ..

(٤) رَوْح الحياة : راحتها وما يسترح إليه..

(٥) إذ هم « لا يأكلون ولا يشربون..

(٦) كون الضب لا يعيش إلا بالنسيم ولا يأكل ألبتة غير صحيح ولكن الثورى نقل خرافة قديمة.

(٧) وِجاء : مانع من الشهوات..

«أى بنى :

«قد بلغتُ تسعين عاماً، ما نغض لى[1] سنّ، ولا تحرك لى عَظْم[2]، ولا انتشر بى عَصَبَ[3]، ولا عرفتُ ذنين أنفٍ[4]، ولا سَيَلان عينٍ[5]، ولا سَلَسَ بَوْل[6]، ما لذلك علّة إلا التخفيف من الزاد..

«فإن كنتَ تُحبُّ الحياة فهذه سبيل الحياة، وإن كنت تحب الموت، فلا يُبْعِدِ الله إلا من ظَلَم» !!..

* * *

بخيل .. يوصى ابنه بالاستجداء

* وهذا «**خالد بن يزيد**» مولى المهالبة، هو «**خالويه المكدّى**»، وكان قد بلغ فى البخل والتكدية، وفى كثرة المال، المبالغ التى لم يبلغها أحد..

وكان ينزل فى شق بنى تميم، فلم يعرفوه..

فوقف عليه ذات يوم سائل، وهو فى مجلس من مجالسهم، فأدخل يده فى الكيس ليخرج فِلساً، وفلوس البصرة كبار، فغلط بدرهم بغلى، فلم يفطن حتى وضعه فى يد السائل..

فلما فطن .. استرده، وأعطاه الفلس..

(١) نغض : اضطرب وتحرك ويروى نقص..

(٢) لعله يريد بالتحرك الالتواء كأحديداب الظهر..

(٣) الانتشار : الانتفاخ فى العصب للإتعاب..

(٤) الذنين : المخاط الرقيق الذى يسيل من الأنف ويروى دنين أذن والدنين صوت الذباب ونحوه من هينمة الكلام الذى لا يفهم والمراد ما يشبه هذا الصوت فى الأذن من الكبر ..

(٥) هو ما يحدث فى الكبر من ضعف العينين فتسيل منها دموع وسوائل أخرى..

(٦) سلس البول : استرساله وعدم استمساكه لحدوث مرض يصاحبه..

فقيل له :

ـ هذا لا نظنه يحل، وهو بعد بمثلك قبيح..

قال :

ـ قبيح عندكم، وأما أنا .. فإني لم أجمع هذا المال بعقولكم فأفرقه بعقولكم.. ليس هذا من مساكين الدراهم، هذا من مساكين الفلوس.. والله ما أعرفه إلا بالفراسة..

قالوا :

ـ وإنك لتعرف المكَدِّين؟

قال :

ـ «وكيف لا أعرفهم؟ وأنا كنت كاجار في حداثة سني.. ثم لم يبقَ في الأرض مخطراني[1]، ولا مستعرض، إلا فُقْته، ولا شحاذ ولا كاغاني، ولا بانوان، ولا قرسي، ولا عواء، ولا مشعب، ولا فلور، ولا مزيدى، ولا إسطيل. إلا وكان تحت يدى..

ولقد أكلت الزكورى ثلاثين سنة، ولم يبقَ في الأرض كعبى، ولا مكدٍ، إلا وقد أخذت العرافة عليه، حتى خضع إلى «إسحاق» قتال الحر، و«بنجويه» شعر الجمل، و «عمرو» القوقيل، و «جعفر» كردى كلك، و «قرن»، و«حمؤيه» عين الفيل و «شهرام» حمار أيوب..

«وإنما أراد بهذا أن يوئسهم من ماله، حين عرف حرصهم وجشعهم، وسوء جوارهم.. وكان قاصاً متكلماً بليغاً داهياً..

(١) فى آخر هذا الفصل يعمد الجاحظ بنفسه إلى إيضاح ما يقصده بهذا الاسم والأسماء التى تليه ..

«وكان «أبو سليمان الأعور» و «أبو سعيد المدائنى» القاصان من غلمانه .. وهو الذى قال لابنه عند موته :

ـ «إنى قد تركت لك ما تأكله إن حفظته، وما لا تأكله إن ضيعته .. ولما ورثتك من العُرف الصالح، وأشهدتُك من صواب التدبير وعودتك من عيش المقتصدين، خير لك من هذا المال..

«ولو دفعت إليك آلة لحفظ المال، عليك بكل حيلة، ثم لم يكن لك معين من نفسك، لما انتفعت بشيء من ذلك.. بل يعود ذلك النهى كله إغراء لك، وذلك المنع تهجينا لطاعتك..

«قد بلغتُ فى البر منقطع التراب، وفى البحر أقصى مبلغ السفن .. فلا عليك، ألا ترى «ذا القرنينَ» ودع عنك مذاهب «ابن شَرْية» فإنه لا يعرف إلا ظاهر الخبر..

«ولو رآنى «تميم الدارى» ، لأخذ عنى صفة الروم..

«ولأنا أهدى من «القطا» ومن «دُعيميص» ومن «رافع المِخَش» ..

إنى قد بِتُ بالقفر مع «الغول» وتزوجت «السّعلاة» وجاوبت «الهاتف» ورغت عن الجن إلى «الحن» ، واصطدت «الشّق» وجاوبت «النسناس» وصحبنى «الرئىّ» وعرفت خُدَع «الكاهن» وتدسيس «العرّاف» وإلى ما يذهب «الخطاط» و «العيّاف» وما يقول أصحاب الأكتاف، وعرفت التنجيم والزجر، والطرق والفكر..

«إن هذا المال لم أجمعه من القصص والتكدية، ومن احتيال النهار، ومكابدة الليل.. ولا يُجمع مثله أبداً إلا من معاناة ركوب البحر، أو من عمل سلطان، أو من كيمياء الذهب والفضة..

«وقد عرفت الرأس حق معرفته، وفهمت كسر الإكسير على حقيقته.. ولولا علمي بضيق صدرك، ولولا أن أكون سبباً لتلف نفسك، لعلّمتك الساعة الشيء الذى بلغ به «قارون»، وبه تبَنكت «خاتون»..

«والله ما يتسع صدرك عندى لسرٍّ صَديق، فكيف ما لا يحتمله عزم، ولا يتسع له صدر..

«وخزن سر الحديث، وحبس كنوز الجواهر، أهون من خزن العلم..

«ولو كنت عندى مأموناً على نَفْسِكَ، لأجريت الأرواح في الأجساد .. وأنت تبصر، إذ كنت لا تفهمه بالوصفِ، ولا تحقّه بالذكر..

«ولكنى سألقى عليك علم الإدراك، وسبك الرخام، وصنعة الفسيفساء، وأسرار السيوف القلعية، وعقاقير السيوف اليمانية، وعمل الفرعونى، وصنعة التلطيف على وجهه، إن أقامنى الله من صرعتى هذه ..

«ولست أرضاك، وإن كنت فوق البنين، ولا أثق بك .. وإن كنت لاحقاً بالآباء، لأنى لم أبالغ فى محنتك..

«إنى قد لابست السلاطين والمساكين، وخدمت الخلفاء والمكدين، وخالطت النساك والفتاك، وعمرت السجون كما عمرت مجالس الذكر، وحلبت الدهر أشطره، وصادفت دهرا كثير الأعاجيب .. فلولا أنى دخلت من كل باب، وجريت مع كل ريح، وعرفت السراء والضراء، حتى مثلت لى التجارب عواقب الأمور، وقرينتى من غوامض التدبير، لما أمكننى جمع ما أخلفه لك، ولا حفظ ما حبسته عليك .. ولم أحمد نفسى على جمعه، كما حمدتها على حفظه، لأن بعض هذا المال لم أنله بالحزم والكيْس .. قد حفظته عليك من فتنة البناء .. ومن فتنة النساء، ومن فتنة الثناء، ومن فتنة الرياء، ومن أيدى الوكلاء، فإنهم الداء العياء..

«ولست أُوصيك بحفظه لفضل حبى لك، ولكن بفضل بغضى للقاضى..

«إن الله، عز وجل، لم يسلّط القضاة على أموال الأولاد، إلا عقوبة للأولاد، لأن أباه، إن كان غنياً قادراً، أحب أن يريه غناه وقدرته، وإن كان فقيرا عاجزاً، أحب أن يستريح من شيّته ومن حملِ مؤونته .. وإن كان خارجاً من الحالين، أحب أن يستريح من مداراته فلا هُم شكروا من جَمَع لهم، وكفاهم، ووقاهم، وغرسهم، ولا هم صبروا على من أوجب الله حقّه عليهم..

. «والحق لا يوصف عاجله بالحلاوة، كما لا يوصف عاجل الباطل بالمرارة ..

«فإن كنت منهم، فالقاضى لك .. وإن لم تكن منهم فالله لك..

«فإن سلكت سبيلى، صار مال غيرك وديعة عندك، وصرت الحافظ على غيرك .. وإن خالفت سبيلي صار مالك وديعة عند غيرك، وصار غيرك الحافظ عليك..

«وإنك يوم تطمع أن تضيع مالك، ويحفظه غيرك، لجشع الطمع .. مخذول الأمل..

«احتال الآباء فى حبس الأموال على أولادهم بالوقف، فاحتالت القضاة على أولادهم بالاستبحاث ..

«ما أسرعهم إلى إطلاق الحجر، وإلى إيناس الرشد، إذا أرادوا الشراء منهم .. وأبطأهم عنهم، إذا أرادوا أن تكون أموالهم جائزة لصنائعهم.

«يا بن الخبيثة، إنك وإن كنت فوق أبناء هذا الزمان .. فإن الكفاية قد مسختك، ومعرفتك بكثرة ما أخلف قد أفسدتك، وزاد فى ذلك إن كنت بكرى، وعُجْزَة أمّكَ..

«أنا لو ذهب مالى لجلست قاصاً، أو طُفْت فى الآفاق .. كما كنت، مكدياً.. اللحية وافرة بيضاء، والحلق جهير طل، والسمت حسن، والقبول على واقع .. إن سألت عينى الدمع أجابت، والقليل من رحمة الناس خير من المال الكثير، وصرت محتالاً بالنهار، واستعملت صناعة الليل، أو خرجت قاطع طريق، أو صرت للقوم عيناً، ولهم مجهرا..

«سَلْ عنى صعاليك الجبل، وزواقيل الشام، وزط الآجام، ورءُوس الأكراد، ومَرَدة الأعراب، وفتّاك نهر بطّ، ولصوص القفص..

«وسل عنى القيقانية والقطرية، وسل عنى المتشبهة وذباحى الجزيرة، كيف بطشى ساعة البطش، وكيف حيلتى ساعة الحيلة، وكيف أنا عند الجولة، وكيف ثبات جنانى عند رؤية الطليعة، كيف يقظتى إذا كنت ربيئة، وكيف كلامى عند السلطان إذا أخذت، وكيف صبرى إذا جُلدت، وكيف قِلة ضجرى إذا حُبست، وكيف رسَفانى فى القيّد إذا أثقلت ..

«فكم من ديماس قد نقبته، وكم من مطبق قد أفضيته، وكم من سجن قد كابدته..

«لم تشهدنى، و«كردويه» الأقطع أيام «سندان» ولا شهدتنى فى فتنة «سرنديب» ولا رأيتنى أيام حرب «المولتان»..

«سل عنى الكتيفية، والخليدية، والخرّبية، والبلالية، وبقية أصحاب «صخر» و «مُصخر»، وبقية أصحاب «فاس» و «راس» و «مقلاس» ومن لقى أزهر أبا النقم..

«كان آخر من صادفنى «حمدويه أبو الأرطال» .. وأنا مجيب «مردويه بن أبى فاطمة»، وأنا خلعت «بنى هانئ»..

«وأنا أول من شرب «الغربى» حاراً، و «البزيل» بارداً .. وأول من شرب بالعراق بالكبرة، وجعل القنقل قرعة .. وأول من ضرب «الشاهسبرم» على ورق القرع، وأول من لعِب باليرمع مع البدو، وأسقط الدف المربع من بين الدفاف..

«وما كان النقاب إلا هداماً، حتى نشأت، وما كان الاستقفاء إلا استلاباً حتى بلغت..

«وأنت غلام، لسانك فوق عقلك، وذكاؤك فوق حزمك .. لم تعجمك الضراء، ولم تزل فى السراء والمال واسع، وذرعك ضيق ..

«وليس شئ أخوف عليك عندى من حُسْن الظن بالناس، فاتهم شمالك على يمينك، وسمعك على بصرك، وخف عباد الله على حسب ما ترجو الله..

«فأول ما أوقع فى روعى أن مالى محفوظ علىّ، وأن النماء لازم لى... وأن الله سيحفظ عقبى من بعدى، أنى لما غلبتنى يوماً شهوتى .. وأخرجت يوماً درهماً لقضاء وطرى، ووقعت عينى على سكّته، وعلى اسم الله المكتوب عليه، قلت فى نفسى : إنى إذاً لمن الخِاسرين الضالين، لئن أنا أخرجت من يدى، ومن بيتى شيئاً عليه : «لا إله إلا الله» وأخذت بدله شيئاً ليس عليه شئ..

«والله إن المؤمن لينزع خاتمه للأمر يريده، وعليه، «حسبى الله» أو : «توكلت على الله» فيظن أنه قد خرج من كنف الله جل ذكره، حتى يرد الخاتم فى موضعه. وإنما هو خاتم واحد .. وأنا أريد أن أُخرِجَ فى كل يوم درهماً عليه الإسلام كما هو؟ إن هذا لعظيم» ..

ومات من ساعته، وكفّنه ابنه ببعض خُلقانه، وغسله بماء البئر.. ودفنه من غير أن يضرح له، أو يلحد له، ورجع..

فلما صار في المنزل نظر إلى جرة خضراء معلّقة. قال : أى شيء فى هذه الجرة؟..

قالوا :

ـ ليس اليوم فيها شيء..

قال :

ـ فأى شيء كان فيها قبل اليوم؟

قالوا :

ـ سمن ..

قال :

ـ وما كان يصنع به؟..

قالوا :

ـ كنا فى الشتاء نلقى له فى البُرمة شيئاً من دقيق نعمله له، فكان ربما يرقه بشيء من سمن..

قال :

ـ يقولون ولا يفعلون. السمن أخو العسل. وهل أفسد الناس أموالهم إلا فى السمن والعسل؟.. والله إنى لولا أن للجرة ثمناً لما كسرتها إلا على قبره..

قالوا :

ـ فخرج فوق أبيه، وما كنا نظن أن فوقه مزيداً ..

* * *

تفسيـــر الألفــاظ

المخطرانى :

الذى يأتيك فى زى ناسك، ويريك أن بابك قد قوّر لسانه من أصله لأنه كان مؤذناً هناك .. ثم يفتح فاه كما يصنع من يتثاءب، فلا ترى له لساناً ألبتة .. ولسانه فى الحقيقة كلسان الثور .. وأنا أحد من خدع بذلك .. ولابد للمخطرانى أن يكون معه واحد يعبر عنه، أو لوح أو قرطاس قد كتب فيه شأنه وقصته..

الكاغانى :

الذى يتجنن ويتصارع ويزبد، حتى لا يُشَك أنه مجنون لا دواء له لشدة ما يتزل بنفسه، وحتى يتعجب من بقاء مثله على مثل علته..

البانوان :

الذى يقف على الباب ويسل الغلق، ويقول : بانوا. وتفسير ذلك بالعربية : يامولاى...

القرسى :

الذى يعصب ساقه وذراعه عصباً شديداً، ويبيت على ذلك ليلة. فإذا تورم واختنق الدم، مسحه بشيء من صابون ودم الأخوين، وقطر عليه شيئاً من سمن، وأطبق عليه خرقة، وكشف بعضه. فلا يشك من رآه أن به الأكلة، أو بلية شبه الأكلة..

المشعب :

الذى يحتال للصبى حين يولد، بأن يعميه أو يجعله أعسم أو أعضد، ليسأل الناس به أهله .. وربما جاءت به أمه وأبوه ليتولى ذلك منه بالغرم الثقيل، لأنه يصير حينئذ عقدة وغلّة .. فإما أن يكتسبا به، وإما أن يكرياه بكراء معلوم .. وربما أكروا أولادهم

ممن يمضى إلى أفريقية، فيسأل بهم الطريق أجمع، بالمال العظيم. فإن كان ثقة مليئاً، وإلا أقام بالأولاد والأجرة كفيلاً..

الفلور :

الذى يحتال لخصيته، حتى يريك أنه آدر.. وربما أراك أن بها سَرَطاناً أو خُرّاجاً أو غرباً .. أو ربما أرى ذلك فى دُبره بأن يدخل فيه حلقوماً ببعض الرئة .. وربما فعلت ذلك المرأة بفرجها..

الكاغان :

الغلام المكَدّى إذا واجر، وكان عليه مسحة جمال، وعمل العملين جميعاً..

العوّاء :

الذى يسأل بين المغرب والعشاء .. وربما طرّب، إذا كان له صوت حسن وحلق شجى..

الإسطيل :

هو المتعامى : إن شاء أراك أنه منخسف العينين، وإن شاء أراك أن بهما ماء، وإن شاء أراك أنه لا يبصر، للخسف ولريح السّبَل..

المزيدى :

الذى يدور معه الدُّرَيْهمات، ويقول : هذه دراهم قد جُمعت لى فى ثمن قطيفة، فزيدونى فيها رحمكم الله .. وربما احتمل صبياً على أنه لقيط .. وربما طلب فى الكفَن..

المستعرض :

الذى يعارضك وهو ذو هيئة، وفى ثياب صالحة، وكأنه قد مات من الحياء، ويخاف أن يراه معرفة .. ثم يعترضك اعتراضاً، ويكلمك خفياً..

المقدّس :

الذى يقف عن الميت يسأل فى كفنه .. ويقف فى طريق مكة على الحمار الميت، والبعير الميت فيدعى أنه كان له، ويزعم أنه قد أحصِر .. وقد تعلم لغة الخراسانية واليمانية والأفريقية، وتعرف تلك المدن والسكك والرجال.. وهو، متى شاء كان أفريقيا، ومتى شاء كان من أهل فرغانة، ومتى شاء كان من أى مخاليف اليمن شاء..

المكدى :

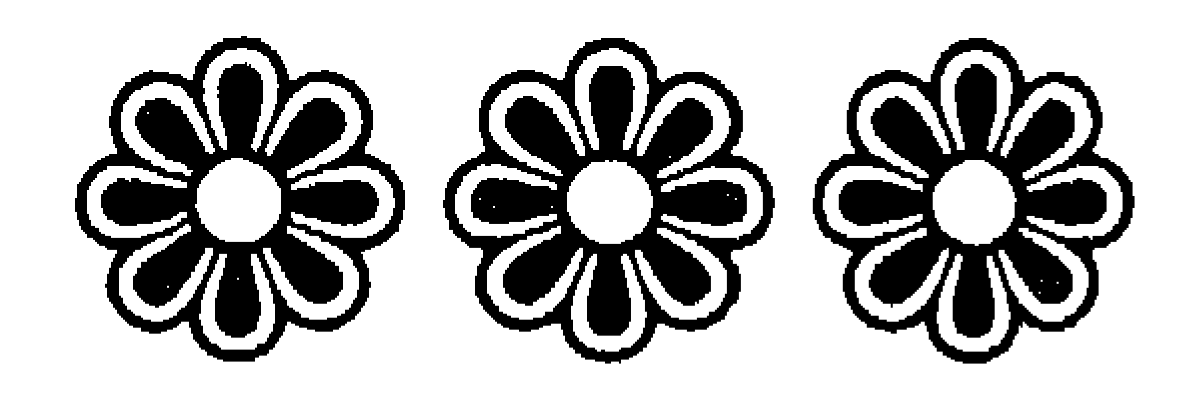
صاحب الكداء .. (المستجدى)..

الكعبى :

أضيف إلى أبى بن كعب الموصلى وكان عريفهم بعد خالوَيه سنة على ماء..

الزكورى :

هو خبز الصدقة، كان على سجين أو على سائل .. وهذا تفسير ما ذكر خالويه فقط، وهم أضعاف ما ذكرنا فى العدد .. ولم يكن يجوز أن نتكلف شيئاً ليس من الكتاب فى شئ..



يوصيهم بالنسك لمداراة العيوب !!

* أوصى رجل بنيه فقال :

ـ «يا بنى .. عليكم بالنسك، فإنه إذا ابتلى أحدكم بالبخل .. قيل : مقتصد لا يرى الإسراف!!..

«وإن ابتلى بالعيى .. قيل : يكره الكلام فيما لا يعنيه !!

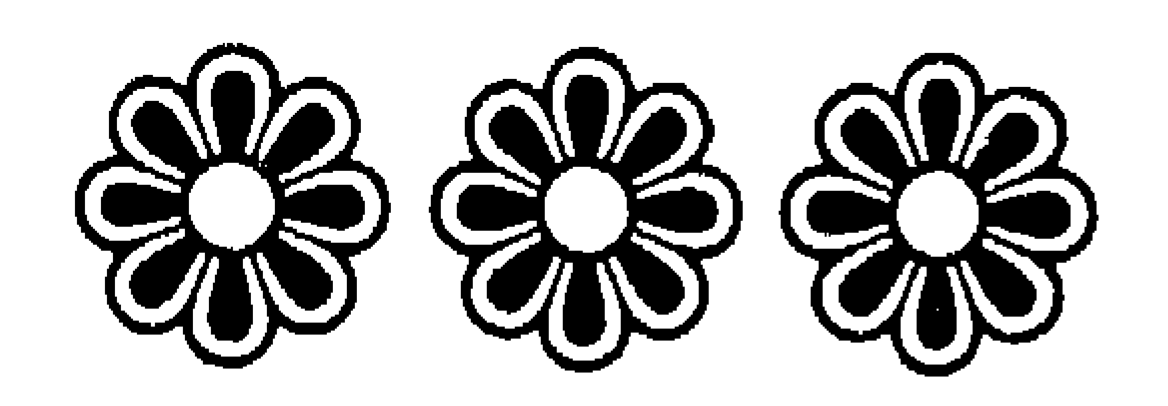
«وإن ابتلى بالجُبن .. قيل : لا يقدم على شبهة !!

* * *

بخيل .. يوصى بأكل المال

* أوصى أعرابى أخاه ـ وكان بخيلاً ـ فقال له :

ـ يا أخى .. إن لم تُفْنِ مالك : أفناك .. وإن لم يكن لك : كنت له .. فكُلْهُ، قبل أن يأكلك!!..



طرائف وصايا

الطفيلـــيـــن

* من وصايا الطفيليين :

عدم الكلام على الطعام

* الطفيلي معروف : وهو من يحضر إلى الدعوة[1] من غير أن يُدعى، والتطفيل حرام ..

ومما يُحكى من نوادر الطفيلية من اصطلاحاتهم في أسماء الأطعمة أن الخبز اسمه (**جابر**)، والسُّفرة[2] (**بساطُ الرحمة**)، والقدْر[3] (**أمُّ الخير**) والزبادى (**إخوان الصفا**) والأطعمة (**قوتُ القلوب**) والرُّز[4] (**الشيخ الظهير**) والمضيرة[5] (**قاضي القضاة**) والرّشتا بالعدس (**عبد الرحيم**) والخروف المشوى المُعذب (**ابن الشهيد**) والدجاجة (**أم حفص**) والفراريج (**بنات نعش**) والطّشت[6] قبل الطعام (**بِشْر وبَشير**)...

(١) فى الأصل : (الدعوى) والصواب ما أثبتناه..

(٢) السفرة : فى الأصل طعام يتخذ للمسافر، وبه سميت سفرة الجلد وأكثر ما يحمل فى جلد مستدير، فنقل اسم الطعام إليه وسمى به.

وذكر أيضاً أن السفرة التى يؤكل عليها سميت بهذا الاسم لأنها تبسط إذا أكل عليها..

(٣) فى الأصل : (القدرة) والصواب ما أثبتناه..

(٤) الرز : لغة فى الأرز والأُرز والأرز، وسمع منها أيضاً رنز وأرز..

(٥) المضيرة : مريقة تطبخ باللبن المضير، وربما خلط بالحليب..

(٦) الطشت : هو الطست والطس، من آنية الصفر، وقد ذكر اللغويون أن أصلها الطس بلغة طيئ، أبدل من إحدى السينين تاء للاستثقال، فإذا جمعت أو صغرت رددت السين لأنك فصلت بينهما بالألف أو باء فقلت : طساس وطسيس..

ويقال : المُرجفان..

ومن وصاياهم : «إذا كنت على مائدة فلا تتكلم فى حال الأكل، وإن كلمك من لا بد من كلامه فلا تُجِبْهُ إلا بـ (نعم) فإنها لا تَشْغُلُ عن الأكل.

* * *

وصية طفيلى لآخر

* أوصى «ابن درّاج» الطفيلى أصحابه قائلاً :

« لا يهولنكم إغلاق الأبواب، ولا شدة الحجاب، ولا عنف البواب، وتحذير العقاب، ومبارزة الألقاب..

« فإن ذلك صائر بكُمْ إلى محمود النوال، ومُغْنٍ عن ذُل السؤال..

« احتملوا الوكزة الموهنة، واللطمة المزمنة فى جنّب الظفر بالبقية والدرك للأُمنية..

« والزموا الخفة بالواردين، والبشاشة بالخدم والموكلين..

« فإذا وصلتم إلى مرادكم، فكلوا محتكرين .. وادخروا لغدكم مجتهدين..

« فإنكم أحق بالطعام ممن دعى إليه .. وأولى به ممن صنع له ..

« فكونوا لوقته حافظين .. وفى طلبه متمسكين!!..

* * *

وصايا «بنان» الطفيلى

* و «بنان» هو (**عبد الله بن عثمان**) ويكنى (**أبو الحسن**) ولقبه (**بنان**) وأصله مرزوى نسبة إلى (**مرو خراسان**).. وأقام فى (**بغداد**) وكان نقش خاتمه :

- **«ما لكم لا تأكلون»**..

قال «بنان» ذات يوم يوصى أحد أصحابه :

- **إذا قعدت على مائدة، وكان موضعك ضيقاً.. فَقُلْ للذى يليك : لعلِّى ضَيَّقْتُ عليك .. فإنه يتأخر إلى الخَلْف، ويقول : موضعى واسع .. فيتسع عليك موضع رجل آخر..**

* * *

وقال له طفيلى :

- **أوصنى ..**

فقال له :

- **لا تصادفن من الطعام شيئاً فترفع يدك عنه وتقول : لعلى أصادف ما هو أطيب منه .. فإن هذا عَجْزٌ، ووهن: (ضعف)..**

قال :

- **زدنى ..**

قال له :

- **إذا وجدت خبزاً فيه قلة، فكُل الحروف .. فإن كان كثيراً .. فكل الأوساط..**

قال :

ـ زدني..

قال له :

ـ لا تُكثر شرب الماء وأنت تأكل، فإنه يصدك عن الأكل، ويمنعك من أن تستوفي..

قال :

ـ زدني..

قال له :

ـ إذا وجدت الطعام، فكُل منه أكل من لم يره قط .. وتزود منه زاد من لا يراه أبداً..

قال الطفيلي له :

ـ زدني..

فقال له :

ـ إذا وجدت الطعام، فاجعله زادك إلى الله تعالى...

* * *

* وقال «بنان» :

« إذا دعاك صديق لك .. فاقعد يمنة البيت، فإنك ترى ما تحب، وتسودهم في كل شيء، وتسبقهم إلى كل خير، وأنت أول من يغسل يده، والمنديل جاف، والماء واسع، والخوان[1] بين يديك يوضع .. والنبيذ أول القنينة، ورأسها تشربه والنقل[2] منتخب، يوضع بين يديك .. وتكون أول من يتبخر ..

(١) ما يوضع عليه الطعام..

(٢) ما يتنقل به الشراب..

فإذا أردت أن تقوم لحاجة، لم تحتج أن تتخطاهم، وأنت فى كل سرور إلى أن تنصرف..

* * *

* وقال «**أحمد بن الحسن المقرى**» :

ـ سمعت «**بنانا**» يوصى قائلاً :

ـ لا تنادم حائكاً .. ولا حجّاماً .. ولا خياطاً .. ولا مكارياً .. ولا دلالاً !!

« **فإن (الحائك)** يقطع يومه وكلامه فى : عملنا بالثوب بهلوكين .. وعملنا فيه ثلاثة بهاليك وأربع وخمس، حتى يعد عشر بهاليك .. وغداً يقطع الثوب إن شاء الله هو بالثلث، ودرهم الثلث، ودرهمين الثلث، وثلاثة بالنصف، ودرهمين بالنصف، وثلاثة دراهم.. والثوب قليل العرض، وهو خفيف، ولم ندقه، ولم نحكه، وهو جريش[1]، فيومه أجمع فى الثوب : قطعنا، وبعنا .. فلا يكن بينك وبين هذا الصنف عمل..

« **وأما (الحَجّام)** .. فمنذ يقعد، إلى أن يقوم، فإنما هو فى غيبة الناس يقول : حجمنا فلاناً، فأعطانا درهماً، وحجمنا فلاناً، فأعطانا نصف درهم، وأخذت شعر فلان، فأعطانى نصف درهم، وزينت فلاناً، فأعطانى درهماً.. وفلان سخى، وفلان بخيل .. ويتكلم بكل فضول الماص لأمه ما يكره منذ أن يقعد، إلى أن يقوم..

« **و(الكارى)** .. فمنذ أن يقعد إلى أن يقوم يقول : أكرينا بدانق[2]، أكرينا بدانقين، أكرينا بنصف درهم .. فلا يزال يقول أكرينا إلى درهم وأكثر، ويحتاج الحمار إلى نصف درهم، إلى درهم مكوك[3]، شعير حمل قت[4]، فيذهب النهار أجمع بالفضول..

(١) جرش الشيء : لم ينعم دقة، فهر جريش..

(٢) الدانق : سدس الدرهم ..

(٣) المكوك : كنتور : مكيال يسع صاعاً ونصفاً ..

(٤) القت : النصنصة، وهى الرطبة من علف الدواب ..

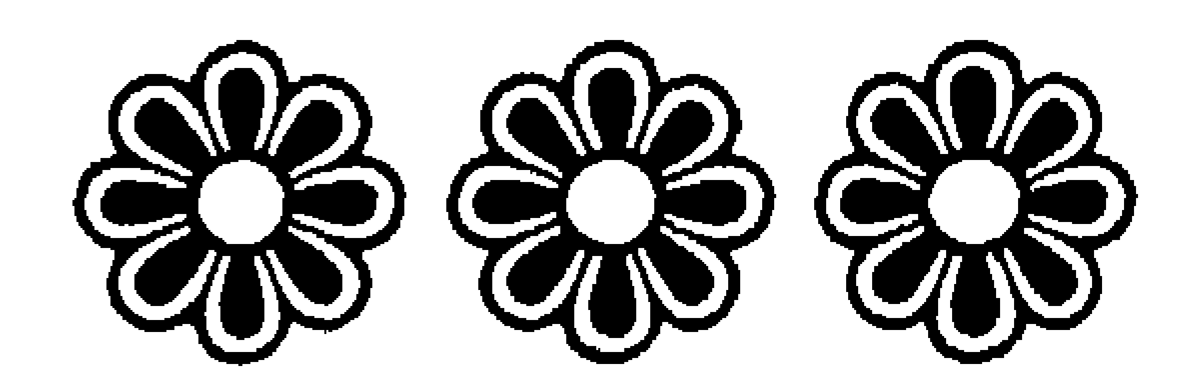
« و(**الخياط**) .. منذ أن يقعد، إلى أن يقوم فهو فى غيبة الناس، وذكرهم بالردىء: فلان يحب فلانة، وفلانة تحب فلاناً، وقطعنا لفلانة المغنية يتعشقها فلان، قطع لها ثوب قصب ملحفة، بعث إليها بثوب مروى مرتفع.. فلا يزال فى غيبة الناس منذ يقعد، إلى أن يقوم الماص لما يكره من أمه..

« و(**الدلال**) يقول : بعنا دار فلان بكذا، وبعنا جارية فلان بكذا، وفلانة مقنعة، وفلان مقنع .. فمنذ أن يقعد إلى أن يقوم وهو فى غيبة الناس، وحبس المحتسب فلاناً وفلانة .. فيتقطع المجلس بهذا، ونحوه..

« فيا أخي .. فدتك نفسى .. لا تصحب من هؤلاء السفلاء أحداً .. فيذهبون بجاهك عند إخوانك، وأهل الثقة من أصحابك..

« **اصحب ـ فدتك نفسى ـ بزازاً، عطاراً، صيرفياً، انماطياً، قطانا، دقاقاً، صيدلانياً.**

فهؤلاء .. مثل كاتب ابن كاتب، قائد ابن قائد .. وهذه وصيتى لك!!..



نوادر وصايا

اللصوص والقتلـــة

وصية لص !!

* أوصى **«عثمان الخياط»** أصحابه من الشطار اللصوص، فقال :

ـ « اضمنوا لى ثلاثاً، أضمن لكم السلامة : لا تسرقوا الجيران، واتقوا الحُرم، ولا تكونوا أكثر من شريك مناصف، وإن كنتم أولى بما فى أيديهم لكذبِهم، وغشهم، وتركهم إخراج الزكاة، وجحودهم الودائع..

الضمير فى (أيديهم) : عائد إلى الأغنياء ..

* * *

وصايا أخرى للصوص

* وأوصى **«عثمان الخياط»** قائلاً :

ـ « إياكم وحُب النساء، وسماع ضرب العود، وشرب الزبيب المطبوخ..

« وعليكم باتخاذ الغلمان، فإن غلامك هذا أنفع لك من أخيك، وأعون لك من ابن عمك..

« وعليكم بضرب الطنبور، وما كان عليه السلف..

« واجعلوا النقل باقلاء، وإن قدرتم على الفستق والريحان شاهسفرم، وإن قدرتم على الياسمين..

« ودعوا لبس العمائم، وعليكم بالقناع..

« والقلنسوة : كُفر .. والخُف : شرك..

« واجعل لهوك الحمام، وهارش الكلاب ..

« وإياك والكباش، واللعب بالصقورة والشواهين..

« وإياكم والفهود. والديك فإن له صبراً ونجدة وزوغاناً وتدبيراً وإعمالاً للسلاح، وهو يبهر بهر الشجاع..

« وعليكم بالنرد، ودعوا الشطرنج لأهلها، ولا تلعبوا ـ فى النرد ـ إلا بالطويلتين..

« والودع رأس مال كبير، وأول منافعه الحذق باللقف..

* * *

وصية الضبع الدامية

* المليونير الكبير الذى يموت .. جمع حوله أولاده الأربعة وراح يُمْلِى على أكبرهم وصيته الأخيرة التى سينسخ بها جميع وصاياه السابقة ..

إنه يُمْلى بصوت متهدج، والأولاد قد فتحوا أفواههم من الدهشة وكأنما يستمعوَن إلى شخص آخر غير أبيهم الذى عرفوه..

قال الرجل فى صوت مهدم :.

ـ «هناك مليون دولار ستوزع عليكم بالتساوى .. أما السبعة ملايين دولار الباقية، فوصيتى أن تُبنى بها مدارس ومستشفيات وملاجئ، ودار مسنين، ومعهد لتعليم الحِرَف .. وعلى الأخ الأكبر إنشاء هذه المؤسسات الخيرية وإدارتها ورعايتها لتكون صدقة جارية ينتفع بها اليتيم والمريض والمحتاج» ..

وارتفع صوت الابن الصغير معترضاً :

ـ ولكن يا أبى لا أحد منا له خبرة بهذه الأشياء..

واستمر الأب يملى بصوته المتهدج :

ـ و«الاثنين مليون دولار فى الخزينة يُبنى بها مسجد، ومستوصف، ومَقْرأة للقرآن» ..

وتلفّت الأبناء كل واحد يتصفح وجه الآخر فى استغراب، وعاد صوت الابن الأصغر ليعترض :

ـ «ليس هذا ما تعلمناه منك خلال حياتنا معك .. لقد ربيتنا على أعمال أخرى .. والآن تفاجئنا بدور جديد، لا نستطيع أن نقوم به .. أنت حياتك لم تدخل مسجداً، ولم تصلِّ ركعة، ولم تفتح مُصْحَفاً .. ولم تُعطِ مليماً لمحتاج .. ولم تُحدثنا حرفاً واحداً عن الدِّين أو الخير .. وكل ما تعلمناه منك هو كيف نستلم البضاعة من قبرص وندخل بها مهربة إلى مصر .. وكيف نوزعها على الأعوان .. وكيف نقود اللنشات السريعة وعربات النقل والمقطورات والهليكوبتر، وكيف نستعمل البنادق السريعة الطلقات والقنابل اليدوية ومدافع الهاون عند اللزوم .. وكيف نحول المائة جنيه إلى مليون .. ولو قَتَلْنا فى سبيل ذلك كل رجال خفر السواحل..

علمتنا ألا نخاف أى شئ، وألا نعبأ بحاكم، ولا بمحكوم، ولا بحكومة .. وأن كل الذِّمَم يمكن شراؤها، وأن الذمة التى لا تقبل المائة سوف تقبل الألف، والتى لا تقبل الألف سوف تقبل المليون..

وأنه لا يوجد كبير يتكبر على المال .. وأن كل الناس حشرات يمكن اصطيادها بالعسل .. ومن لا يقع فى العسل يقع فى السم .. وأن العالم غابة لا أمان فيها ... وأن الشعار الوحيد الذى يصلح للتعامل فى هذه الغابة .. هو .. اقتُلْ قبْل أن تُقْتَل ..

هذا ما علمتنا إياه، ولا نرى جديدا قد جَدَّ حتى تقول لنا كلاماً آخر..

ـ «الجديد أنى أموت .. أنا أبوكم يموت .. وغداً أصبح رِمَّة يأكلها الدود .. تُراباً لا يختلف كثيراً عن التُراب الذى تطأونه بنعالكم» ..

ـ هذا ليس أمراً جديداً عليك .. فقد كنت ترى الموت حولك كل يوم يختطف أعوانك واحداً بعد الآخر .. وكنت تمشى بنفسك فى جنازاتهم، وكنت أحياناً تقتلهم .. أنت الذى كنت تقتلهم بيدك .. أو .. تصدر الأمر بقتلهم بنفس اللسان الذى يملى علينا الآن هذا الكلام عن بناء المساجد والملاجئ ودور الأيتام والمقارئ..

ـ « لأن هذه المرة أنا الذى أموت .. أنا الذى دوَّخ أجهزة الأمن فى مصر والشام والعراق وتونس والجزائر وإيطاليا وألمانيا واليونان .. أنا الشبح الذى لم يكن أحد يستطيع أن يضع يده عليه . أنا اليوم معتقل بالشلل والعمى وبكرسى لا أستطيع أن أبرحه .. وأنا أنزف الدم من أمعائى وأموت ببطء .. وأصحو وأعود إلى الغيبوبة...

« والدقائق التى تبقت لى قليلة معدودة .. لقد كنت أصنع الموت للألوف .. هذا صحيح .. ولكن رؤية الموت تختلف كثيراً عن تذوقه ..

«الفارق كبير .. وأنا لا أريدكم أن تذوقوه كما أذوقه .. لا بد أن يتغير كل شئ .. لا بد أن يتغير كل شيء .. لقد أخطأت يا أولادى .. أخطأت بفظاعة ربما اكتشفت خطئى بعد فوات الآوان .. ولكن هذا لا يغير شيئاً من النهاية .. إن الخطأ هو الخطأ .. اسمعوا .. هذه الوصية الجديدة هى التى يجب أن تنفذ .. هذا أمر» ..

وحاول أن يُخْرِج الطّبَنْجَة من (جيبه) فلم يستطع .. وطلب من ابنه الكبير أن يناوله الطبنجة..

ومَدّ الابن الكبير يده فى جيب أبيه وأخرج الطبنجة وناولها له .. فأمسكها الأب فى إعزاز، وراح يلوح بها وأصابعه على الزناد، ثم ناولها لابنه الكبير قائلاً :

ـ « مَنْ يخالف هذا الأمر أطلق عليه النار ولو كان أخاك .. هذا آخر أمر .. هذا آخر أمر لى فى هذه الدنيا .. اقتل .. اقتل .. بلا تردد... أى إرادة تقف فى سبيل هذه الوصية .. هذه الأموال فى البنوك وفى الخزائن ليست ملكى لترثوها .. إنها سرقات .. لا تكفير لها إلا أن تبنى كما هدمت، وتصنع من الحياة بقدر ما أعدمت»..

ـ والعمارات؟ ..

قالها الابن الأصغر بصوت مرتجف ..

ـ « تُباع فى مزادات ويصنع بثمنها نفس الشيء..

ـ وكازينو القمار .. وأوبرج ميلانو .. وشركات بيع السلاح فى لندن وشقة باريس وفيلا جنيف .. وشاليهات فلوريدا ؟..

ـ « تُباع كلها .. لا نصيب لأحد فيها .. ولا يد لأحد عليها ... ولا تئول لأحد منكم .. إنها ملكى وحدى وأنا وهبتها لنفس الأغراض .. وثمنها يكفى لإنشاء جامعة..

ـ ونحن ماذا يبقى لنا وكيف نعيش ؟..

ـ « إن المليون دولار التى ستقسمونها بينكم تساوى أربعة ملايين جنيه مصرى .. أى مليون جنيه مصرى لكل واحد فيكم .. وهى بداية تكفى لأن يبدأ كل منكم حياة شريفة..

وبَدَتْ كلمة الشرف غريبة وهى تخرج من فم «الضّبْع» صاحب أكبر عصابة مخدرات فى الشرق الأوسط، وبدا لها رنين غريب فى جو الصمت والرهبة مما جعل كل ابن يتلفت فى وجه أخيه ويقلب شفتيه، فى انتظار معجزة..

وكانت المفاجأة مرعبة .. فقد سحب الضبع الطبنجة من يد الابن الكبير، ولوح بها فى وجوههم وأطلق الرصاص فى الهواء .. وفى كل اتجاه .. مما جعلهم يتقافزون فى رعب، ويلتصقون بالجدران بينما تهدج صوت الرجل وهو ينطق :

ـ « هذا آخر أمر .. آخر أمر لى قبل أن أموت ولا بد أن ينفذ ..

واختنق صوته وانطلق يلهث.

ثم سكن فجأة وسقط رأسه على صدره، ولفظ آخر أنفاسه فى صمت ..

وأطبقت لحظة ثلجية من الذهول والرعب على الجميع .. لا حركة .. ولا صوت .. ولا شيء سوى أنفاس مرتجفة، ونبضات مضطربة، ونظرات زائغة ..

ثم بدأ الابن الأصغر يتحرك، ويسعل، ويلوح بيديه فى الهواء ولا يجد كلاماً : ثم ما لبث أن جمع أشتات نفسه ثم انفجر قائلاً :

ـ لقد فعل كل شيء، لم يترك جريمة لم يرتكبها، لم يَدَعْ لذة لم ينتهبها، لم يدع امرأة لم يغتصبها، لم يدع شراً لم يقارفه، لم يدع رذيلة لم يلهث خلفها .. والآن فى آخر لحظة حينما فقد القوة على عمل أى شيء، وحينما فقد الأمل فى أى متعة وفقد القِدرة على أى لذة .. الآن فقط قرر أن يبعثر كل أمواله، ويحرمنا منها لأنه أصبح ولياً من أولياء الله، شُغْله الشاغل بناء المساجد، ومقارئ القُرآن والملاجئ وبيوت الأيتام، شيء غير مفهوم..

ـ الدكتور الذى كشف عليه بالأمس قال إنه قد أصابه ضمور فى المخ.

ـ هى أعراض هذيان بلا شك..

ـ إنه يخرج من غيبوبة ليعود إلى غيبوبة، ولا يمكن أن يؤخذ كلامه مأخذ الجد..

قال الابن الكبير فى هدوء مريب :

ـ ولماذا لا يؤخذ كلامه على أنه توبة حقيقية؟..

فأجاب الابن الأصغر فى عصبية :

ـ توبة رجل مشلول، فَقَدَ القُدْرَة على كل شيء .. لا يمكن أن تكون توبة حقيقية ..

قال الابن الأوسط مؤيداً :

ـ فعلاً .. التوبة عن الذنب لا تكون مفهومة إلا من رجُل قادر على الذنب .. فهو يقلع عن ذنبه بإرادته واختياره .. أما فَقْدُ الإرادة .. وفاقد الاختيار وفاقد القدرة .. فهو كذاب إذا ادعى الفضيلة .. وإذا ادعى توبة ..

قال الابن الكبير بنفس النبرة الهادئة :

ـ التوبة مسألة نية .. ولا يُحكم على صدْق النيات إلا الله .. وليس من حقنا أن نكذِّب الرجل فلا أحد منا يطلع علىَ قلبه ..

ـ إن قلبه بلون القطران. حياته كلها تقول هذا ..

قال الابن الأصغر :

ـ إن حالته مثل حالة رجل تاب عن نزول البحر حينما فقد القدرة على السباحة.

فأجاب الابن الأكبر :

ـ لا يمكن أن تتهمه بالكذب إلا إذا استعاد قدرته على السباحة ولم ينفذ وعده.. ونفس الشيء .. لا يمكن أن نتهم أبانا بالكذب إلا إذا استعاد حياته واستعاد صحته .. ثم عاود جرائمه .. ولم ينفذ وعده .: وهو ما لا سبيل إلى معرفته ..

ـ ماذا تعنى؟

ـ أعنى أن الوصية واجبة .. ولا سبيل إلى الطعن عليها .. وسوف أحرصْ على تنفيذها : وأخرج طبنجته، ووضعها على المائدة مردفاً :

ـ وعلى من يقف في وجه إرادة الميت .. أن يستعد ليلحق به.

وقفز الابن الأصغر مرتاعاً وهو يردد في دهشة :

ـ هل جُننت .. هل فقدت عقلك .. هل صدَّقْت هذا المعتوه؟

وخرجت من الأخوين الآخرين تمتمات مرتعشة :

هل نحرم أنفسنا من مائة مليون جنيه لمجرد نزوة توبة خرجت من دماغ مشلول..

ـ ألم نكسب له هذه الملايين بدمنا وعرقنا، كيف لا تكون أموالنا ..

قال الابن الأكبر وهو يعبث بزناد مسدسه :

ـ إنها سرقات .. ربما كانت هذه هى كلمة الصدق الوحيدة التى قالها أبونا فى حياته .. ولكنه قالها. وقد صدق .. وأنا أشهد على ذلك .. والقتلى الذين قتلناهم من حرس الحدود ومن خدم الفنادق ومن ضباط الأنتربول .. يشهدون. والله فوق ذلك يرى ويشهد ..

ـ أنت أيضاً تتكلم عن الله .. متى عرفت الله وبالأمس كنت تقتل؟..

ـ إن رؤية الموت تختلف كثيراً عن تذوقه .. لقد نطق أبونا بالحكمة أخيراً .. لم يكن معتوهاً حينما قالها .. إن الذى سوف يموت منكم ويتحول إلى رِمّة يأكلها الدود، وإلى تراب تدوسه النعال .. سوف يدرك أن هناك فارقاً كبيراً .. كبيرا جداً بين رؤية الموت وبين تذوقه .. وليس منكم من هو بعيد عن هذا المصير ..

وعاد يغازل زناد مسدسه فى هدوء مريب.

ـ أنت تهذى .. أنت لست فى وعيك .. لقد أصابك موت أبينا بالهذيان ..

ـ لم أكن فى وعيى فى أى يوم من الأيام كما أنا الآن .. بل أنا كمن أخرج رأسه من تحت الماء لأول مرة ورأى لأول مرة حقيقة الدنيا .

ـ وما هى حقيقة الدنيا؟

ـ بالونة توشك أن تنفجر .. فقاعة تلمع بألوان الطيف الجميلة البراقة .. ثم فجأة تصبح لا شىء ..

ـ هل أصبحت واعظاً؟..

ـ لا .. بل أنا مجرد قائم على تنفيذ وصية.

قال الابن الأصغر :

ـ إنها مجرد كلام شفوى .. لا يساوى الحبر الذى كُتب به .. وهو أيضاً لم يَعش حتى يوقعها .. إنها مجرد قصاصة ورق بلا توقيع ولن يأخذ بها قضاء أو قانون..

ومد يده فجأة واختطف الورقة ومزقها فى عصبية إلى مزق صغيرة .. ونظر إليه الابن الأكبر نظرة ثلجية وأجاب فى بطء ثقيل :

ـ ومنذ متى كنا نلجأ إلى القضاء أو نحتكم إلى القانون أو نأخذ برأى العدل.

ـ لم تعد هناك وصية .. انتهى كل شيء..

فأردف الابن الأكبر فى نبرة كرنين الفولاذ :

ـ أنا الوصية .. وأنا القانون .. وأنا العدل ..

وفجأة، وفى حركة غير محسوبة أخرج الابن الأصغر مسدسه وأطلق رصاصة على أخيه الأكبر أصابت كتفه ..

وجاء الرد فورياً من الطبنجة فى يد الأخ الأكبر سيلاً من الطلقات .. وانبطح الإخوة أرضاً يتبادلون الرصاص..

وأسفرت المذبحة عن ثلاثة قتلى، وأفلت الأخ الأصغر من الموت .. ليسرع الخطى إلى الخزينة .. وإلى مخابئ الدولارات فى الجدران يفرغ كل شئ فى حقيبة كبيرة، وليقفز بها إلى عربته المرسيدس، وليدوس على البنزين بأقصى سرعة وقد بسط أمامه خريطة كبيرة .. وراح ينظر فيها باحثاً عن خط سير مأمون إلى الصحراء الليبية عبر الحدود ..

كانت ليبيا .. بعد فتح الحدود وإزالة الجمارك هى أكثر الأهداف أمناً ..

ولم يتردد..

وأطلق لسيارته العنان، وقد راوده الشعور بالأمن لأول مرة بعد ليلة عاصفة .. لم يكن يفكر فى أى شيء .. ولم يكن نادماً على أى شيء ..

كان يشعر بنفسه فقط..

وهكذا عاش دائماً لا يفكر إلا فى نفسه، وفى لحظته..

وكان يؤمن بالحكمة التى علمها له أبوه .. **إن كل الناس حشرات يمكن اصطيادها بالعسل .. ومن لا يقع فى العسل يقع فى السم ..**

ولم يحدث أن شعر مرة واحدة بروابط العائلة أو صِلَة الدم .. وما كان أبوه وإخوته إلا مجرد وسائل للثراء السريع وجَمْع الدولارات .. مجرد أعضاء عصابة يجتمعون وينفضون على خطط القتل والإجرام .. ويعود كل واحد آخر الليل إلى بيته لينام بلا ذَرَّة ندم ..

وكل ما جرى من حكاية الوصية كان أضغاث أحلام .. مجرد جملة اعتراضية بلا معنى جاءت بين قوسين .. ثم عاد سياق الحياة ليستأنف مسيرته كالمعتاد.. قتل ورصاص وهرب واختفاء ..

لا جديد ..

وضغط على البنزين أكثر .. وانطلقت المرسيدس تسابق الريح.

* * *

ربما مضت سبع ساعات أو أكثر ..

لا يذكر بالضبط .. فالساعة توقفت بعد أن أصابتها رصاصة أثناء تبادل الطلقات

.. وقد أنقذت الساعة السميكة معصم يده .. وهو يرى الآن الصحراء تمتد أمامه بشعابها وتلالها الرملية على مدى البصر والفجر يبدو من وراء الأفق والشمس تطلع.

وبعد ساعات أخرى سوف تلتهب الرمال بحرارة أغسطس المشتعلة .. شكراً لجهاز التكييف الذى يقوم بواجبه ..

* * *

هل مضت ساعات أخرى؟

إنه يرى الشمس فى السماء والصحراء تحولت إلى بريق أبيض يعمى العين ..

لقد توقف مرتين واستبدل إطارا أمامياً .. وملأ جهاز التبريد بالماء .. ولم يبَق عنده ماء .. ليملأ الجهاز بجرعة أخرى ..

وتوقف مرة ثالثة ليملأ خزان البنزين بما تبقى عنده من احتيـاطى .. والصحـراء ما زالت تمتد أمامه بلا نهاية..

هل أخطأ فى اختيار الممرات؟

وعاد ينظر إلى الخريطة .. ويمر بأصبعه على الخطوط الطويلة .. نعم .. لقد دخل فى ممر دائرى .. وسيكون معنى هذا بضع ساعات زيادة ليصل إلى الحدود الليبية ..

لا يهم .. خزان الماء ممتلئ وكذلك خزان البنزين .. ومزيد من السرعة سوف يختصر الزمن .

* * *

الشمس تغرب وساعات أخرى بطيئة ثقيلة ومؤشر البنزين يقترب من الصفر واللمبة الحمراء تضىء ..

الخريطة تقول إن ما تبقى لبلوغ الحدود ربما عشرة كيلو مترات .. ربما أقل، وإذا نفد البنزين بعد خمسة أو ستة كيلومترات .. فإنه يستطيع أن يحمل حقيبته، ويمشى الباقى على قدميه .. وساعات أخرى قلقة متوترة ..

وتتوقف العربة كخنزير أسود فى الصحراء حالكة الظلمة ..

ويحمل حقيبته وينزل .. ليمشى وقد وضع الخريطة فى جيبه ..

ساعة أخرى .. ساعتان .. ثلاث ساعات .. وتتهاوى ساقاه، ويتكوم فينام على تَلّ من الرمال الناعمة .. فاقد القُوَى تماماً ..

وما تكاد تمر دقائق حتى ينتفض من لدغة تلسعه كالنار ..

بطرف عينيه يرى ثعبان الطريشة يعود أدراجه ليغوص في الرمل بعد أن فعل فعلته ..

إنه يعلم ماذا ستفعل به لدغة الطريشة من ثعبان بهذا الحجم الذى رآه..

لا أمل .. انتهى كل شيء ..

وزحف على بطنه ليفتح الحقيبة ويُلقى نظرة أخيرة على ملايين الدولارات المكدسة .. وبدأ السم يسرى فى دمه ليصل إلى مركز التنفس، ويصيب عضلات التنفس بالشلل..

وبدأ صوته يتحشرج ويحتضر ويسلم الروح.

وهبت دوامة عاتية من الرمال بعثرت محتويات الحقيبة لتنتشر على مساحة شاسعة من الصحراء، وتبعثر أكوام الدولارات إلى هباء .. أمام عينين تخمدان..

ومات آخر أبناء عائلة الضبع ..

وعرف أخيراً الفَرق بين رؤية الموت، وبين تذوقه ..

وكم كان الفارق كبيراً(*) ..

(*) د. مصطفى محمود

طرائف

وصايا الظرفاء

* طرائف وصايا الظرفاء :

يوصى .. بابتلاع نوى التمر

* كان «الخليل السلولى» ـ أحد مشاهير البخلاء ـ يوصى أولاده قائلاً :

ـ « لا تلقوا نوى التمر والبلح .. وتعوَّدوا ابتلاعه .. وعَوِّدوا حلوقكم بتسويغه .. فإن النَّوى يعقد الشحم فى البطن .. واعتبروا ذلك ببطون الحيوانات التى تأكل هذا النوى، فإنها أقوى الحيوانات وأمتنها..

« ويا حبذا .. لو تعلمتم أكل النوى والبذر، وقضم العلف والشعير واللفت .. فإن الاعتياد يهيئ للآدمى لذة، لا يعرفها إلا هو .. وتُعَد له ذخيرة لا ينافسه عليها أبناء جنسه .. فيكون منعماً أيام القحط والغلاء.. نحصل لمأكله بجهد قليل، وتعب يسير.

* * *

وكان «الخليل» يقول: كُلوا البقول والخضراوات بقشرها فإنها تقول :

ـ «من أكلنا بقشورنا، فقد أكلنا .. ومن لم يأكلنا بقشورنا فنحن أكلناه» ..

* * *

ملك .. يوصى بضم الشفتين

* أوصى رجل ـ من خدم الملوك ـ ابنه، فقال :

ـ « **إذا أكلت، فَضُم شفتيك..**

« **ولا تلتفت يميناً، ولا شمالاً..**

« **ولا تجلس فوق من هو أشرف منك وأرفع منزلاً..**

* * *

يعكس وصاياه!!

* مرض صديق «**لحامد بن العباس**» ـ المتوفى (**٣١١هـ=٩٢٣م**) ـ فبعث ابنه يعوده، وأوصاه قائلاً :

ـ « **يا بنى .. إذا دخلت فاجلس فى أرفع المواضع، وقُل للمريض : ما تشكو؟ .. فإذا قال : كذا وكذا .. فَقُل له : سليم إن شاء الله .. ثم سَلْهُ : مَنْ يعودك مَن الأطباء؟ .. فإذا قال لك : فلان .. فقُل : ميمون .. ثم سله : ما غذاؤك؟ .. فإذا قال : كذاوكذا .. فقُل : طعام محمود** » ..

فذهب ابنه .. ولما دخل على العليل، رأى بين يديه منارة، فجلس عليها ـ لارتفاعها ـ فوقعت على صدر العليل فأوجعته .. ثم قال للمريض : **ما تشكو؟** .. .

فقال : **أشكو علة الموت..**

فقال : **سليم إن شاء الله! .. ومن يجيئك من الأطباء؟**

قال : **مَلَك الموت..**

قال : **مبارك ميمون!.. فما غذاؤك؟..**

قال : سم الموت..

قال : طعام طيب محمود!..

* * *

يوصى ابنه بالاستغلال!!

* أوصى بائع النظارات ابنه بالطريقة المثلى لمحاسبة الزبائن، فقال :

ـ «اسمع يا بُنى .. بعد أن تضع العدستين، ويسألك الزبون عن الأجرة قُل : «إنها ثلاثة جنيهات» وتوقف قليلاً لترى ما إذا كان الزبون قد امتعض .. فإذا لم يمتعض، فقل : للإطار .. أما العدستان، فثلاثة جنيهات .. وتوقف قليلاً .. فإذا لم يمتعض، فقل : لكل عدسة .. وهكذا » !!

* * *

أوصى بأولاده .. خيراً!!

* حضر أعرابى طعام أمير، فأكل معه .. فلما أحضر الفالوذج قال له الأمير :

ـ إن أكلت هذا جززت رأسك..

فنظر الأعرابى ملياً، ثم رأى ترك الفالوذج خسارة .. فَمدَّ يده إليه، وقال :

ـ أوصيك بصبيتى خيراً !!..

* * *

الوصايا العشر .. فى الفشر

* أوصى أحدهم وصايا عشراً قائلاً :

ـ لا تشخط..

ـ لا تفشر..

ـ لا تهرش..

ـ لا تمسك سيرة جارك..

ـ لا تتشعبط بالأوتوبيس..

ـ لا تركب الأوتوبيس مجانا..

ـ لا تقلق دماغي..

ـ لا تستلف مني..

ـ لا تُريني وجهك في وقت العمل..

ـ لا تكلمني ولا أكلمك..وخلّي كل واخد في حاله!!..

* * *

يوصي .. بألا يعطي وعد شرف!!

* قال أحد رجال الأعمال يوصي ابنه :

ـ يا بُني، حتى تنجح في الحياة .. عليك أن تحتفظ أبداً بفضيلتين عظيمتين .. هما : الشرف .. والحكمة..

فقال ابنه : وما هو الشرف يا أبي؟

قال له : هو أنك إذا أعطيت أحداً وعد شرف، عليك أن تنفذ وعدك، ولو على قطع رأسك..

فقال ابنه : وما هي الحكمة؟..

فقال له : الحكمة هي أنك في حياتك ما تعطي لأحد «وعد شرف» !!..

* * *

وصايا للسكارى فى الجحيم

* أوصى أحدهم قائلاً : إذا أردت أن تكون سكيراً .. فأوصيك بعشر نصائح :

أولاً : إذا أردت أن تكون فى حالة عطش شديد دائم..

ثانياً : إذا أردت أن يكون الفشل نصيبك من الحياة..

ثالثاً : إذا أردت أن تصغر شأنك، وتحط منزلتك فى عيون الآخرين..

رابعاً : إذا أردت أن تميت أسرتك جوعاً..

خامساً : إذا أردت أن تكون من ضحايا اللصوص..

سادساً : إذا أردت أن تقتل مواهبك، وتخمد حواسك..

سابعا : إذا أردت أن تتبوأ مركز الأبله والمغفل..

ثامناً : إذا أردت أن تكشف عن دخائلك وأسرارك للآخرين..

تاسعا : إذا أردت أن تكون فقيراً معدماً..

عاشراً : إذا أردت أن تموت موتاً أدبياً، قبل موتك المادى فاذهب إلى الجحيم!!..

* * *

يوصى بالكتابة على قبره : مات قبل أن يولد

* مرّ رجل على قرية، وزار فيها القبور .. فسرعان ما أخذه العجب حينما كان يقرأ على شواهد القبور : **«فلان تولى رئاسة الأمر الفلانى وجاهد خمس سنوات، ومات وعمره خمس وعشرين يوماً»..**

ولم يجد أحداً كتب على شاهده : **أنه عاش أكثر من ستين يوماً** .. **فتعجب** من أمرهم، وسأل شيخاً مرَّ أمامه عن سبب ذلك؟ فقال له : «**نحن لا نعد من حياة الإنسان إلا الأيام التى قضاها فى سرور وبهجة وفرح .. فنكتب له على شاهده عدد تلك الأيام التى سُرَّ بها فى حياته، ونترك باقى عمره الذى لاقى فيه التعب والضنى**..

وكان صاحبنا هذا رجلاً قد سُدَّت الحياة فى وجهه، وذاق منها الأمرَّين، وكان يهيم على وجهه فى البلدان هرباً من الحياة وشقائها..

فقال الشيخ : **أوصيكم إذا مت عندكم، فادفنونى هنا، واكتبوا على قبرى** : «**فلان مات قبل أن يولد**»..

وذلك ـ على حد زعمه ـ لأنه لم ير فى حياته يوماً سُرَّ فيه قَط..

* * *

وصية .. من يرقد فى سلام

* أوصى الزوج الطبيب لزوجته بثلث ثروته، وأوصى بباقى ثروته لجمعية الرفق بالحيوان..

واشترط ـ فى وصيته ـ أن تكتب زوجته على قبره : **هنا يرقد (فلان) فى سلام**..

ونزلت الزوجة الأرملة على إرادة زوجها، ونقشت على قبره هذه الكلمات .. ولكنها أضافت إليها هذه العبارة : «**إلى أن نلتقى**»..

* * *

وصايا إبليس .. لفوائد التدخين!!

*** أوصى إبليس بأن للتدخين ثلاثة فوائد هي :**

(١) أن المدخن لا تعضه الكلاب، ولكن الحقيقة أن التدخين يصيبه بضعف فى أعصابه وارتجاف فى أطرافه، فيتوكأ على عصا .. فتبتعد عنه الكلاب خوفاً من العصا..

(٢) أن المدخن تخشى اللصوص دخول منزله، لأن التدخين يسبب له الأرق، فيقضى ليله يقظاً، ويسعل بصوت عال.. فلا تقرب اللصوص من بيته..

(٣) لا يشيب شعره، ولا يتعرض لمتاعب الشيخوخة، لأن التدخين يقضى على المدخن مبكراً !!..

* * *

وصية .. بين الثقة والعناية

*** كتب « الحسن بن وهب » ـ (٠٠٠ـ٨٦٥م) ـ إلى «مالك ابن طوق» ـ (٠٠٠ـ٨٧٣م) ـ يوصى بمحمد بن على بن عبد الله ابن أبى الشيص ـ (٠٠٠ـ٨١١م) ـ فقال :**

ـ « كتابى إليك خططته بيمينى، وفرغت له ذهنى .. فما ظنك بحاجة هذا موقعها منى .. أترانى أقبل العذر فيها، أو أقصر فى الشكر عليها .. و«ابن أبى الشيص» قد عرفته ونسبه وصفاته .. ولو كانت أيدينا تنبسط ببره ما عدانا إلى غيرنا، فاكتفِ بهذا منا .. وله كتابى إليك، كتاب معنى بمن كتب له واثق بمن كتب إليه .. ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله »!!..

* * *

وصية خطّاط

* أوصى أحد الخطاطين تلميذه قائلاً :

ـ يا بُني.. أمسك بالقلم البَسْط.. وحاول أن يستقيم معك الخط.. فلا تعرج به كمشى البط.. وإياك أن تحيد عن هذا الخط.. وهذه وصيتى فلا تهملها قط..!!..

* * *

مجرم .. هذه وصيته

* أقرت المحكمة أن المتهم مجرم، وحكمت عليه بالإعدام .. فلما أخذوه إلى المشنقة سألوه :

ـ هل لك وصية؟..

فأجاب **بالنفى..**

فلما علقوه، أخذ يصيح : **أنا يا جماعة عندى وصية..**

ولما أنزلوه عن المشنقة، سألوه : **وما هى وصيتك؟..**

قال : **وصيتى ألا أموت مشنوقاً!!..**

* * *

أوصى بثروته .. لمن لا يسعى إليها

* مات رجل بغير عقب، وخلّفَ رسالتين مختومتين. إحداهما : **باسم محاميه**، والأخرى **باسم رجل عَهَدَ إليه أن يتولى دفنه..**

وقد تم الدفن وفقاً لوصية الرجل فى الساعة الرابعة صباحاً .. فلم يشيعه إلى مثواه الأخير سوى أربعة من أصدقائه، تحاملوا على أنفسهم ليقوموا بواجبهم نحو صديقهم الراحل فى تلك الساعة..

ولكنهم نالوا جزاء ما فعلوه، لأنهم وجدوا ـ حين فتح المحامي الرسالة الخاصة به : أن الرجل قد أوصى فيها بتوزيع ثروته البالغة نصف مليون جنيه على الذّين يشيعونه حتى يُوارَى التراب!!..

* * *

وصايا العصفور .. للإنسان

* اصطاد رجل عصفورة، فقالت : ماذا تصنع بى؟..

فقال : سوف أذبحك، فأطبخك، فآكلك..

فقالت : وأنى لا أسمن ولا أغنى من جوع .. فخير لك أن تتركنى وسوف أوصيك بثلاث خصال، وهى أنفع لك من أكلى..

فأما الأولى : فإنى أعلمها لك وأنا فى يدك..

والثانية : إذا صرتُ فوق الشجرة..

والثالثة : إذا صرتُ فوق الجبل..

فقال : هاتى الأولى.

فقالت : لا تأسفن على ما فاتك..

فخلّى عنها ..

فلما صارت فوق الشجرة قالت : إذا سمعت بأمرٍ لا يقبله العقل، فلا تصدق أنه حصل، أو يحصل..

ثم طارت إلى الجبل، وقالت : بئس .. أنت أيها المسكين .. لو ذبحتنى لوجدت فى حوصلتى كُرَة من الذهب زنتها عشرون مثقالاً..

فَعَضّ الرجل على شفتيه نادماً وآسفاً ..

ثم سكت وقال : وأين الثالثة؟..

فقالت : سرعان ما نسيت الاثنتين أيها الرجل، فكيف أعطيك الثالثة؟.. ألم أقل لك لا تأسفن على ما فاتك.. وقد تأسفت على أنى قد تركتك.

وألم أقل لك إذا سمعت أمراً لا يقبله العقل، فلا تصدقه.. وقد صدقت أن فى حوصلتى درة زنتها عشرون مثقالاً .. مع أن عَظْمى وريشى ولحمى لا يزنها!!..

* * *

وصية عظيم

* ابتهج (**آل كامل**) عندما رزقوا صبياً بعد انتظار طويل.. وأرادوا أن يختاروا له أحسن الأسماء..

وبعد مراجعة أسماء كثيرة، واستشارة العديد من الأصدقاء والكتب والمجلات.. استقر رأيهم على تسمية المولود : «**عظيم**» !!

وعاش «**عظيم كامل**» طفولة سعيدة، لم يعكرها شىء سوى سخرية أترابه من اسمه..

وهكذا تشَبَّ «**عظيم**» على بُغض هذا الاسم، الذى لم يكن له يد فى اختياره..

ثم تزوج، وأنجب أولاداً، وأسس تجارة ناجحة .. لكنه ما انفك يمقت اسمه حتى النهاية..

ولما تقدمت به السن، أصابه داء عياء..

وذات يوم استدعى زوجته وقال لها : **أحس أن أجلى قريب، وعندما توافينى المنية أوصيكم بألا يُذكر اسم «عظيم» على شاهدة ضريحى، وأن يكتفى بـ «كامل»..**

ومات «عظيم»، وكانت زوجته أمينة على رغبته .. لكنها رأت أن عبارة «**كامل**» وحدها لا تكفى .. فأضافت إليها هذه العبارة التالية :

ـ لقد عاش حياة زوجية طويلة من غير أن ينظر إلى امرأة أخرى..

واليوم، كلما مرَّ أحد بضريحه، وقف متمتماً يقول :

ـ «عظيم» !!..

* * *

يوصيه .. بمراقبة الموتى

* كان طبيب نفسي يعالج رجل أعمال أراد أن يجمع ثروة طائلة .. فأوصاه بأن يعمل ثماني ساعات يومياً بدلاً من ست عشرة ساعة، ويقضى أحد أيام الأسبوع في المقبرة..

فسأله رجل الأعمال : **أمشِ على مهل .. وراقب الموتى الذين ستنافسهم لتصبح أغنى رجل تحت الأرض!!..**

* * *

يوصى بجميع أمواله للمظلومين

* إنه أحد المصريين الذين ظُلموا، وسُجنوا ـ في الماضي ـ بعد أن أُفرِجَ عنه، واستعاد مكانته المادية، وأصبح مليونيراً مرموقاً ـ أوصى بأن **يؤلف جمعية للدفاع عن المظلومين، ويضع فيها كل ما يملك من أموال كرأسمال للجمعية!!..**

* * *

يوصى .. بالتخلى للكلب

* أوصى فيلسوف صديقه قائلاً له :

« لا تتشاجر أبداً .. فليس هناك إنسان قرر أن يجعل من نفسه شيئاً، يستطيع أن يضيع وقته في مشاحنات شخصية.. وأن تتخلى عن طريقك لكلب، أفضل من أن يعقرك »!!..

طريقة تنفيذ وصية والده!!

* ساق أحد رجال الشرطة يوماً لصاً إلى المحكمة .. وعندما اعترف بأنه افتتح باب المحل التجارى، الذى قبض عليه فيه بمفتاح غريب، مدعياً أنه إنما فتحه عملاً بوصية والده..

فسأله القاضى : **وماذا كانت وصية والدك؟..**

أجاب : **وصيته لى كانت هى أن أفتح محلاً تجارياً!!..**

* * *

الوصايا العشر للغلاء(*)

* كيف تقاوم الغلاء بدون عناء؟ كيف تقهر موجة ارتفاع الأسعار التى يطق منها الشرار.. كيف تدفع ديونك، وتكف عن القلق؟ كيف تكسب التجار وتؤثر فى البائع؟ كيف تكون سعيداً مبتهجاً مسروراً بأبسط قدر من التعب؟..

إن جواب هذه الأسئلة كلها يكمن فى الوصايا العشر للغلاء.. إذا اتبعت هذه الوصايا .. أفلحت ونجوت وأمنت فنمت .. إليك الوصايا، فتأملها بعمق :

١ـ اغسل يديك قبل الأكل وبعده..

٢ـ لا تأكل اللحم مثل «بوذا» ..

٣ـ ازهد فى الفراخ مثل «غاندى» ..

٤ـ لا تفكر فى الحمام أو البط مثل «فقراء السيدة» ..

٥ـ احتقر الديوك الرومى مثل «نُسَّاك الهنود» ..

(*) أحمد بهجت ..

٦ـ ركز في الفول، إنه يلتهم الجوع كالغول..

٧ـ تأمل جمال العدس ساعة الغروب اللازوردية..

٨ ـ لاحظ وداعة البصارة وعلى وجهها البقدونس..

٩ـ ضع هَمّكَ في الباذنجان.. تأمن شرَّ الجنان..

١٠ـ لا تنس قِدْرَة المش..

هذه الوصايا تستند إلى الفلسفة التالية : قُل لنفسك ماذا أخذ الذين أكلوا قبلنا الفراخ والبط والأوز؟ ماذا كسب الذين أكلوا البتلو اللبناني الصغير؟ هل تعرف المعدة الفرق بين وِرْكَ الدجاجة ولُقمَة الفول المدمس؟.. هل تميز المعدة بين صدر البطة وقَلْبِ الباذنجانة .. المعدة لا تعرف، ولا تميز..

العقل هو الذي يصدر تعليماته إلى المعدة بحُب طعام، وكراهية طعام .. حاصر عقلك قبل أن يصدر رسائله إلى المعدة .. قُل له : **إن الزاهد أفضل من المفجوع .. وإن الفول والعدس يلقيان نفس مصير الضاني والكندوز** .. ردد هذه العبارة وأنت تأكل الفول :

ـ «هذا ديك رومي .. جاء يزورني متخفياً في عباءة الفول ذات اللون البني الغامق»..

أطلق على الفول اسم تدليل جميل.. لماذا لا تسميه : **فيفي مثلاً** .. فكر في اسم تدليل للبصارة .. ابتسم وأنت تأكل، وتخيل أنك تأكل ما تحب أن تأكله .. ألا تعرف أن كل الطعام هو في الأصل طاقة قادمة من الشمس .. اجلس في الشمس .. وحاول الحصول على طاقة **الفراخ والبط والأوز مباشرة من الشمس**..

تصور أن آشعة الشمس **بط أثيرى وحمام وفراخ** تتسلل من مسام جسدك مباشرة إلى المعدة .. هل شبعت؟ احبس بكوب **من الشاى**..

الآن نستطيع أن نقول لك : «**هنيئاً ونعيما**» !!..

* * *

١٠ وصايا للمشى فى الشوارع(*) !!

* تتغير عادات الإنسان إذا تغيرت ظروف حياته .. ويتغير شكل الإنسان إذا تغير نوع طعامه .. وتتغير مشية الإنسان إذا تغير قلب شارعه .. ويتغير وجه الإنسان إذا لم يغسل وجهه، وسكان مدينة القاهرة هم سكان أعجب مدينة فى العالم..

إن المشى فى شوارع القاهرة قد صار فناً قائماً بذاته مثل فن النحت، أو الشعر، أو المسرح.. وقديما كان المشى يتكون من تحريك القدمين واليدين بطريقة منتظمة..

أما اليوم .. فقد تطور المشى تبعاً لتطور الشارع، وصار على الإنسان أن يمشى بالأسلوب البطيء الذى سار به التلاميذ فى (مدرسة المشاغبين) .. يرفع قدماً ويخفضها فى مكانها .. ويتحرك خطوة إلى الأمام وخطوتين للوراء .. و«**الحاجة أمُّ الاختراع**» كما يقولون..

والحاجة لهذا المشى قد صارت فرض عين على كل إنسان أن يؤديه .. ولو لم يفعل السائر، ومشى كما كانوا يسيرون لسقط فى بلاعة أو حفرة أو شرك أو مصيدة أو خرم غائر أو مصيبة..

ونظراً لظروف الشوارع الحالية .. فقد اجتمعت الرءوس المفكرة فى البلدية، وأصدروا الوصايا العشر للمشى فى الشوارع..

الوصية الأولى :

انظر أمامك، وتذكر قول الشاعر العربى : «**قَدِّر لِرِجْلِكَ قبل الخَطْو موضعها**»..

(*) أحمد بهجت ..

الوصية الثانية :

مدّ قدميك أمامك، وتحسس الأرض برفق.. فقد تنهار..

الوصية الثالثة :

احمل معك حبلاً وخُطافاً، فقد تقع فى حفرة..

الوصية الرابعة :

التأمين على الحياة يساعدك، ويساعد أولادك..

الوصية الخامسة :

سِرْ ببطء شديد .. «**فى التأنى السلامة .. وفى العجلة الندامة**»..

الوصية السادسة :

اكتب وصيتك، قبل أن تسير..

الوصية السابعة :

اقرأ الفاتحة، وبعض قصار السور وأنت تمشى..

الوصية الثامنة :

اجعل معك عصا، لتبحث عن بقايا الرصيف..

الوصية التاسعة :

المشى الكثير يفيد المعدة .. ولكن عواقبه غير مضمونة..

الوصية العاشرة :

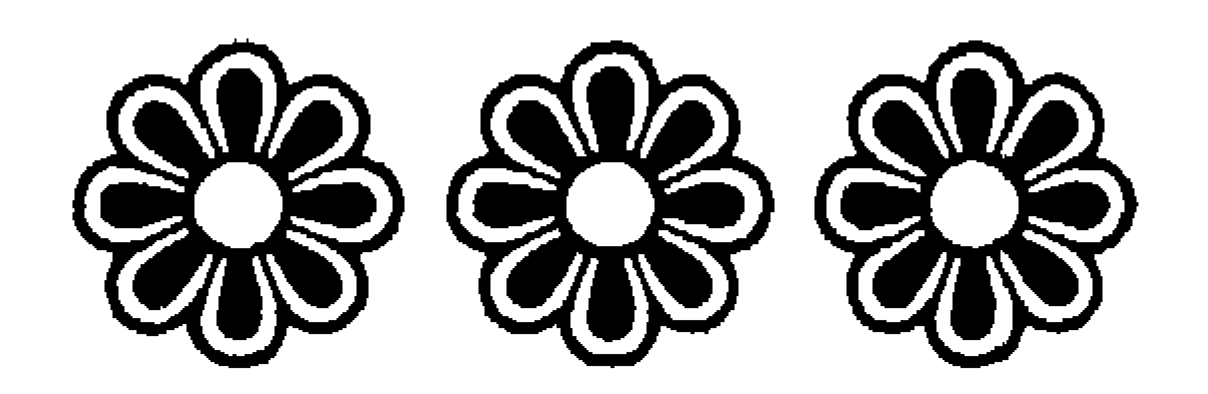
عُدْ سالماً لأهلك، ولا تخرج من بيتك إلا فى الشديد القوى..

* * *

هذه هى الوصايا العشر للمشى فى الشوارع، وقد اتفقت آراء الفقهاء من رجال البلدية أن للمشى أخطاره، ولكن الحياة فى خطر هى صيحة الفيلسوف «**نيتشة**» .. عيشوا فى خطر .. هكذا قال .. وإذا قال «**نيتشة**» فقد قال ذلك لأن الحياة فى الخطر تشحذ الهمم، وتوقظ الأذهان والذِّمَمْ، وتقوى القلب والرئتين، وتَشدّ المفاصل فتخلعها..

والحياة فى قلب الخطر أفضل من العيش فى ربوع السلامة .. والمثل الجديد يقول :

- **«إن للمرور السلامة، وللمشاة الندامة» !!..**



* أرجوزة الوصايا:

وصايا ابن مكانس

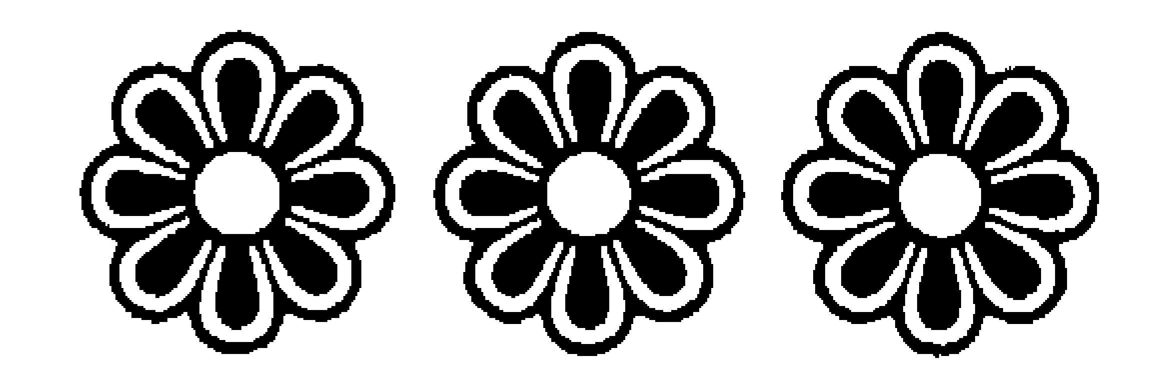
*** إنه «عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم أبو الفرج فخر الدين المعروف بـ «ابن مكانس» ـ (٧٤٥ـ٧٩٤هـ)** ـ أوصى فى أرجوزة له قائلاً :

هل من فتى ظريف	معاشر لطيف
يسمع من مقالى	ما يرخص اللآلى
أمنحه وصيه	سارية سريه
تنير فى الدياجى	كلمعة السِراَجِ
رشيقة الألفاظ	تسهل للحفاظ
جادت بها القريحه	فى معرض النصيحه
أنا الشفيق الناصح	أنا المُجد المازح
إن تبتغ الكرامه	وتطلب السلامه
اسلك مع الناس الأدب	ترى من الدهر العجب
لِنْ لهم الخِطَابا	واعتمد الآدابا
تنل بها الطلابا	وتسحر الألبابا
ولا تطاول بنشب	ولا تفاخر بنسب
فالمرء ابن اليوم	والعقل زين القوم
ما أروض السيـاسه	لصاحب الرئاسه
إن شئت تُلقى محسنا	فلا تقل يوماً أنا

العز في الأمانه والكيس في الفطانه
القصد باب البركه والخرق داعي الهلكه
لا تغضب الجليسا لا توحش الأنيسا
لا تصحب الخسيسا لا تسخط الرئيسا
لا تكثر العتابا تُنَفِّرَ الأصحابا
فكثرة المعاتبه تدعو إلى المجانبه
وإن حللت مجلسا بين سراةٍ رُؤسا
اقصد رضا الجماعه وكن غلام الطاعه
وداوهـم باللطـف واحذر وبال السخف
واختصـر السـؤالا وقـلـل المـقـالا
ولا تكن معربدا ولا بغيضا نكدا
لا تحمل الطعاما والنُّقْـل[1] والمدامـا
فذاك في الوليمه شنـاعـة عظيمـه
لا يرتضيها آدمي غيـر مُقـل عـادم
وقُـل مـن الكـلام مـا لاق بالسـلام
كرائـق الأشعـار وطيِّب الأخبـار
واترك كلام السفله والنكت المبتذله
إياك والتطفيلا وشؤمه الوبيلا
ولا تكن مبذولا ولا تكن ملولا
البخل لا تألفه والخِل لا تصدفه
ولا تَقُلْ لمن تحب ضيفَ الكرام يَصطَحِبْ

(١) النقل : هو ما ينقل على الشراب ..

ولا تكن ملحاحا ... واجتنب المزاحا
فكثرة المجون ... نوعٍ من الجنون
فالشؤم فى اللجاجِ ... والحر لا يداجى
وهذه الوصيه ... للأنفس الأبيه
اختارها لنفسى ... وإخوتى وجنسى
فهاكها وصيه ... تصحبها التحيه
تحملها الكرام ... إليك والسلام



غرائب وصايا

المقامات

* غرائب وصايا المقامات :

يوصي ابنه باستعارة الطبائع

* حكى «الحَارِثُ بنُ هَمَّام»(*) قال بَلَغَنِى أن «أبا زَيْدٍ»(١) حينَ نَاهزَ القَبْضَةَ(٢) .. وابْتَزَّهُ(٣) قَيْدُ الهرَمِ النَّهْضَةَ(٤) .. أَحْضَرَ ابْنَه .. بَعْدَمَا اسْتَجَاش ذِهنَه(٥) .. وقَالَ لَهُ :

«يا بُنيّ إنّه قَدْ دنَا ارْتحالِي منَ الفنَاء .. واكْتحَالى بمَرْوَد الفَناء(٦) .. وأَنْتَ بحَمْدِ الله وَلِيُّ عهْـدِى(٧) .. وكَبْشُ الكَتِيبَـةَ(٨) السَّاسَانِيَّـة(٩) .. منْ بَعْدِى..

(*) القاسم بن على الحريرى (٤٤٦ـ٥١٦هـ=١٠٥٤ـ١١٢٢م).

(١) هو المطهر بن سلار السروجى (٠٠٠نحو ٥٤٠هـ=٠٠٠نحو ١١٤٥م).

(٢) أى دناها وقاربها والقبضة فى الحساب أن تعقد الأصابع ثلاثة وتسعين يريد أنه دنا من هذا القدر فى العمر، ويحتمل أن يُراد بها الموت فيكون المعنى قُرِّبَ من أن يقبض روحه..

(٣) أى سلبه.

(٤) هى القيام يعنى أن كِبرَ سِنّه بَلَغَ به أن منعه من النهوض.

(٥) أى جمع عقله، أو استمده.

(٦) الفناء بالكسر رحبه المنزل والمُراد المنزل وبالفتح الموت.

(٧) أى خليفتى بعدى.

(٨) أى رئيسها وقائدها والكتيبة العسكر والجيش.

(٩) المنسوبة إلى ساسان.

وَمِثْلُكَ لاَ تُقْـرَعُ لَهُ العَصَا(١) .. ولا يُنبَّه بطَـرْقِ الحَصَـا(٢) .. وَلَكِنْ قَـدْ نُـدِبَ(٣) إلى الإذْكارَ(٤) .. وَجُعِل صيْقَلاً(٥) للأفْكَار.

وإنّي أُوصيكَ بمَا لَمْ يُوصِ به «شيث»(٦) الأنباط(٧) .. ولا «يَعْقُوب» الأسباط(٨) .. فاحْفَظ وَصِيتِي .. وجَانِبْ مَعْصِيَتي.. واحْذُ مثالي(٩) وفقْه أمثالي.. فإنكَ إنِ استَرْشَدْتَ(١٠) بنُصْحِي .. واستَصْبَحتَ(١١) بصُبْحِي(١٢)..

---

(١) فى المثل لا يقرع له العصا، ولا يقلقل له الحصا بضرب المحنك المجرب، وأول من قرعت له العصا (عامر بن الظرب العدوانى) وكان من حكماء العرب يقال له (ذو الأصبع) وذلك أنه كان فى حداثة سنه يحكم بالحق، فلما أسن اختل أمره، فربما زل فشكا الناس منه ذلك ولم يقدر أن ينهه .. وكانت له ابنة عاقلة فلما بلغها ذلك لامته فقال لها : كونى قريباً منى، فإذا أنكرت منّى شيئاً فاضربى لى بالعصا لأسمع فارجع عن الخطأ، وفيه يقول المتلمس (لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا) وعلى الإنسان إلا ليعلما.

(٢) أى لا يحتاج فى الأمور المهمة إلى تنبيه غيره له. قيل : كانت العرب إذا أرادوا اختبار الرجل هل يصلح للسفر والغارات تركوه حتى ينام ثم يأخذ رجل حصاة فيرمى بها إلى جانبه، فإن انتبه وثقوا به وعلموا أنه أهل، وإلا تركوه. وقيل أن طرق الحصا ضَرْبٌ مِنَ التكهن بأن يأخذ الكاهن حصيات فيضرب بها الأرض ثم ينظر فيخبر بالغيبيات .

(٣) يقال نَدَبَه لأمرٍ فانتدب له. أى : دعاه له فأجاب.

(٤) أى التذكير .

(٥) جلاء.

(٦) هو أفضل ولد آدم عليهما الصلاة والسلام وكان أحب بنيه إليه وهو وصيه وولى عهده وهو الذى ولد البشر الموجودين من بعد الطوفان كلهم وبنّى الكعبة بالطِين..

(٧) جمع نبط وهم قوم من العجم ينزل البطائح بين العراقين وإنما سُمى أولاد شيث أنباطاً لأنهم نزلوا هناك..

(٨) هم أولاد يعقوب عليه السلام ووصية أبيهم لهم ما ذكره الله تعالى فى قوله ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله الآية...

(٩) أى اقتد بى والعمل مثلى واحتذيت مثاله اقتديت به من حذا النعل قطعها على مثال..

(١٠) أى اهتديت وفى نسخة استنصحت نصحى وفى أخرى بنصحى.

(١١) استضأت...

(١٢) أى بنور أبى.

أَمْرَعَ خانُك[١] .. وارْتَفعَ دخانُكَ[٢] .. وإنْ تَنَاسيْتَ سُورَتى[٣] .. .. ونَبَذْتَ مَشُورَتِى .. قَلَّ رَمادَ أثافيكَ[٤] .. وزَهِدَ أهْلُكَ ورَهْطُكَ فيكَ[٥] ..

يا بُنَىَّ .. إنى جرَّبْتُ حَقائقَ الأُمور .. وبَلَوْتُ[٦] تَصَاريفَ الدُّهُور[٧] فَرأَيْتُ المَرءَ بِنَشْبِهِ[٨] .. لا بِنَسَبِه .. والفَحْصَ[٩] عَنْ مكْسَبِهِ لا عن حَسَبِه..

وكُنْتُ سَمِعْتُ أنْ المَعَايشَ[١٠] إمارَة .. وتِجَارَة .. وزِراعَة .. وصناعة .. فَمَارَسْتُ هذه الأَرْبَع .. لأنْظَرَ أيُّهَا أوْفَقُ وَأنْفَع .. فما أَحْمَدْتُ مِنْهَا مَعيشَة .. ولا اسْتَرْغَدْتُ فِيها عِيشَةَ[١١] ..

أما فُرَصُ الوِلايَات .. وخُلسُ الإمارَات[١٢] .. فكأضْغَاثِ الأَحْلام[١٣] ..

---

(١) أى أخصب مكانك والخان الفندق ومنـزِل مربـع أى حصيت قال
هالنى ولية تمرع جنابى فإننى   لما نلت من وسعى نعماك شاكر

(٢) كناية عن كثرة الخير لأن ارتفاع الدخان يدل على دوام كثرة الطبخ وكثرة الطبخ تدل على كثرة الخير.

(٣) أى وصيتى.

(٤) الأثافى حجارة توضع عليها القدر.

(٥) أى قلّت رغبتهم فيك ورهط الرجال قومه، وقبيلته.

(٦) أى خبرت.

(٧) أى تقلباتها..

(٨) أى بماله.

(٩) البحث الشديد..

(١٠) أى أسبابها ويحكى أن المأمون قال أمور الدنيا أربعة فعد هذه ثم قال فمن لم يَتَّسِ أحد أهلها كان كلا على الناس.

(١١) أى ولا وجدت فيها معيشة رغدا أى واسعة طيبة.

(١٢) أصل الفرص ما تدركه من المنافع بدون تعن والولايات جمع الولاية بالكسر الاسم وبالفتح المصدر وأما الخلس فالمراد ما تحصل عليه بسرعة قبل غيرك..

(١٣) هى الرؤيا التى لا تأويل لها لاختلاطها..

والفَىءِ[1] المُنتَسِخِ[2] بالظلام .. وناهيك[3] غُصَّةً[4] بمَرارةِ الفِطام[5] ..

وأمَّا بَضائِعُ التِّجارات .. فعُرْضَة[6] لِلْمُخاطَرات .. وطُعْمَة[7] لِلْغارات .. وما أشْبَهَهَا بِالطُّيور الطَّيّارات..

وأما اتِّخاذُ الضِّياع[8] .. والتَّصدِّى[9] للازْدِرَاع[10] .. فَمَنْهَكَة[11] للأعراض .. وقُيود عائقَة عَنِ الارْتِكاض[12] .. وَقَلَّما خَلا رَبعها عن إذلال .. أو رُزِق رَوْحَ بال[13] ..

---

(١) الطل

(٢) أى الزائل

(٣) أى ويكفيك

(٤) هى ما يغص به الآكل أو الشارب.

(٥) الباء زائدة أى حسبك من الإمارة ما للعزل من المرارة وفى أمثال المولدين الإمارة حلوة الرضاع مُرّة الفطام وقد نظم هذا المعنى من قال :

سكر الولاية طيب   وخمارها مُرٌّ شديد

كم تائـه بولايـة   وبعزله يسعى البريد .. وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : «إنكم ستحرصون على الإمارة وستصير ندامة وحسرة يوم القيامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة»..

(٦) أى معرضة

(٧) أى طعام

(٨) جمع ضيعة

(٩) التعرض

(١٠) أى للزروع

(١١) أى مذلة ذكر الجاحظ أن العرب كانوا يأنفون من صغار الخراج والإقرار بالجزية ولذلك قيل

الحمـد للـه علـى أننـى   لست بذى ماء ولا ضيعه

فالماء يفنى ماء وجه الفتى   وصاحب الضيعة فى ضيعة   وأنشد

هى المال إلا أن فيها مذلـة   فمن ذل قاساها ومن مل باعها

(١٢) أراد به السفر.

(١٣) أى راحة قلب.

وأما حِرَفُ أُولِى الصِّنَاعات .. فَغَيْرُ فَاضِلَةٍ عَنِ الأَقْوَات .. ولا نافِقَةٍ[1] فى جَمِيعِ الأَوْقات .. ومُعْظَمُهَا مَعْصُوبٌ[2] بِشَبِيبَةِ الحَيَاة ..

ولَمْ أَرَ ما هُوَ بارِدُ المَغْنَمِ[3] .. لَذِيذُ المَطْعَم .. وَافِى المَكْسَب .. صافى المَشْرَب .. إلاَّ الحِرْفَةَ الَّتِى وَضَعَ «سَاسَانُ»[4] أَسَاسَها[5] .. وَنَوَّعَ أَجْنَاسَها .. وأَضْرَمَ[6] فى الخَافِقَيْنِ[7] نارَها .. وأَوْضَحَ لِبَنِى غَبْراءَ[8] مَنَارَهَا[9] .. فَشَهِدْتُ وَقَائِعَهَا مُعْلِما[10] .. واخْتَرْتَ سِيمَاها[11] لى مِيسَما[12] .. إذْ كانَتْ المَتْجَرَ الَّذِى لا يَبُور .. والمَنْهَلَ الذى لا يَغُور[13] .. والمِصباحَ الَّذِى يَعْشُو[14] إليهِ

---

(١) أى ولا رابحة.

(٢) مشدود ومربوط.

(٣) طيب ينال بغير مشقة.

(٤) المراد به ساسان الأكبر وهو ابن بهمن وأما ساسان الأصغر فهو ابن بابك أبو الأكاسرة.

(٥) جمع أس وهو ما يبنى عليه.

(٦) أى أشعل.

(٧) هما المشرق والمغرب.

(٨) أى للفقراء المحتاجين سُموا بذلك لاستفراشهم وجه الغبراء وهى الأرض من غير غطاء ولا وطاء.

(٩) طريقا.

(١٠) أى جاعلاً لنفس علامة.

(١١) أى علامتها.

(١٢) أى حُسناً وجمالاً اتسم به.

(١٣) أى لا ينضب ولا ينقص.

(١٤) عشوت إلى النار عشواً : استدللت عليها ببصر ضعيف. وعشوته : قصدته ليلاً هذا هو الأصل ثم صار كل قاصد عاشياً.

الجُمْهُور[1] .. ويَسْتَصْبِحُ[2] بهِ العُمَىُ[3] والعُورُ[4] ..

وكان أهلُها أعزَّ قَبيل .. وأسْعَدَ جيل .. لا يرْهَقُهُمْ[5] مَسُّ حَيْف[6] .. ولا يُقْلِقُهُمْ سَلُّ سَيْف .. ولا يَخْشَوْنَ حُمَةَ لاسعٍ[7] .. ولا يَدينونَ[8] لدانٍ ولاشاسع[9] .. ولا يَرْهَبُونَ[10] ممَّنْ بَرَقَ ورَعَدَ[11] .. ولا يَحْفَلُونَ[12] بمَنْ قَامَ وقَعَد .. أنْديَتُهم[13] مُنَزَّهَة .. وقُلُوبُهُمْ مرفهةَ[14] وَطُعَمُهُمْ مُعَجَّلَةَ[15] .. وأوقاتُهُم غُرٌّ مُحَجَّلَة[16] .. أينَما سَقَطُوا[17] .. لَقَطُوا[18] .. وحيْثُما

(١) جلة الناس ومعظمهم.

(٢) أى يستضىء.

(٣) يعنى الجهال.

(٤) الذين لهم بعض إلمام بالعلم ولم يتفقهوا جيداً.

(٥) أى لا يغشاهم.

(٦) أى أصابه ظلم.

(٧) أى أذية مؤذ وحَمَة العقرب إبرتها التى تلسع.

(٨) أى لا يطيعون.

(٩) أى لقريب ولا بعيد.

(١٠) أى لا يخافون.

(١١) أى ممن توعد وهدد.

(١٢) يبالون.

(١٣) مجالسهم.

(١٤) مستريحة.

(١٥) سريعة.

(١٦) كناية عن صفائها وعدم مكدر لها.

(١٧) وقعوا ونزلوا.

(١٨) أى جمعوا الرزق فى أمثال المولدين حيثما سقط لقط يضرب للمحتال.

انْخَرَطُوا[1] .. خَرَطُوا[2] .. لا يَتَّخِذُونَ أَوْطَاناً .. ولا يَتَّقُونَ سُلْطَاناً .. ولا يَعْتَازُون[3] عَمَّا تَغْدُو خِمَاصا[4] وَتَرُوحُ بِطَانا[5] ..

فقال له ابنُهُ : يا أَبَةِ لَقَدْ صَدَقْتَ .. فيما نَطَقْتَ .. ولَكِنَّكَ رَتَقْتَ .. وَمَا فَتَقْتَ[6] .. فَبَيِّنْ لِي كيفَ أَقْتَطِف[7] .. وَمِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الكَتِفُ[8] ..

فقال : يا بُنَيَّ .. إن الارْتِكَاضَ[9] بابُها .. والنَّشَاطَ جِلْبَابُهَا[10] .. وَالفِطْنَةَ[11] مِصْبَاحُهَا[12] .. وَالقِحَةَ[13] سِلاحُها ..

فَكُنْ أَجْوَلَ مِنْ «قُطْرُب»[14] ..

---

(١) أي دخلوا.

(٢) أي قشروا.

(٣) أي لا يتميزون.

(٤) أي جياعا.

(٥) ممتلئة البطون وأصله للطير من قوله عليه الصلاة والسلام لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير.

(٦) يعني أجملت وما فصلت.

(٧) أجتني.

(٨) في المثل : (إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف) يضرب للداهي الذي يأتي الأمور من مأتاها، لأن أكل الكتف يعسر على ما لا يعرف أكلها .. قال الشاعر :

إني على ما ترون من كبري ... أعلم من أين تؤكل الكتف

(٩) أي الحركة.

(١٠) أي لباسها.

(١١) سرعة الفهم والتفرس.

(١٢) الذي تستنير به.

(١٣) بكسر القاف صلابة الوجه من قوله :

وقاحة الوجه سلاح الفتى ... ورقة الوجه من الحرفة

(١٤) أي أكثر جولاناً منه وهو دويبة تخرج من جحرها للرعى ليلاً تجول الليل كله لا تنام قيل ولا تستريح النهار وقيل القطرب ما صغر من أولاد الكلاب..

وأَسْرَى[1] مِنْ «جُنْدب»[2]

وأَنْشَطَ مِنْ «ظَبْيٍ مُقْمِرٍ»[3]

وأَسْلَطَ مِنْ ذِئْبٍ[4] مُتَنَمِّرٍ[5]

وأَقْدَحْ زَنْدَ جَدِّكَ[6] بجِدِّكَ[7] .. واقْرَعْ بَابَ رَعْيِكَ[8] بسَعْيِك .. وَجُبْ كُلَّ فَجٍّ[9] .. ولِجْ[10] كُلَّ لُجٍّ[11] وانْتَجِعْ[12] كُلَّ رَوْض[13] .. وأَلْقِ دَلْوَكَ إِلى كُلِّ حوض[14] .. ولا تَسْأَمِ الطَّلَب[15] ..

---

(١) أى أكثر سرى.

(٢) هو ضرب من الجراد.

(٣) لأن الظباء يأخذها النشاط فى الليلة المقمرة فتلعب.

(٤) أصله فيما أورده حمزة أسلط من سفله وهى الذئبة..

(٥) أى غضوب كالنمر.

(٦) بفتح الجيم حظك.

(٧) بكسر الجيم اجتهادك.

(٨) أى طرق باب قوتك وعيشك.

(٩) أى اقطع كل طريق.

(١٠) أمر من الولوج وهو الدخول فى نسخه.

(١١) اللج معظم الماء.

(١٢) اقصد.

(١٣) أى كل مكان خصب.

(١٤) لفظ المثل ألقِ دلوك بين الدلاء يضرب فى الحث على الاكتساب مع الناس قال :

وليس الرزق من طلب حثيث ولكن ألق دولك فى الدلاء

تجـئ بمثلهـا طـورا وطـورا تجئ بحمـأة وقليـل مـاء

(١٥) أى لا تمل منه.

ولا تَملّ الدأب[1] .. فَقَدْ كَانَ مكْتُوباً عَلَى عَصَا شَيْخنَا «ساسان» : مَنْ طَلَب .. جلَب .. وَمَنْ جَال[2] نَال[3] ..

وَإيَّاكَ وَالكَسَل[4] فإنّهُ عُنْوانَ النُّحُوس .. ولَبوسُ ذوى البُوس[5] ومفْتَاحُ المَتْرَبَة[6] .. ولِقَاحُ المَتْعَبَة[7] .. وشِيمَةُ العَجَزَة[8] الجَهَلَة .. وشِنْشِنَةُ[9] الوُكَلَة التُّكَلَة[10] ..

وما اشْتَار العَسَل[11] .. مَن اخْتَارَ الكَسَل .. ولا مَلأ الرّاحَة[12] مَن اسْتَوطَأَ الرَّاحَة[13] .. وَعَلَيْكَ بالإقْدَام[14] .. ولَوْ عَلَى الضرْغَام .. فَإنّ جَراءَةَ الجَنَان[15] .. تَنطِقُ اللّسَان .. وتُطْلِقُ العِنَان[16] .. وَبهَا تُدْرِكَ الخُطوَة[17] ..

---

(١) الجد فى الأمر والإقبال عليه مع المواظبة.

(٢) جال : تحرك وسعى..

(٣) أصاب مطلوبه..

(٤) الفتور والتوانى..

(٥) أى لباس أهل الشدة والعناء..

(٦) شدة الفقر..

(٧) أى نتيجتها مصدر لقحت الناقة إذا علقت أو بالكسر جمع لقحة وهى الحلوب.

(٨) أى سجية الكسلة..

(٩) عادة وطبيعة..

(١٠) رجل وكلة تكلة بمعنى..

(١١) أى ما اقتطفه وجناه.

(١٢) أى الكف.

(١٣) أى عدها وطيئة لينة والراحة ضد التعب.

(١٤) بالكسر الجراءة والدخول فى المخاوف.

(١٥) كجريال هو الأسد.

(١٦) شجاعة القلب.

(١٧) أى تجعل صاحبها مطلق العنان يفعل كيف يشاء.

وَتَمْلكُ الثَّرْوَةَ[1] .. كما أنَّ الخَوَرَ[2] صِنوُ الكَسَلِ[3] .. وَسَبَبُ الفَشَلِ[4] وَمَبْطَأَةٌ للعمَلِ[5] .. ومَخْيَبَةٌ للأَمَلِ ..

ولِهَذا قيلَ فى المَثَل .. مَنْ جسَرَ[6] أَيْسَرَ[7] .. وَمَنْ هَابَ .. خَابَ[8] ..

ثم ابْرُز يا بُنَىَّ في بُكُور «زَبِى زَاجِر»[9] ..

وحَزَامةِ «أبى الحارِث»[10]

وجرأة «أبى قُرَّة»[11]

وَخَتْلِ «أبى جَعْدَة»[12]

---

(١) بلوغ المنزلة.

(٢) الغنى.

(٣) الضعف والجبن.

(٤) أى أخوه.

(٥) هو الضعف والحيرة والذل.

(٦) أى خصلة تؤخر المرء عن مرامه.

(٧) أى قوى قلبه.

(٨) أى استغنى. أى لحقته الخيبة يريد أن ضعف النفس يجيب الأمل والرجاء فقد قال معاوية رضى الله عنه الهيبة مقرون بها الخيبة قال أهل النظ ينبغي للإنسان أن يكون فيه عشر خصال من أخلاق الطير والبهائم سخاة والديك وأمانة الحمامة وصمت الباز وحذر الغراب وحزن الطاوس وبصيرة الهدهد وأنفة الفهد وصدق الفرس وصبر الجمل وود الكلب.

(٩) كنية الغراب وبكوره ومبادرته قبل غيره من الطيور.

(١٠) كنية الحرباء لأنه يكون أبداً قرير العين وحزامته أنه لا يترك غصن شجرة حتى يمسك آخر.

(١١) مكر.

(١٢) كنية الذئب ولهذا قيل فيمن حسن اسماً وقولاً وقبح فعلاً أبو جعدة..

وحِرْص «أبى عُقْبَة»[1]..

ونَشَاطِ «أبى وثَّاب»[2]..

ومكْر «أبى الحُصيّن»[3]..

وصَبْرِ «أبى أيُّوب»[4]..

وتَلَطُّفِ «أبى غزوان»[5]..

وتَلَوُّن «أبى برَاقِش»[6]..

وحِيلَة «قَصِير»[7]..

---

(١) كنية الخنزير وقيل لبرزجمهر : ثم بلغت ما بلغت قال : ببكور كبكور الغراب، وحرص كحرص الخنزير، وصبر كصبر الحمار. وقيل إن هذه الكنية لخنزير البحر وهو دابة أكبر من الكلب من دواب الماء يأكل الآدمى..

(٢) كنية الظبى.

(٣) كنية الثعلب وقد اشتهر بالمكر.

(٤) كنية الجمل ويقال له ذو وضاغط أيضاً قال :

أصبر من ذى ضاغط معرك   القى بوانى زوره للمبرك / لأنه لا يوجد أصبر منه على مشاق الحمل والأسفار.

(٥) كنية الهر ومن تلطفه أنه فأشر الناس وصار من جملتهم.

(٦) كنية طائر يشبه القنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود إذا نفش ريشه تلون.

(٧) من هنا إلى قوله أبى العيناء لا يوجد فى بعض النسخ وهى كنى رجال مشهورين بتلك الصفات المذكورة ولكل منهم أخبار مشهورة يقدم ذكر أطراف منها فى المقامة التبريزية وغيرها.

ودَهَاءِ «عَمْرو» ..

ولُطْفِ «الشَّعْبى» ..

واحْتمالِ «الأَحْنَف» ..

وفِطْنَةِ «إيَاس» ..

وَمَجَانَةِ «أبِى نُواس» ..

وَطَمَعِ «أَشْعَب» ..

وعارِضَةِ «أبى العَيْنَاء» ..

واخْلُب[1] بِصَوْغِ اللِّسَان[2] ..

واخْدَعْ بِسِحْرِ البَيَان[3] ..

وارْتَد السُّوقَ قَبْلَ الْجَلْب[4] .. وامْتَرِ[5] الضَّرْعَ قَبْلَ الحَلْب .. وسَائِلِ الرُّكْبَانَ قَبْلَ الْمُنْتَجع[6] .. ودَمِّثْ لِجَنْبِكَ قَبْلَ الْمُضْطَجَع[7] .. واشْحَذْ

---

(١) أى اخدع.

(٢) كناية عن تنميق الكلام وتحسينه.

(٣) الفصاحة..

(٤) الجلب ما يجلب للبيع فى الأسواق ورواد السوق وارتيادها اختبرها كأنه يقول اختبر الأسعار قبل شراء البضاعة ومثله فى المعنى قوله دمث لجنبك قبل النوم مضطجعا.

(٥) أمر من الامتراء وهو كالمرى مسح الحالب الضرع لتدر..

(٦) يعنى إذا أرت الارتحال إلى نجعة وهى محل الكلا والمرعى فتساءل عنها مع الركبان الذين يسافرون المنتجات قبل أن تذهب إليها..

(٧) أى مهد ووطئ لجنبك قبل أن ترقد..

بَصيرتَكَ[١] للْعِيافَةِ[٢] .. وانْعِم نَظَرَكَ[٣] للْقِيَافَةِ[٤] .. فإنّا مَنْ صَدَقَ تَوَسُّمُه.. طالَ تَبَسُّمُه[٥] .. وَمَنْ أخْطَأَتْ فِراسَتُهُ .. أبْطَأَتْ فَرِيسَتُهُ[٦]..

وكُنْ يَا بُنَيَّ خَفيفَ الكَلِّ[٧] .. قَليلَ الدَّلال[٨] .. رَاغِباً عَنِ العَلِّ[٩] .. قَانِعاً مِنَ الوَبْلِ[١٠] بالطَّلِّ[١١] .. وَعَظِّمْ وَقْعَ الحَقِير[١٢].. واشْكُرْ عَلَى النَّقِيرِ[١٣] .. ولا تَقْنَطْ[١٤] .. عِنْدَ الرَّد .. ولا تَسْتَبْعِدْ رَشْحَ الصَّلْد[١٥]..

ولا تيأسْ مِنْ رَوْحِ اللهِ[١٦]..

---

(١) أى حدد عقلك وفهمك..

(٢) هى زجر الطير للفأل..

(٣) أى امنعه وأحسن التأمل.

(٤) مصدر قاف والقائف هو الذى يعرف الآثار ويلحق الأبناء الآباء.

(٥) يعنى أن من كان كلما توسم أمراً وتفرس فيه جاء على وفق ما توسم لشدة فطنته كان دائم التبسم إذ هو يكون دائماً على حذر مما يكره ظافراً بمقصوده.

(٦) أى تأخرت وفريسة الأصد صيده والمراد بها هنا مطلق الفائدة.

(٧) أى لا تتثاقل.

(٨) هو الدلال والدلالة الغنج.

(٩) مصدر عله اذا سقاه ثانية.

(١٠) هو المطر الكثير.

(١١) هو المطر الضعيف.

(١٢) وفى نسخة الخطير ولا معنى لها إذ الخطير هو العظيم ولا معنى لتعظيم العظيم.

(١٣) هو النقرة التى فى ظهر النواة، والمراد شكر لمن أحسن إليك ولو بشىء قليل جدا.

(١٤) بفتح النون وكسرها أى لا تيأس.

(١٥) أى لا تعده بعيداً وهو خروج الماء من الحجر الأصم الأملس الذى يصلد أى يبرق.

(١٦) أى من رحمته.

« إِنَّهُ لا يَيْـأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا القَوْمُ الكَافِرُون»[1] ..

وَإِذَا خُيِّرْتَ بَيْنَ ذَرَّةٍ[2] مَنْقُودَةٍ[3] .. وَدُرَّةٍ مَوْعُودَةٍ .. فَمِلْ إِلَى النَّقْدِ .. وَفَضِّلِ اليَوْمَ عَلَى الغَدِ ..

فَإِنَّ لِلتَّأْخِيرِ آفَاتٍ .. وَلِلْعَزَائِمِ[4] بَدَوَاتٍ[5] .. وَلِلْعِدَاتِ[6] مُعَقِّبَاتٍ[7] .. وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّجَازِ[8] عَقَبَاتٌ وَأَيُّ عَقَبَاتٍ..

وَعَلَيْكَ بِصَبْرِ أُولِي العَزْمِ[9] .. وَرِفْقِ ذَوِي الْحَزْمِ[10] .. وَجَانِبْ خُرْقَ المُشْتَطِّ[11] .. وَتَخَلَّقْ بِالْخُلُقِ السَّبْطِ[12] ..

وَقَيِّدِ الدِّرْهَمَ بِالرَّبْطِ .. وَشُبِ[13] البَذْلِ[14] بِالضَّبْطِ[15] ..

---

(1) سورة يوسف ـ الآية ٨٧.

(2) يعنى أقل شىء.

(3) أى حاضرة.

(4) جمع العزيمة وهى القصد إلى لا شيء.

(5) بداله فى هذا الأمر بداء أى ظهر له رأى آخر وهو ذو بدوات اذا كان لا يستقر على رأى.

(6) جمع العدة بمعنى الوعد.

(7) أى عاطفات وصارفات.

(8) وفى نسخة البحز وهو قضاء الحاجة والفراغ منها..

(9) هم من الرسل الذين عزموا على أمر الله فيما عهد اليهم أو هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

(10) أى الضابطين لأمورهم الآخذين فيها بالثقة.

(11) أى اترك غلظ المجاوز الحد أو غيظ اللجوج.

(12) السهل.

(13) أى اخلط.

(14) العطاء الذى تبذله أى تخرجه من حزرك.

(15) أى بالحبس قال أبو حاتم الدارى دخلت مع أبى مدينة بالشام فرأيت فى بعض طرقها رجلاً يلعب بحية ويقول من يعطينى درهماً وأنا أبتلع هذه الحية فقال لى والدى يا بنى اضبط دراهمك فمن أجلها تبتلع الحيات..

ولا تجعَلْ يدَكَ مغْلُولَةً[1] إلَى عُنُقِكَ ولا تُبْسطْهَا كُلَّ الْبَسْط[2] ..

وَمَتَى نَبَا بكَ بَلَد[3] .. أَوْ نَابَكَ فيه كَمَد[4] .. فَبُتَّ[5] منْهُ .. أَمَلَكَ .. وَاسْرَحْ عَنْهُ جَمَلَكَ[6] .. فخيْرُ البلاد ما جملك .. ولا تَسْتَثْقلَنَّ الرِّحْلَةَ[7] ..

ولا تكْرَهَنَّ النُّقْلَةَ[8] .. فَإِنَّ أعلام شَرِيعَتنا[9] .. وأشياخَ عَشيرَتنا .. أجمعُوا عَلَى أَنَّ الحرَكَةَ بَرَكَةٌ[10] .. والطَّرَاوَةَ[11] سُفْتَجَةٌ[12] وزَرَوْا[13] عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الغُرْبَةَ .. كُرْبَة .. والنُّقْلَة .. مُثْلَةٌ[14] .. وقَالوا هِيَ تَعِلَّةٌ[15] مَنِ اقْتَنَعَ

(١) مغلول اليد كناية عن البخيل.

(٢) سورة الإسراء = آية ٢٩ ـ أى لا تكن مفرطاً فى الجود.

(٣) أى جفا.

(٤) حزن مكتوم.

(٥) أى اقطع.

(٦) وفى نسخة ما حملك أى ما وفى بمعاشك.

(٧) أى الارتحال.

(٨) أى الانتقال.

(٩) أى مشايخها.

(١٠) يحكى أنه كان مكتوباً على عصا ساسان الحركة بركة والتوانى هلكة والكسل شؤم والأمل زاد العجزة وكلب طائف خير من أسد رابض، ومن لم يحترف لم يعتلف.

(١١) هى الغضاضة والنشاط.

(١٢) هى كلمة معربة كثر استعمالها حتى قيل الوجه الطرى سفتجة أى امارة على قضاء الحاجة ومعنى السفتجة ما أتاك بغير تكلف ولامشقة وعند أهل العراق السفتجة أن يعطى الرجل صاحبه دراهم ثم يأخذ منه فى بلد آخر كانت كالسفتجة.

(١٣) أى عابوا.

(١٤) أى عقوبة.

(١٥) أى تعلل.

بالرَّذيلَة[1] .. وَرَضيَ بالْحَشَف[2] .. وَسُوءِ الكيلَة .. وَإذَا أزْمَعْت[3] عَلَى الاغْتراب[4] .. وأَعْدَدْتَ لَهُ العَصاَ وَالجِرَاب .. فَتخيَّرِ الرَّفيق المُسْعد[5] .. من قَبْل أَنْ تَصْعد[6] فإن الجَار .. قَبْلَ الدَّار .. والرَّفيق .. قَبْلَ الطَّرِيق ..

خُذْهــا إلَيــكَ وَصيَّــة	لم يُوصِها قَبْلِي أحَدْ
غَـرَّاء[7] حـاوِيـةٌ خَـلا	صات[8] المَعَانِي والزُّبَدْ[9]
نَقَّحْتُهـا[10] تَنْـقِيــحَ مَــنْ	مَحَضَ[11] النَّصِيحَةَ واجْتَهَدْ
فَـاعْـمَـلْ بِمـا مَـثَّـلْـتُـهُ	عَمَلَ اللَّبيب أخِي الرَّشَدْ
حتَّى يَقُولَ النَّاسُ هَذَا الشِّبْلُ[12]	مِــنْ ذَاكَ الأَسَـــدْ

ثُمَّ قَالَ : يَا بُنَيَّ قَدْ أَوْصيْت.. واسْتَقْصَيْت .. فَإِن اقْتَدَيْتَ فَوَاهاً لَكَ[13].. وإن اعْتَدَيْتَ فَآهاً مِنْكَ[14] .. واللهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ .. وأَرْجُو أن لا تُخْلِفَ ظَنِّي فِيكَ..

---

(١) هى الخصلة الدنيئة.

(٢) هو أرد التمر فى المثل أحشفا وسوء كيلة يضرب لمن يجمع بين خصلتين قبيحتين.

(٣) أى عزمت.

(٤) أى الغربة كالتغرب.

(٥) أى المساعد المعين.

(٦) أى تذهب فى الأرض مستقبلاً أرضاً مرتفعة.

(٧) أى بيضاء.

(٨) خلاصة كل شيء أحسنه.

(٩) كالذى قبله.

(١٠) أى نقيتها.

(١١) أى أخلص.

(١٢) هو ولد الأسد.

(١٣) أى ما أحسن فعلك.

(١٤) أى ما أقبحه.

فقال له ابنُهُ : يا أَبَة لا وُضِعَ عَرْشُك[1] .. ولا رُفِعَ نَعْشُك[2] .. فَلَقَد قُلْتَ سَدَدًا[3] .. وَعَلَّمْتَ رَشَدًا[4] .. وَنَحلْتَ[5] مَا لَمْ يَنْحَلْ وَالِدٌ وَلَدًا .. ولئِنْ أُمْهِلْتَ[6] بَعْدَكَ .. فلا ذُقْتُ فَقْدَكَ .. فَلأَتَأَدَّبَنَّ بآدابكَ الصَّالِحَةَ .. وَلأَقتَدِيَنَّ بآثَارِكَ الوَاضِحَة .. حتَّى يُقَالَ مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بالبَارِحَةِ[7] .. والغَادِيَة[8] بالرَّائحة[9] ..

فاهتزَّ[10] «أَبو زيدٍ» لِجَوَابِهِ وابْتَسَم .. وَقَالَ مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمْ[11] ..

قال «الحارثُ بنْ همام» : فأُخبرتُ أَنْ بَني «ساسان» .. حينَ سَمِعوا هذِى الوَصَايا الحسَان .. فَضَّلُوها على وَصَايا «لُقْمَان».. وَحَفظُوهَا كما تُحْفَظُ أُم القُرْآن[12].. حتَّى إنَّهُمْ لَيَرَوْنَهَا إلَى الآن .. أَوْلَى مَا لَقَّنُوهُ الصِّبْيان .. وانْفَعَ لَهُمْ مِنْ نحلَةِ العقْيَان[13] ..

---

(١) وضع العرش وهو سرير الملك كناية عن ذهاب الدولة.
(٢) أى ولا حملت جنازتك.
(٣) أى صواباً مستقيماً.
(٤) أى هداية، ويوجد فى بعض النسخ هنا وبينت لى سؤددا.
(٥) أى أعطيت.
(٦) يعنى عشت.
(٧) هذا مثل يضرب للمتشابهين وأصله من قول طرفة

كل خليل كانت خاللته   لا ترك الله له واضحه
كلهم أروغ من ثعلب   ما أشبه الليلة بالبارحه

والواضحة هى الأسنان التى تبدو عند الضحك..
(٨) سحابة الغداة.
(٩) هي سحابة المساء.
(١٠) أى سر وفرح.
(١١) مثل يضرب للولد إذا كان على شاكلة أبيه خَلقاً وخُلُقاً والمعنى أنه من أشبه أباه فما ظلم أمه بتهمة ولا ريبة أو ما ظلم أباه حتى يظن بأمه السوء أو ما ظلم الناس حيث لم يشبه أحداً منهم فيتهم بأنه زنى بأم الولد المذكور أى ليس أحد أولى به منه بأن يشبهه.
(١٢) هى فاتحة الكتاب.
(١٣) أى عطية الذهب.

أغرب عجائب

الـوصـايـــا

* أغرب عجائب الوصايا:

وصية .. خالية من حَرْف الألف

* أوصى الإمام «عَلِيٌّ بن أبِي طالب» - (٢٣ ق.هـ - ٤٠ هـ=٦٠٠-٦٦١م) - في إحدى خطبه وصية خالية من حرف الألف، جاء فيها :

«... وذكَّرتكُم بسنَّة نبيِّكُمْ .. فعليكُم برهْبَة تَسْكُنُ قُلُوبكُمْ .. وَخَشْيَةٍ تُذْرِى دُمُوعَكُمْ .. وَتَقيَّةٍ قَبْلَ يَوْمٍ يُبْلِيكُمْ .. وَيَذْهِلُكُمْ يوم يَفُوزُ فيهِ مَنْ ثَقُلَ وَزْن حَسَنَتِهِ .. وَخَفَّ وَزْنُ سيِّئَتِه ..

« وَلْتكُنْ مَسْأَلَتكُمْ وَتَملُّقكُمْ مَسْأَلَةَ ذُلٍّ وَخُضُوعٍ .. وَشُكْرٍ وَخُشُوعٍ .. بتَوْبَةٍ وَنُزُوعٍ.. وَنَدمٍ وَرُجُوعٍ .. وَلْيغْتَنِمْ كُلُّ مُغْتَنِمٍ منْكُمْ صحَّتَهُ قَبْلَ سقَمه .. وَشيبَته قَبْلَ هَرَمه .. وَسَعَتَهُ قَبْلَ فَقْره .. وَفَرْغَتَهُ قَبْلَ شُغْله .. وَحَضَرَهُ قَبْلَ سفَره .. قَبْلَ تَكبُّرٍ وَتَهرُّمٍ .. وَتَسقُّمٍ يَملُّهُ طَبِيبُهُ .. وَيُعْرِضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ .. وَيَنْقَطِعُ عُمْرُهُ .. وَيَتَغَيَّرُ عَقْلُهُ.

« ثُمَّ قِيلَ : هُوَ مَوْعُوكَ .. وَجِسْمُهُ مَنْهُوك .. ثُمَّ جَدَّ فِي نَزْعٍ شَدِيدٍ .. وَحَضَرَهُ كُلُّ قَرِيبٍ وَبَعيدٍ .. فَشَخَصَ بَصَرُهُ .. وَطَمَعَ نَظَرُهُ .. وَرَشَحَ جَبِينَه .. وَعَطَفَ عَرِينُهُ .. وَسَكَنَ حَنِينُهُ .. وَحَزَنَتْهُ نَفْسُهُ .. وَبَكَتْهُ عِرْسُهُ» ..

* * *

وصية ابن عطاء .. بدون حرف الراء

* وأوصي «واصل بن عطاء» ـ (٨٠هـ ـ ١٣١هـ) ـ وصيته ضِمْنَ خُطبة خالية من حرف الراء .. جاء فيها :

ـ «فَصلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد أفْضَلَ وأزْكَى وأتَمَّ وَأنْمَى وَأجَلُّ وَأعْلَى صَلاةٍ صَلاَّهَا عَلَى صَفْوَة أنْبيائِه، وَخَالِصَة ملائكتِه، وأضْعَافَ ذَلِكَ، إنَّهُ حَميدٌ مَجيد..

« أُوصِيكم عِبادَ اللهِ مَعَ نَفْسي بتَقْوَى الله، والعَمَلَ بطَاعَته والمُجَانَبَة لمَعْصِيته .. وَأحضُّكم على ما يُدْنيكُم مِنْهُ .. ويُزْلفكُمْ لَديه .. فإنَّ تَقْوى الله أَفْضَلَ زَادٍ، وأحْسَن عاقبة في معادٍ .. ولا تُلْهِينَّكُم الحَياة الدنيا بزينتها وخُدَعها، وفَوَاتن لَذَّاتها وَشَهوات آمالها .. فإنّها مَتاعٌ قليل، ومُدَّة إلى حين، وكلُّ شيءٍ منها يَزُول .. فكَمْ عَانيتُم من أعاجيبها، وكم نَصَبَتْ لكُمْ مِنْ حَبَائلِهَا، وَأهْلَكَتْ مَنْ جَنَحَ إليْها، واعتمد عليها .. أذاقَتْهُمْ حُلْواً، وَمَزَجَتْ لَهُمْ سُماً..

« أيْنَ المُلُوك الَّذينَ بَنَوا المدائن، وشَيَّدُوا المصانع، وأوثقوا الأبواب، وكاثفوا الحُجَّاب، وَأعَدُّوا الجياد، وَمَلَكُوا البلاد، واستخدموا التِّلاد؟ .. قَبَضَتْهُمْ بمَحَمَلِهَا[1]، وطَحَنَتْهُمْ بكَلْكَلِهَا[2]، وَعَضَّتْهُمْ بأنيابها .. وعاضَتْهم من السَّعَةَ ضيْقاً، وَمِنَ العِزَّةِ ذُلاً، ومِنَ الحَيَاة فَنَاءً.. فَسَكَنُوا اللُّحُود[3] ..وَأكَلَهُم

(١) المحمل : سقان على البعير، يحمل فيها العديلان، والمراد : احتوت عليهم.

(٢) الكلكل : الصدر.

(٣) القبور..

الدُّود.. و«أصبَحُوا لا يُرَى إلا مَسَاكِنَهُمْ»[1] .. ولَا تَجِدُ إلا مَعَالِمَهُمْ .. ولَا تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أحَدٍ، ولا تَسْمَعُ لَهُمْ نَبَّساً.

فَتَزَوَّدُوا عافاكُم اللهُ ـ فَإِنَّ أفْضَلَ الزَّاد : التَّقْوى .. واتَّقُوا اللهَ يَا أُولِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[2].

« جَعَلَنَا اللهُ وإيَّاكُم مِمَّنْ يَنْتَفِعُ بمَوَاعِظه، ويَعْمَلُ لحَظِّه وَسَعَادَته..وممن يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ .. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ[3].. إنَّ أحْسَنَ قَصَصِ المؤمنين، وأبلَغَ مواعظَ المُتَّقِين: كتَابُ الله، الزَّكيَّةُ آياتُهُ، والواضِحَةُ بيِّنَاتُه .. فإذا تُلِيَ عليكُم فأنصِتُوا إلَيْهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» !..

* * *

وصية .. بدون نقط

* من غريب الوصايا التى ليس فيها حرف واحد منقوط .. ومع ذلك فإنها سهلة جزلة .. وهى بعنوان :

«أحمد المسالك .. لكل سالك»

يقول الشيخ على محمد :

ـ «للوصول للسؤدد : حاولوا وطاولوا .. حاولوا الوصول للأمل، وطاولوا كرام الدول»..

---

(١) سورة الأحقاف ـ الآية ٢٥ .

(٢) سورة المائدة ـ الآية ١٠٠

(٣) سورة الزُّمر ـ الآية ١٨

«للوصول إلى العلاء : مَحِّصوا الآراء . وعادوا الأعداء. ووالوا الأوداء[١]» .

«وأدلوا مع أهل السؤود الدلاء. واطرحوا المراء. ودعوا الحسد والعداء .. واسلكوا مسلك الأوداء .. واعطوا لأهل الأطمار[٢] الكساء .. وأهل الأوداء الدواء .. وسهلوا العلم للدهماء[٣] .. وطهروا صدوركم .. وأحكموا أموركم .. وأعطوا الأعمال لأهلها .. وأوصلوا مصر لسؤلها» ..

«للوصول للأمل : دَعُوا الكسل .. اعملوا صالح العمل .. واسلكوا مسالك الأول» ..

«لإصلاح حالكم ومآلكم : اعملوا عمل أهل الإسلام .. أَحِلُّوا الحلال .. وحَرِّموا الحَرام .. وصِلُوا الأرْحام .. وأطعموا الطعام .. واهدوا السَلام .. وواسوا أهل الآلام» ..

«وأعطوا السائل .. وارحموا الأرامل .. وأووا العائل[٤] .. واهدوا الحائر .. وطهروا السرائر .. وأكرموا العلماء .. ووالوا الصلحاء .. ووِدّوا الكرام .. وداروا اللئام ..

« واعملوا للمعاد .. وواصلوا السهاد .. وداوموا الركوع .. وسِحُّوا الدموع.. وأدرعوا الورع .. واطرحوا الطمع .. ودَعُوا الهلع .. وراعوا العهود.. وأدوا الوعود .. وصوموا وصلّوا .. وعمّا هو محرّم .. أو مكروه ولّوا .. دَعُوا العمل لعمرو، وعمر .. واعملوا لله وحْدَهُ كما أَمَرْ .. وسارعوا للمكارم .. وواصلوا المراحم» ..

---

(١) الأوداء : أهل الود..

(٢) الأطمار : جمع طمر أى الثوب الخلق.

(٣) الدهماء : جماعة الناس.

(٤) العائل : الفقير.

«دعوا المكر والمحال[1] .. والعلو والإدلال .. واللهو والإهمال» ..

«دعوا الحرص والإمساك[2] وإلا عَراكُم، ودَهَمَكُم الهلاك» ..

«وحاصل الكلام : اسلكوا أحمد المسالك. ودَعُوا ما أوصل للمهالك» !!..

* * *

وصية «ابن سبعين»

* من وصايا «ابن سبعين الأشبيلى» ـ (٦١٣ـ٦٦٩) ـ هذه الوصية التى كتبها لأصحابه :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليكم حفظكم الله. حافظوا على الصلوات وجاهدوا النفوس فى اتباع الشهوات. وكونوا عباد الله أوّابين توّابين، واستعينوا على الخيرات بمكارم الأخلاق، واعملوا على نيل الدرجات السَّنيّة، ولا تغفلوا عن الأحكام السنية، وخلصوا مُخصَّص الأحوال الإلهية ومهملَها، وذوقوا مفصَّل اللذات الروحانية ومجملها، ولازموا المودّة فى الله بينكم. وافعلوا الخير، وأصلحوا ذات بينكم، وعليكم بالاستقامة على الطريقة، وقدموا فرض الشريعة على الحقيقة، ولا تفرقوا بينهما فإنهما من الأسماء المترادفة، واكفروا بالحقيقة التى فى زمانكم هذا، وقولوا عليها وعلى أهلها لعنة الله، فإنها حقيقة كما سُمى اللديغ سليما وأهلها يهملون حد الحلال والحرام، ويستخفون بأشهر الحج والصوم والأشهر الحُرُم «قاتلهم الله أنّى يُؤفكون»[3] . قد غَلَبَت عليهم أحكام

(١) المحال : الكَيْد.

(٢) الإمساك : البُخل.

(٣) سورة التوبة ـ الآية ٣٠

الجهل، وأكثروا من جمع الأعراض للولد والأهل، وحرموا مزية الرحمة والعون، وأسعفوا بسيرة «أبى جهل» و «فرعون». واعلموا أن القريب إلىَّ منكم من لا يخالف سنَّة أهل السُّنَّة، ويوافق طاعة من له العزَّة والمنَّة، ويؤمن بالحشر، والنار، والجنَّة، ويفضل الرؤية على كل نعمة، ويعلم أنَ الرضوان بعدها أصل كل رحمة، ويطلب الذات بعد الأدب مع الصفات والأفعال، ويغبط نفسه بالمشاهدة فى القوم والروح فى كامل الأحوال. وكل مخالف بأن منه التخلف والفساد، وإن كان من إخوانكم فاهجروه فى الله ولا تلتفتوا إليه ولا تُسلِّموا له فى شىء، ولا تسلِّموا عليه حتى يستغفر الله العظيم بحضور الكل منكم، ويرضى عن نفسه وحاله وعنكم، ويخرج عن صفاته المذمومة، ويترك نظام دعوته المحرومة وأنا أشهد الله أنى قد خرجت عن كل مخالف سخيف العقل واللسان، ولا نسبة بينى وبينه فى الدنيا ولا فى الآخرة. فمن زَلَّ قَدَمُه يستغفر الله ولا يخدعه قدَمُه. واغتبطوا بما أنتم عليه، فما فى العصر من يصل إليه، والقوى الذنب مِنكم لا تقبلوا له توبة إلا بحلق الرأس، ولبس الصوف، والوقوف من المغرب إلى العشاء الآخرة، والصمت.

ومن يسمع منكم من يتكلم القبيح فى التحقيق وأهله فازجروه واهجروه ووبخوه وذموه، وتغافلوا ولا تقبلوا بعد ذلك منه. واعلموا أنه لا حاجة لى فى السموات ولا فى الأرض، ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة، ولا فى الأمل المقدر ولا فى الكون المكون ولا فى النظام القديم، ولا فى التعلق الصرف، ولا فى الشأن المشار إليه، ولا فى الجسوم المقيدة، ولا فى الذوات المجردة، ولا فى الأعراض المبددة، ولا فى الكمالات الممتدة، ولا فى الحروف المعتدة إلا فى ذات الله، وفى ذات من صحبنى من أجله.

والسلام على من صلحت نسبته، واستقامت سُنته، ورحمة تعالى وبركاته!

* * *

* **ومن وصاياه أيضاً :**

من استقام في بدايته وحصّلها على وجهها، وظَفر بشروطها فى علمه وقوله وفعله وحاله، وفَعَل فيها ما ينبغى كما ينبغى على ما ينبغى فى الوقت الذى ينبغى ووافق الشرع والمعروف والعادة الجميلة، والعقل المسدد، وصبر على تكليف كل محترم عنده، وحفظ على شروطه كلها وتأدب مع أمره، وستر إشارتها بعبارتها، ومال بجملته إلى الشريعة، وبأمله إلى الحقيقة، وحدّث نفسه بما ذكر فى زمان العمل، وبالأمل فى حال السؤال، وسَكن بصيغة الأمر والنهى، وتحرك من أسفل البطالة بحضرة الجد وعالم الحد، وقطع عقاب المهلكات بالعوالم الثلاثة، وصمد على منازل الأبرار، ورتّب المنجية بالمقام الأعظم، وخرب نظام عادته، وكان من عباد الله الصالحين وحقق المقصود فى القُرب من ربّه، فإن الخير بيده فى طاعة رسوله، وشيخه، ومن يُدبّره ويجهزه ويزوده للّه وينبهه على مصالحه، ويحاسبه، ويعرفه بحسناته وسيئاته خليق أن يقال له مريد، بل ولىٌّ، بل سعيد، بل مدرك، بل وارث، بل خليفة بمعنى ما.

وكذلك هذا الأمر فى السلوك لكن بِذِكْرِ اللّهِ تعالى.

* * *

* **ومن وصاياه أيضاً :**

من طَلَبَ ظَفَر، ومن ظفر ربح، ومن ربح تأنس، ومن تأنس نشط، ومن نشط زاد طلبه، ومن زاد طلبه أخرج ما لم يقصده ولا يخطر له على قلب، وهو كماله الأخير. ومن حصل له كماله الأخير كان من السعداء، ومن كان من السعداء، اشتد طلبه، وزاد شوقه، وعاين الذوات، المجردة، وكشف له عالم الأمر، وطالع النظام القديم. ومن طالع النظام القديم، وقف طلبه من حيث عاداته وصفاته، وتحرك من حيث عاداته وصفاته، بجوهره. ومن خرج للفعل

من كل الجهات شاهد الذات القديمة بتخرب نظام الحادثة حتى من خبر خبرها، ومن إشارتها ومشيرها ووحّد وركب التوحيد بالسلب الموجد، وجميع ما يعلم سوى الواحد عز وجل. وقال : لا إله إلا الله بالقضية المستقبلة وهو بالماضية وطلبه بالحاضرة.

* * *

*** ومن وصاياه أيضاً :**

والذى يحتاج إليه أن تعلمه أن الأولى[1] أن يطلق العلم الإلهى على. معرفة الوَحْدة، وأن المقصود منه هو التوحيد، وأن الموحد هو صاحب النتيجة الماحية لكل معلوم فيه غير الوحدة المحضة، ولكل علم يدل على واحد منسوب ومشير إلى مشار أول. والذى يبلغ هذه الدرجة أدرك المقصود. والقدماء تكلموا فى الغاية الأول، ولم يفهموا الثانية، وخبطوا خبط عشواء. فنقول : إذا كان مراد المحقق والمحب الوصول إلى ما حقيقته أو أحبه وبقى بينه وبين محبوبه فصل مشترك، فلا وصل. والحب إذا حققته هو الاتحاد بالمحبوب. وزعمت أن المقصود من العلم الإلهى هو الفناء، والعجز عن درك الإدراك : إدراك عندهم، وأن الوجود المطلق هو الحق الذى إذا علمه المقيد[2] تلاشى، وذهب. وقسموا الوجود إلى مطلق ومقيد ومقدر، وأن الالتذاذ لايكون إلا بعد الاتصال. ولهم كلام طويل فى ذلك. وهم أقرب إلى الحق من القدماء، وإن كانت مقدمات القدماء علمية، فمقدمات الصوفية خلقية. فالمقصود عند الصوفية عند الأصفياء رضى الله عنهم هو الوجد والفناء، والسعيد عندهم بحسب ما يثبت له ذلك ويجده ... والعلم الإلهى عندهم الفكر. والذكر الأكبر. والتعرض لنفحات الرحمة الرحمانية وركود الحواس والعمل بما يرد على القلب.

وتصريف القوى الروحانية، وتخلية القلب من غير الله تعالى، وتحليته بذكره جل

---

(١) فى الأصل : لا ولا (!)

(٢) أى الوجود المقيد، أى الانسان.

وعلا، والجد فى العمل. فهذا مذهب الصوفية فى العلم الإلهى ما هو.

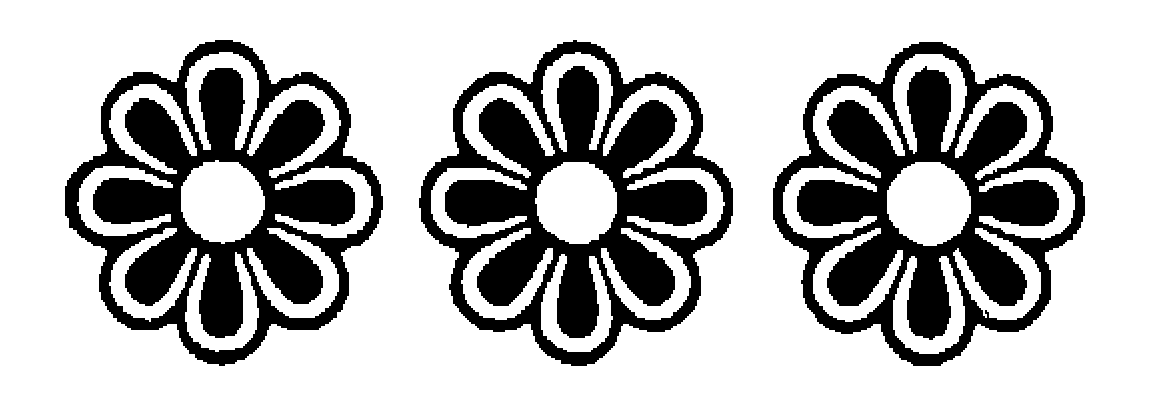
* * *

*** ومن وصاياه أيضاً :**

والعقل عند الأشعرى غير الروح، وعند الحكيم قولك عقل وقوة مجردة ونفس ناطقة أو روح أسماء مترادفة. والروح عند علماء الصوفية غير ما ذكر:

تارة يطلقونها على الحق الذى قامت به السموات والأرض، وقيل هى صفة من صفات الذات، وتارة يطلقون عليها الكلمة، وتارة القضية الجزئية ضابطة النظام فيها كان كل موجود ليست بفيض، وكانت متحدة تعم الأشياء، وليست باتحاد، وإن كانت ألزم للشىء من ذاته. وليست بحالة، وإن كانت جزء ماهية من الشىء المضاف إليها وإليها يشيرون حيث قولهم :

إن فى كل شىء سراً من سره : جمد فى الجمادات وظهر فى النبات وتحرك فى الحيوان، وأعلن فى الإنسان.



مراجع الكتاب

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ **للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلانى** ـ رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه (**محمد فؤاد عبد الباقى**) ـ أخرجه (**محب الدين الخطيب**) ـ راجعه (**قصى محب الدين الخطيب**) ـ دار الريان للتراث بالقاهرة ـ الطبعة الأولى **سنة** (**١٩٨٦م**).

(٢) المستدرك على الصحيحين فى الحديث ـ (**لأبى عبد الله محمد بن عبد الله**) المعروف بالحاكم النيسابورى ـ جـ٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) صحيح مُسْلم ـ للإمام (**أبى الحسين مُسلم بن الحجاج القشيرى**) **النيسابورى** ـ حقق نصوصه : (**محمد فؤاد عبد الباقى**) ـ دار الحديث ـ بالقاهرة.

(٤) تاريخ الخُلفاء ـ للإمام **الحافظ السيوطى** ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة (**١٩٦٩م**).

(٥) حلْية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ (**للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى**) ـ دار الفكر، المكتبة السلفية، بيروت، القاهرة.

(٦) وصايا العلماء عند حضور الموت ـ (**للحافظ أبى سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد الربعى**) ـ حققه ووضع فهارسه : (**صلاح محمد الخيمى**) ـ راجعه وخرج أحاديثه : (**الشيخ عبد القادر الأرناؤوط**) ـ دار

ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت.

(٧) هكذا تكلم الأولياء والصالحون ـ جمع وترتيب (**أحمد حسين كعكو**) ـ دار الإيمان ـ دمشق ـ سوريا ـ سنة (**١٩٩٠م**).

(٨) لقمان الحكيم ـ (**عبد الله كنون الحسنى**) ـ دار المعارف بمصر سنة (**١٩٦٩م**).

(٩) المستطرف الجديد ـ (**هادى علوى**) ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ لبنان ـ يناير **سنة** (١٩٨٠).

(١٠) محاضرات الأدباء ـ (**لأبى القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهانى**) ـ طبعات مختلفة (مصر ـ بيروت).

(١١) الدعاة من المتألهين والمتنبئين والمتمهدين ـ (**وجيه فارس الكيلانى**) ـ المطبعة العربية ومكتبتها بمصر **سنة ١٩٣٣م**.

(١٢) من منابع الفكر الإسلامى ـ (**أنور الجندى**) ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ (**القاهرة ـ سنة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م**).

(١٣) غرائب الخُطَب وعجائب الخُطباء ـ (**سيد صديق عبد الفتاح**) ـ (القاهرة ـ **سنة ١٩٩٣م**).

(١٤) حديقة القارئ ـ (**إبراهيم صالح**) ـ مطبعة أمين عبد الرحمن (**بالقاهرة**).

(١٥) عنوان البيان وبستان الأذهان ـ (**الشيخ عبد الله الشبراوى**) ـ المطبعة العلمية (**سنة ١٣١٢هـ**).

(١٦) أيام عشتها ـ (**عيسى متولى**) ـ المطبعة العربية الحديثة بالعباسية ـ (**القاهرة سنة ١٩٧٢م**).

(١٧) تاريخ الفلسفة ـ (**حنا أسعد فهمى**) ـ مكتبة العرب ـ (**بالقاهرة**) سنة (**١٩٢١م**).

(١٨) لباب الآداب ـ (**الأمير أسامة بن منقذ**) ـ دار الكتب العلمية (بيروت ـ لبنان **سنة ١٩٨٠م**).

(١٩) مختصر شرح الجامع الصغير ـ (**محمد عبد الرءوف المناوى**) للشيخ (**مصطفى محمد عمارة**) ـ دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى وشركاه ـ (**بالقاهرة سنة ١٩٥٤م**).

(٢٠) سلسلة ألف نكتة ـ (**عمر بن عبد العزيز**) ـ المكتبة الثقافية ـ (بيروت ـ لبنان).

(٢١) مع الخالدين ـ (**سمير شيخانى**) ـ دار المعارف بلبنان (بيروت ـ سنة **١٩٥٩**).

(٢٢) عجائب وغرائب ـ **سلسلة الضاحكون** ـ مكتبة المعارف ـ (بيروت ـ لبنان).

(٢٣) حكم وأمثال ونوادر من بطون التراث ـ (**سيد صديق عبد الفتاح**) مكتبة مدبولى (**بالقاهرة سنة ١٩٨٤م**).

(٢٤) كنوز الحكمة ـ (**السيد أبو ضيف المدنى**) ـ دار المعارف (بمصر سنة **١٩٨١م**).

(٢٥) الآداب ـ (**جعفر بن شمس الخلافة مجد الملك**) ـ صححه (**محمد أمين الخانجى**) ـ مكتبة الخانجى (**بالقاهرة سنة ١٩٣١م**)

(٢٦) فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب ـ (**لأبى بكر محمد بن خلف المرزبان**) ـ مكتبة الآداب ـ (**بالقاهرة**).

(٢٧) كشكول نشأت ـ (**صادق نشأت**) ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ (**بالقاهرة**).

(٢٨) نوابغ الشباب ـ (**أحمد قاسم جودة**) ـ دار الهلال (**سنة ١٩٣٨ ـ القاهرة**).

(٢٩) موسوعة الضحك العالمية ـ (**سمير شيخاني**) ـ مؤسسة عز الدين (بيروت ـ لبنان ـ **سنة ١٩٨٣م**).

(٣٠) صحافة الفكاهة وصانعوها ـ (د. **جمال الدين الرمادى**) سلسلة مذاهب وشخصيات ـ الدار القومية للطباعة والنشر (بالقاهرة).

(٣١) فصول فى الدين والأدب والاجتماع ـ (**زيد عبد العزيز فياض**) رابطة الأدب الحديث ـ (**القاهرة ١٩٧٣م**).

(٣٢) البخلاء ـ **الجاحظ** ـ تحقيق وتقديم : (**فوزى عطوى** ـ الشركة اللبنانية للكتاب) ـ (**بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٩٦٩م**).

(٣٣) أدب الجاحظ ـ (**حسن بن أحمد بن محمد السندوبى**) ـ (القاهرة ـ **سنة ١٩٣١م**).

(٣٤) حكم وأدب من مآثر العرب ـ (**عبد العزيز محمد الأحيدب**) ـ مطابع الإشعاع ـ تهامة للنشر والمكتبات ـ الطبعة الثانية (**سنة ١٩٨٣م**).

(٣٥) أذكياء الأطباء ـ (**الخطيب الشيخ محمد رضا الحكيمى**) ـ منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ـ (**بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٩٨٨م**).

(٣٦) معجم أعلام الفكر الإنسانى ـ تصدير : (د. **إبراهيم مدكور**) الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ (**القاهرة ـ سنة ١٩٨٤م**).

(٣٧) بلاغة الكُتّاب فى العصر العباسى ـ (د. **محمد نبيه حجاب**) ـ المطبعة الفنية الحديثة ـ (**القاهرة ـ سنة ١٩٦٥م**).

(٣٨) مواسم الأدب وآثار العجم والعرب ـ (**للسيد جعفر بن السيد محمد البيتى العلوى**) ـ على نفقة أحمد ناجى الجمالى، ومحمد أمين الخانجى الكُتْبى ـ الطبعة الأولى (**١٣٢٦هـ ـ القاهرة**).

(٣٩) التُراث والمعاصرة ـ (**د. أكرم ضياء العمرى**) ـ سلسلة كتاب الأمة ـ ربيع الآخر سنة (**١٤٠٦هـ ـ الدوحة ـ قطر**).

(٤٠) الإمامة والتبصرة من الحيرة ـ (**للشيخ الامام أبى الحسن على بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمى**) ـ حققه : (**السيد محمد رضا الحسين**) ـ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ (بيروت ـ الطبعة الأولى ـ **سنة ١٩٨٧م**).

(٤١) المعمرون والوصايا ـ (**لأبى حاتم السجستانى**) ـ تحقيق : (**عبد المنعم عامر**) ـ دار إحياء الكتب العربية ـ (**بالقاهرة سنة ١٩٦١م**).

(٤٢) النكت والطرائف ـ (**عبد العزيز الأحيدب**) ـ مطابع مؤسسة الجزيرة ـ (الرياض ـ الناصرية ـ سنة ١٣٩٠هـ).

(٤٣) لسان العرب ـ (**ابن منظور**) ـ دار المعارف ـ (**القاهرة**).

(٤٤) روض الرياحين فى حكايات الصالحين ـ (**للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى اليمنى**) ـ مؤسسة عماد الدين ـ **قبرص**.

(٤٥) طرائف الأطباء ـ جمع : (**راجى عباس التكريتى**) ـ مكتبة المثنى ـ (ببغداد ـ **سنة ١٩٧٩م**).

(٤٦) المختار من نوادر الأخبار ـ (**للشيخ أبى عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد المقرى**) ـ تحقيق: (**د. أنور أبو سويلم**) ـ مؤسسة الرسالة ـ دار عمار ـ (**بيروت ـ سوريا**) ـ الطبعة الأولى ـ (**سنة ١٩٨٦م**).

(٤٧) القوى الخفية ـ (**أنيس منصور**) ـ المكتب المصرى الحديث ـ (القاهرة ـ **سنة ١٩٨٢م**).

(٤٨) شرح نهج البلاغة ـ (**ابن أبى الحديد**) ـ مكتبة الحياة ـ (**بيروت ـ سنة ١٩٦٣م**).

(٤٩) حصاد الفكر ـ (**محمد العزب موسى**) ـ دار المأمون للطباعة والنشر ـ (**بالقاهرة ـ سنة ١٩٨٣م**).

(٥٠) بايرون ـ (**أندريه موروا ـ القاهرة**).

(٥١) صفحات خالدة من الأدب الألماني ـ نقلها إلى العربية : (**د. مصطفى ماهر** ـ دار الصياد ـ **بيروت ـ سنة ١٩٧٠م**).

(٥٢) مدونة الصحافة العربية ـ إعداد : (**د. يوســـف ق. خورى**) تحرير : (**على ذو الفقار شاكر**) ـ معهد الإنماء العربي ـ (**بيروت ـ لبنان** ـ الطبعة الأولى ـ **سنة ١٩٨٥م**).

(٥٣) ١٠٠٠ شخصية عظيمة ـ إعداد : (**بلانتاجيت سومرسيت فراى**) ترجمه عن الإنجليزية : (**د. مازن طليمات**) ـ دار طلاس (**دمشق ـ سنة ١٩٨٨م**).

(٥٤) سَمْط الدُّر ـ (**على ابراهيم محمد الدشناوى**) ـ مطبعة العلوم (**القاهرة**).

(٥٥) علىّ : إمام الأئمة ـ (**أحمد حسن الباقورى**) ـ مكتبة مصر (بالقاهرة) .. **سنة (١٩٨٥م)**.

(٥٦) الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ـ (**الشيخ أحمد الإسكندرى، الشيخ مصطفى عنانى**) ـ مطبعة المعارف بمصر ـ الطبعة الرابعة ـ **سنة (١٩٢٤م)**.

(٥٧) فن الخطابة وتطوره عند العرب ـ (**إيليا حاوى**) ـ دار الثقافة (**بيروت ـ لبنان**).

(٥٨) المختار من طرائف الأمثال والأخبار ـ (**نبيه الداموري**) ـ دار الكتاب اللبناني ـ (**بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٩٨٢م**)..

(٥٩) الذخائر والعبقريات ـ (**عبد الرحمن البرقوقى**) ـ مطبعة الاستقامة ـ (**القاهرة ـ سنة ١٩٤١م**).

(٦٠) الحقيقة أغرب من الخيال ـ (**أندره كسبار**) ـ تعريب : (**توما يوسف طحان**) ـ المكتبة الشرقية ـ (**بيروت ـ لبنان**).

(٦١) أخبار عجيبة ونوادر طريفة جداً ـ (**سعد القاضى**) ـ المركز العربى للنشر والتوزيع ـ (**بالإسكندرية**).

(٦٢) الإنسان ـ (**حسين الديب**) ـ مطبعة النصر ـ (**بمصر ـ ديسمبر سنة ١٩٣٢م**).

(٦٣) المجلة الموسيقية ـ **العدد ٢٨** ـ (أبريل سنة ١٩٧٦م).

(٦٤) غرائب وعجائب النساء فى التاريخ القديم والحديث ـ (**سيد صديق عبد الفتاح**) ـ مكتبة مدبولى ـ (**بالقاهرة**).

(٦٥) أغرب عجائب المرأة فى العالم القديم والحديث ـ (**سيد صديق عبد الفتاح**) ـ دار الكتاب العربى ـ (**سورية**).

(٦٦) غرائب من العالم ـ (**وليد ناصيف**) ـ دار الكتاب العربى ـ (**سورية**).

(٦٧) كرم على درب ـ (**ميخائيل نعيمة**) ـ (بيروت ـ لبنان).

(٦٨) كشكول النوادر والطرائف والنكت ـ **مصر**.

(٦٩) العظماء مائة أعظمهم «محمد رسول الله» ـ ترجمة (**أنيس منصور**) ـ المكتب المصرى الحديث ـ (**القاهرة ـ سنة ١٩٨١م**).

(٧٠) معجم الفلاسفة ـ إعداد : (**جورج طرابيشى**) ـ دار الطليعة ـ (بيروت ـ **مايو سنة ١٩٨٧م**).

(٧١) الموسوعة العربية الميسرة ـ جـ١، ٢ ـ (**محمد شفيق غربال وآخرون**) ـ دار نهضة لبنان للطبع والنشر ـ (**بيروت ـ سنة ١٩٨١م**).

(٧٢) حكايات عن الحب ـ (**زينب صادق**) ـ سلسلة الكتاب الذهبى ـ روزاليوسف ـ (**القاهرة ـ أغسطس سنة ١٩٧١م**).

(٧٣) التاريخ الصغير ـ (**سمير شيخانى**) ـ مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ـ (**بيروت ـ سنة ١٩٨٣م**).

(٧٤) طرائف وغرائب من العالم ـ إعداد : (**عصام الشيخ**) ـ دار الإيمان ـ (**بيروت ـ سنة ١٩٨٥م**).

(٧٥) المرأة وآراء الفلاسفة ـ (**حسين فوزى**) ـ طبعات مختلفة ـ (**القاهرة**)..

(٧٦) اخترتُ لك ـ (**السيد هاشم النحاس**) ـ دار الطباعة الحديثة (**بالقاهرة**).

(٧٧) أفكار للبيع ـ (**على أمين**) ـ كتاب اليوم ـ (**القاهرة**).

(٧٨) الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ـ (**زينب فواز العاملى**) ـ المطبعة الأميرية (**ببولاق المحمية ـ سنة ١٣١٢هـ**).

(٧٩) اتنين .. اتنين ـ (**أنيس منصور**) ـ دار الشروق ـ (**القاهرة ـ سنة ١٩٨٨م**).

(٨٠) على رقاب العباد ـ (**أنيس منصور**) ـ دار الشروق ـ (**القاهرة سنة ١٩٨٣م**).

(٨١) التاريخ يصنعه المرضى ـ (**زهيرة البيلى**) ـ دار المعارف ـ (**بمصر ـ سنة ١٩٧٩م**).

(٨٢) وكانت الصحة هى الثمن ـ (**أنيس منصور**) ـ دار الشروق (**القاهرة ـ سبتمبر سنة ١٩٧٢م**).

(٨٣) المتفوقون (١٩٨٤م) ـ إعداد : (**سمير عطا الله**) ـ دار عطا الله للنشر، ومؤسسة نوفل ـ (**بيروت ـ يناير سنة ١٩٨٤م**).

(٨٤) الساعات الأخيرة ـ (**طاهر الطناحى**) ـ سلسلة كتاب الهلال ـ العدد ١٣٠ ـ **يناير سنة ١٩٦٢** ـ دار الهلال ـ القاهرة).

(٨٥) المخلاة ـ (**للشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملى**) ـ نسقه وفهرسه : (**محمد خليل الباشا**) ـ عالم الكتب ـ (**بيروت سنة ١٩٨٥م**).

(٨٦) الموسوعة الثقافية ـ إشراف : (**د. حسين سعد**) ـ مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ مطابع دار الشعب ـ (**القاهرة سنة ١٩٧٢م**).

(٨٧) الأعلام ـ (**خير الدين الزركلى**) ـ دار العلم للملايين (بيروت ـ لبنان) ـ الطبعة السادسة (**سنة ١٩٨٤م**)..

(٨٨) أدب العرب ـ (**مارون عبود**) ـ دار الثقافة ـ (**بيروت سنة ١٩٦٠م**)..

(٨٩) بيت شاعر ـ (**خالد محمد اليوسف**) ـ منشورات نادى المدينة المنورة الأدبى ـ (**سنة ١٩٨٠م**)..

(٩٠) حكايات الليالى للأطفال والفتيان ـ (**حبشى فتح الله الحفناوى**) المكتب الجامعى الحديث ـ (**بالإسكندرية ـ سنة ١٩٩٠م**) ..

(٩١) جمال الخواطر فى عجائب الكون وغرائب النوادر ـ (**محمد الحسن السمان الحموى الحسين الأزهرى**) ـ دار الثقافة العربية (**دمشق ـ سنة ١٩٩٠م**)..

(٩٢) أساس البلاغة ـ (**للزمخشرى**) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ (**بالقاهرة ـ سنة ١٩٨٥م**)..

(٩٣) المعجم الوسيط ـ **مجمع اللغة العربية** ـ الطبعة الثالثة بالقاهرة (**سنة ١٩٨٥م**)..

(٩٤) الكشكول ـ (**للشيخ بهاء الدين بن محمد بن حسين العاملى**) ـ تحقيق: (**الطاهر أحمد الزاوى**) ـ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى ـ (**القاهرة ـ سنة ١٩٦١م**) ..

(٩٥) نهاية الأرب فى فنون الأدب ـ (**شهاب الدين النويرى**) ـ دار الكتب المصرية ـ (**القاهرة ـ سنة ١٩٢٦م**).

(٩٦) عظماء من العالم ـ **المكتبة الحديثة للطباعة والنشر** ـ (بيروت ـ لبنان ـ **سنة ١٩٨٧م**).

(٩٧) القاموس المحيط ـ (**للفيروز آبادى**) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ (**القاهرة ـ سنة ١٩٨٠م**).

(٩٨) التطفيل ـ (**الخطيب البغدادى**) ـ مكتبة القدس ـ (القاهرة) ـ الطبعة الثانية ـ (**ديسمبر سنة ١٩٨٣م**).

(٩٩) أحلى النوادر والطرائف ـ إعداد : (**راجى الأسمر**) ـ منشورات جروس برس ـ (**طرابلس ـ لبنان**).

(١٠٠) العقد الفريد ـ (**لابن عبد ربه**) ـ دار التأليف للترجمة والنشر ـ (**بالقاهرة**).

(١٠١) سلسلة اضحك، ساعة لقلبك ـ (**جوزف فاخورى**) ـ المكتبة الحديثة للطباعة والنشر ـ (**بيروت ـ لبنان**) ..

(١٠٢) الموسوعة الفلسفية ـ وضع : **لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين** ـ إشراف **م.روزنتال، ب. يودين** ـ ترجمة : (**سمير كرم**) ـ دار الطليعة ـ (بيروت) ـ الطبعة الأولى ـ (**أكتوبر ـ سنة ١٩٧٤م**).

(١٠٣) من أول نظرة ـ (**أنيس منصور**) ـ دار الشعب ـ (**القاهرة سنة ١٩٧٢م**).

(١٠٤) التوفيقات الإلهامية ـ (**اللواء محمد مختار باشا**) ـ دراسة وتحقيق وتكملة : (**د. محمد عمارة**) ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ (بيروت) ـ الطبعة الأولى ـ (**سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م**).

(١٠٥) ديوان أبى نواس ـ (**محمود كامل فريد**) ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ بمصر.

(١٠٦) الموتى يتحدثون ـ (**هانى الخير**) ـ دار دمشق للطباعة والنشر ـ (**١٩٨٨م**).

(١٠٧) إبليس ووصاياه المميتة ـ (**بديع الشماع**) ـ المطبعة العثمانية ـ (**سنة ١٩٨٦م**).

(١٠٨) أمور لا تصدق ـ إعداد : (**محمد عنان الحمصى**) ـ مؤسسة الإيمان، دار الرشيد ـ (**سوريا ـ لبنان ـ سنة ١٩٨٦م**).

(١٠٩) الأغانى ـ (**أبو الفرج الأصفهانى**) ـ إشراف وتحقيق (**إبراهيم الإبيارى**) ـ المجلد الرابع ـ دار الشعب (**سنة ١٩٦٩م ـ القاهرة**).

(١١٠) الكنز المدفون والفلك المشحون ـ المنسوب (**للشيخ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى**) ـ الطبعة الرابعة ـ (سنة ١٩٥٦م) ـ **مصطفى البابى الحلبى ـ (بالقاهرة)**.

(١١١) البيان والتبيين ـ (**أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ**) ـ تحقيق وشرح : (**عبد السلام هارون**) ـ مكتبة الخانجى ـ (**بالقاهرة ـ سنة ١٩٨٥م**) **ـ الطبعة الخامسة**.

(١١٢) المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ـ (**عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر عبد الرحمن الشيزرى**) ـ تحقيق ودراسة : (**على عبد الله الموسى**) ـ مكتبة المنار ـ (**الأردن ـ الزرقاء**) ـ الطبعة الأولى ـ (**سنة ١٩٨٧م**).

(١١٣) جواهر الأدب ـ (**أحمد الهاشمى**) ـ مطبعة المقتطف والمقطم (**بمصر ـ سنة ١٩٢٣م**).

(١١٤) مجانى الأدب فى حدائق العرب ـ (**الأب لويس شيخو اليسوعى**) مطبعة الآباء اليسوعيين ـ (**بيروت ـ سنة ١٨٩٨م**).

(١١٥) جميع الجواهر فى المِلَح والنوادر ـ (**لأبى اسحاق المصرى القيروانى**) ـ تحقيق : (**على محمد الحجاوى**) ـ دار الجليل ـ (بيروت ـ لبنان ـ **سنة ١٩٨٧م**).

(١١٦) متفرقات ـ (**أحمد عيسى عاشور**) ـ مطبعة الاعتصام (**بالقاهرة**).

(١١٧) الحديقة ـ (**محب الدين الخطيب**) ـ جـ١٢ ـ المطبعة السلفية ومكتبتها ـ (**بالقاهرة ـ سنة ١٣٥٣هـ**).

(١١٨) آداب المؤاكلة ـ (**الشيخ بدر الدين محمد الغزى**) ـ تحقيق : (**د. عمر موسى باشا**) ـ مكتبة المعارف ـ (**الرباط ـ يناير سنة ١٩٨٤م**).

(١١٩) أنواع النساء بين الداء والدواء ـ **سيد صديق عبد الفتاح** ـ القاهرة **سنة ١٩٩٢م**.

(١٢٠) طرائف وملح ـ (**موسى الأحمدى نويوات**) ـ دار العلم للملايين (**بيروت ـ يناير سنة ١٩٨٩م**).

(١٢١) أُمراء البيان ـ (**محمد كُرد على**) ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ (**القاهرة ـ سنة ١٩٤٨م**).

(١٢٢) باقة الطرائف ـ (**إبراهيم خليل العلاف**) ـ مكتبة النهضة المصرية ـ (**القاهرة**).

(١٢٣) سلاسل القراءة ـ السلسلة الخامسة ـ (**خليل سركيس**) المطبعة الأدبية فى **بيروت** (**١٩٠١م**).

(١٢٤) نثر الدر ـ (**لأبى سعد منصور بن الحسين الأتربى**) الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ (**القاهرة ـ سنة ١٩٩١م**).

(١٢٥) دروس فى الحب والزواج ـ (**إبراهيم المصرى**) ـ كتاب اليوم ـ أخبار اليوم ـ (**القاهرة**).

(١٢٦) تقوم المؤيد ـ (**محمد مسعود**) ـ جريدة المؤيد (**سنة ١٣٢٠هـ ـ القاهرة**).

(١٢٧) أدب العرب فى عصر الجاهلية ـ (**د. حسين الحاج حسن**) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ـ (**بيروت ـ لبنان سنة ١٩٨٤م**).

(١٢٨) أمالى القالى ـ (**أبو على إسماعيل بن القاسم البغدادى**) ـ مطبعة السعادة (**بمصر ـ سنة ١٩٥٣م**).

(١٢٩) بهجة المجالس، وأُنس المجالس ـ (**لأبى عمر يوسف عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمرى القرطبى**) ـ تحقيق: **محمد مرسى الخولى**، مراجعة: **د. عبد القادر القط**) ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ (**القاهرة**) **سلسلة : تراثنا**.

(١٣٠) لعنة الفراعنة ـ (**أنيس منصور**) دار الشروق ـ (**القاهرة سنة ١٩٨٢م**).

(١٣١) إلا قليلاً ـ (**أنيس منصور**) ـ دار الشروق ـ (**القاهرة سنة ١٩٨٤م**).

(١٣٢) مشاعل النور ـ (**يحيى نامق**) ـ مركز كتب الشرق الأوسط (**بالقاهرة**).

(١٣٣) فيض الخاطر ـ (**د. أحمد أمين**) ـ مكتبة النهضة المصرية (**بالقاهرة**).

(١٣٤) أعلام الأدب فى عصر بنى أمية ـ (**محمد عبد المنعم خفاجى**) ـ رابطة الأدب الحديث ـ (**عام ١٩٥٤ ـ القاهرة**).

(١٣٥) عصر المأمون ـ (د. **أحمد فريد رفاعى**) ـ دار الكتب المصرية (**بالقاهرة ـ سنة ١٩٢٨م**).

(١٣٦) روائع الأدب العربى فى عصور العربية الزاهرة ـ (د. **محمد نبيه حجاب**) ـ دار المعارف (**مصر ـ سنة ١٩٧٣م**).

(١٣٧) الروح ـ (**للإمام أبى عبد الله محمد بن أبى بكر**) المعروف بابن **قيم الجوزية** ـ دار المدنى ـ (**جدة ـ سنة ١٩٨٤م**).

(١٣٨) القطع المنتخبة ـ (**يحيى أفندى إبراهيم**) ـ المطبعة الأميرية ـ (**القاهرة ـ سنة ١٨٩٣م**).

(١٣٩) منبهات على الاستعداد ليوم الميعاد ـ (**محمد الزكى الخطيب**)ـ م. السعادة ـ (**بالقاهرة**).

(١٤٠) الكشكول الصغير ـ (**محمود الأرناؤوط** ـ تقديم : **سليم الزركلى**) ـ مؤسسة الرسالة، الشركة المتحدة للتوزيع ـ (**بيروت ـ لبنان**).

(١٤١) الظرفاء والشحاذون فى بغداد وباريس ـ (**صلاح الدين المنجد**) ـ مطبعة الرسالة (**بالقاهرة**).

(١٤٢) الضاحكون ـ **محمد قره على** ـ مؤسسة نوفل ـ بيروت ـ لبنان **سنة ١٩٨٠م**.

(١٤٣) مقامات الحريرى ـ (**أحمد القاسم بن على محمد عثمان الحريرى البصرى**) ـ المطبعة الحسينية المصرية ـ (**القاهرة سنة ١٩٢١م**).

(١٤٤) حدائق وأزهار ـ (**فؤاد شاكر**) ـ المطبعة العالمية ـ (**القاهرة سنة ١٩٥٠م**).

(١٤٥) الذين ضحكوا حتى البكاء ـ د. **مصطفى محمود** ـ دار أخبار اليوم ـ **القاهرة سنة ١٩٩١م**.

(١٤٦) لكل مواطن ـ **عبد الكريم الدفاع** ـ منشورات دار مكتبة الفكر (طرابلس ـ ليبيا).

(١٤٧) رسائل ابن سبعين ـ **القاهرة**.

* * *

مراجع المجلات والجرائد

(١٤٨) كل شئ والعالم ـ (**سنة ١٩٢٩م**).

(١٤٩) كل شئ والدنيا ـ العدد ٣٨٢ ـ (**الأربعاء أول مارس سنة ١٩٣٣م**).

(١٥٠) الدنيا المصورة ـ (**يونيو سنة ١٩٢٩م، أبريل سنة ١٩٣٠م**).

(١٥١) المصور ـ **أعداد متفرقة** ـ (القاهرة).

(١٥١) المقتطف ـ (**سنة ١٨٨٥م إلى عام ١٩٥٢م**)، يعقوب صروف، فارس نمر.

(١٥٢) العالم ـ **العدد ١٨٠** ـ (٢٥ يوليو سنة ١٩٨٧م).

(١٥٣) العروسة ـ (**إسكندر مكاريوس**).

(١٥٤) المجلة الموسيقية ـ **العدد السادس** ـ (يونيه سنة ١٩٧٤)، **والعدد ٢٨** ـ (أبريل سنة ١٩٧٦م).

(١٥٥) الدنيا الجديدة ـ (**ديسمبر سنة ١٩٤٥، أبريل سنة ١٩٤٦م**).

(١٥٦) القصة ـ العدد ١٢١ ـ (**الثلاثاء ٥ أكتوبر سنة ١٩٥٤م**).

(١٥٧) ملاحق أعداد **مجلة الشبكة**.

(١٥٨) الكتاب ـ (**أغسطس سنة ١٩٤٦م**) ـ (دار المعارف بمصر).

(١٥٩) مجلة المرأة المصرية ـ (**بلسم عبد الملك**) ـ العدد ٣، ٤ـ (**مارس ـ أبريل**

سنة ۱۹۳۸م).

(١٦٠) المجلة العربية ـ **العدد ٥٣ـ السنة ٦ـ** (جمادى الثانية عام ١٤٠٢هـ ـ أبريل سنة ١٩٨٢م) ـ **المملكة العربية السعودية.**

(١٦١) المرأة الجديدة ـ (**يناير سنة ١٩٢٦م**) ـ جوليا الدمشقية جـ١ ـ السنة ٦.

(١٦٢) العربى ـ (**يونيو سنة ١٩٥٩م) الأعداد ٧، ١٨٤، ١٨٥ (مارس، أبريل سنة ١٩٧٤م).**

(١٦٣) مجلة «**كوزموبوليتان**»..

(١٦٤) المختار ـ (**نستمبر سنة ١٩٤٣، يناير، يونيو سنة ١٩٤٤م، نوفمبر سنة ١٩٤٥، يونيو سنة ١٩٤٦م ـ أبريل سنة ١٩٥٧م ـ مارس ١٩٥٨م ـ يوليو سنة ١٩٦٢م ـ مارس، أكتوبر سنة ١٩٦٤م ـ سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ١٩٦٦م ـ فبراير سنة ١٩٦٧م ـ نوفمبر سنة ١٩٧٩م ـ أكتوبر سنة ١٩٨٠م ـ أغسطس سنة ١٩٨١م ـ مارس، ديسمبر سنة ١٩٨٤م ـ ديسمبر سنة ١٩٨٥م ـ يونيو سنة ١٩٨٦م ـ يوليو سنة ١٩٨٧م ـ نوفمبر سنة ١٩٨٩م).**

(١٦٥) الهلال ـ (**نوفمبر سنة ١٩٣٨ ـ أغسطس سنة ١٩٤٧م ـ أبريل، يوليو سنة ١٩٤٨ ـ سبتمبر سنة ١٩٤٩ ـ يناير سنة ١٩٥١م ـ يوليو سنة ١٩٥٢م ـ فبراير، يونيو، أغسطس سنة ١٩٥٣م ـ أغسطس سنة ١٩٥٨ ـ سبتمبر سنة ١٩٦٠م ـ مايو سنة ١٩٧٦ ـ مايو سنة ١٩٨٢م).**

(١٦٦) الفصول ـ (**نوفمبر سنة ١٩٤٤ ـ يونية سنة ١٩٤٥ ـ سبتمبر سنة ١٩٤٦ ـ يناير، مارس، أبريل سنة ١٩٤٧، فبراير، نوفمبر سنة ١٩٤٩م ـ سبتمبر سنة ١٩٥٠، يناير، أغسطس سنة ١٩٥٣م، يناير سنة ١٩٥٤م).**

(١٦٧) الأخبار ـ بتاريخ (**١٩٨٩/١٢/٢٥، ١٩٩١/٥/٢٨، ١٩٩١/٦/١٨، ١٩٩١/٨/١١م**).

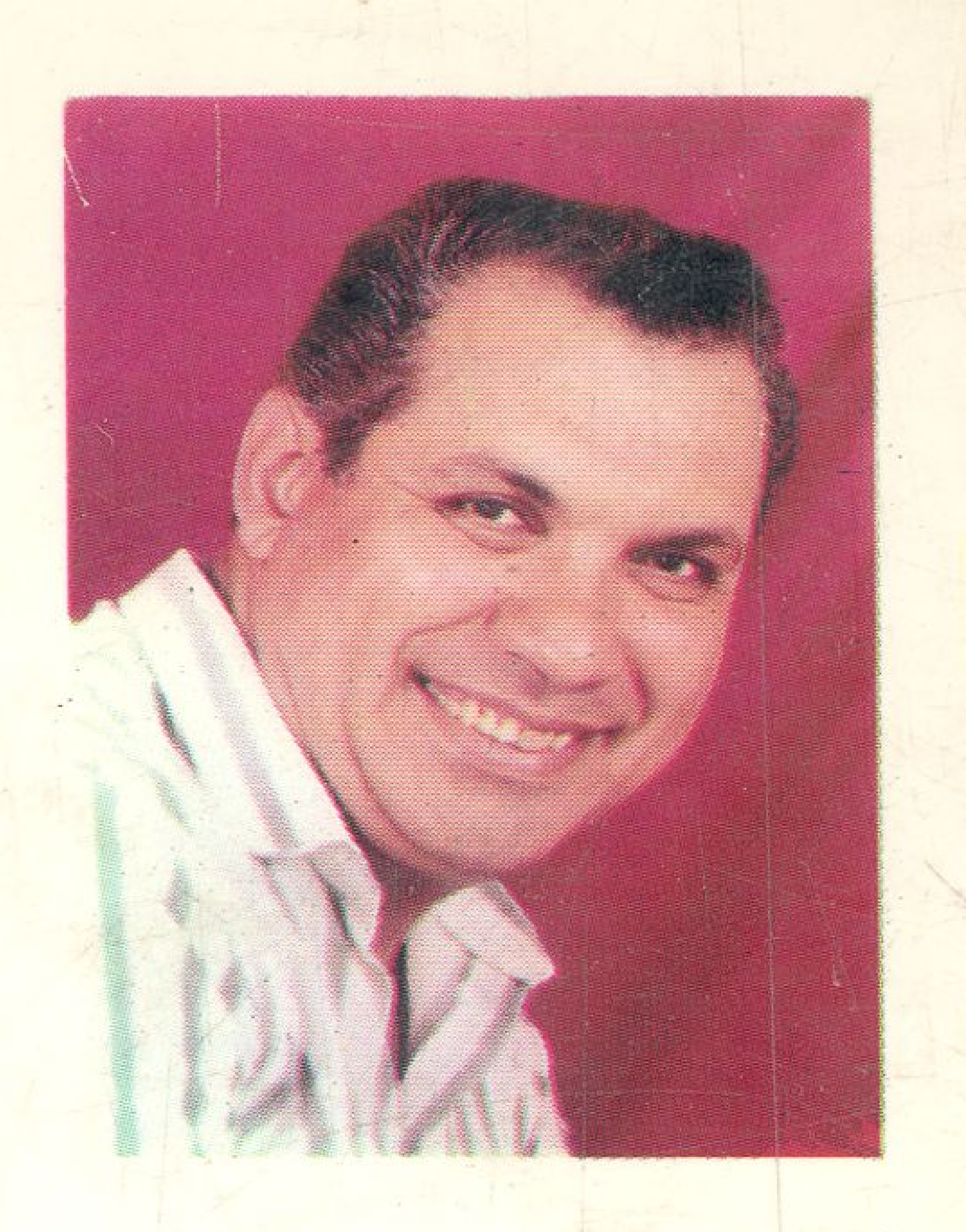
(١٦٨) الأهرام ـ **العدد ٣٨١٦٢ ـ (بتاريخ ٢ يونيو سنة ١٩٩١)** القاهرة.

(١٦٩) بحوث خاصة بالمؤلف.

فهرس الكتاب

التجهيزات الفنية : آر - تـك / ٢٣٩ش السودان-ت ٣٤٧٢٥٥٥





فى هذا الكتاب

للوصايا أيضاً دور هام فى الأدب العربى القديم والحديث على السواء ..

وتمثل الوصايا تجارب الإنسان ، والتوجيه الحَسَن فى عباراتٍ موجزة ومُركَّزة ، يسهل فهمها ، ولا يستعصى على العقل مغزاها .

وقد يوصى إنسان صاحبه عند الاحتضار وصايا يكشف فيها عن نواياه .. فيطول أجل الموصى ، ويموت المنوط - أو المقصود - بتنفيذ الوصية قَبْلَهُ .

ونحن - فى هذا الكتاب - بصدد عرض وصايا لم نألفها من قَبْل ، لطرافتها .. ولم نعرفها بيننا لغرابتها . ولم نسمع بها من أحد ، لعجائب المشاهير المعروفين ، والمغمورين المجهولين .

● عزيزى القارىء :

أقدم إليك أغرب وأعجب الوصايا للعظماء من الأنبياء ، والملوك ، والرؤساء ، والزعماء من القادة .. وأيضاً الفلاسفة والمفكرين من الأدباء .. وكذلك أهل الفن ، والأطباء .. وطرائف وصايا الجهلاء ، والعلماء .. والحمقى ، والعقلاء .. والهزليين ، والأَجِلَّاء المشاهير والغرباء من الشرق والغرب فى التاريخ القديم والحديث .

« الناشر »



دار الامين

DAR AL AMEEN

١ ش سوهاج - خلف قاعة سيد درويش - الهرم - الجيزة